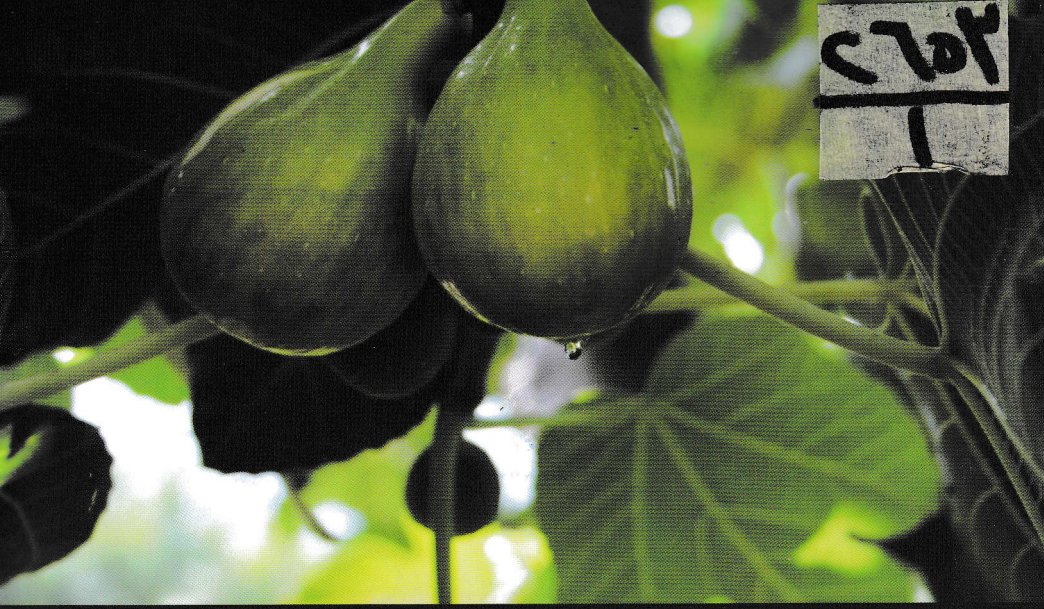

الثَورَة السريَّة

ما هو الإنجيل؟ وما هو الإيمان؟ وما هي الحياة المسيحية الحقيقية؟

أوسم وصفي

٢٢١٦٨ | سكيك
١١٢٦٥٢
٢١٧ / ٢٠١٧

الثَورَة السِرِّيَّة

ما هو الإنجيل؟

وما هو الإيمان؟

وما هي الحياة المسيحية الحقيقية؟

أوسم وصفي

اسـم الكـتاب : الثَورَة السِرِّيَّة

تـأليـــــف : د. أوسم وصفي

التنفيذ الفني والطباعة: شركة الطباعة المصرية ت: ٤٤٨١٢٠٩٥

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٧

رقـم الإيـداع : ٢٠١٧/٢٦٥٤

تصميم الغلاف: Pledge Comm.

فهرس المحتويات

مقدمة : ٧

الجزء الأول : مَا هُوَ الإنجيل؟ رِسالَةُ ملكوتِ الله أم رِسَالَةُ غُفرانِ الخَطايا؟ ... ١٥

الفصل الأول : اقتَرَبَ مَلَكوتُ الله، فَتوبوا وآمِنوا بالإنجيل. رِسالةُ الخَلاص في الأناجيل المُتَشابِهة ١٧

الفصل الثاني : تُوبوا لتُمحَى خطاياكُم. رِسالةُ الخَلاص في سفر أعمال الرُسُل ٢٩

الفصل الثالث : المسيحُ مَاتَ مِن أجل خطايانا حَسَبَ الكُتُب. رِسالَةُ الخَلاصِ في رَسائِلِ بُولس الرسول ٣٧

الفصل الرابع : هكذا أحب الله العالم. رِسالَةُ الخَلاصِ في إنجيل يوحنا ٤٩

الخُلاصة ٥٧

الجزء الثاني : مَا هوَ الإيمان؟ التصديق العقليّ والعلاقة الحلولية والثقة الوجودية ٦٩

الفصل الخامس: هذا أقامه الله. التَصديق العَقلِيّ بِحقِيقةِ القِيامة ٧٧

الفصل السادس: أنا في أبي وأنتمُ فيَّ وأنا فيكم. العلاقة الحلولية ٨٩

الفصل السابع : اثبتوا فيّ. الثقة الوجودية ١٠٣

الجزء الثالث: ما هُوَ الثَمَر؟ وما هِيَ الحياةُ المَسيحيَّةُ الحَقيقية؟ ١١٥

الفصل الثامن : المَحَبةُ فَلتَكُن بِلا رِياء. صُورةٌ مُجَسَّمَة للمحبة المسيحية ١١٩

الفصل التاسع : في المسيح. كَيفَ تَبدو الخَليقةُ الجَديدة؟ ١٣٧

خاتمة ١٤٩

إهداء

إلى كُلّ الناس

بينما ينشغلُ كثيرون بالسؤالِ، لماذا خَلقَ اللهُ الإنسان؛ أتصورُ أن أولويةً خاصةً وحتميةً ينبغي أن تُعطي للسؤالِ، مَن هو الله؟ لقد ضيَّعَ الإنسانُ عمراً طويلاً يبحثُ عن إجابةٍ لسؤالٍ خاطئٍ في الوقتِ الذي كَانَ حَريٌّ به أن يسألَ أولاً مَن الذي خلقَ قبل أن يسألَ عن سرِ وجودِ الخليقةِ وماهيتها. في رأيي، **الصورةُ التي تُرتَسمُ في مخيلتنا ووجداننا عن الله تُحَدِدُ كل شيء في واقعنا الزمني برُمَّتِهِ.** فمَن يعبدُ إلهاً غَضوباً مُنتقماً، مثلَ النارِ لا يشبع، يعيشُ كلَ أيامه في خوفٍ لا يضاهيه خوفٌ، يفعلُ أيَ شيءٍ، وكلَ شيءٍ، كي يُرضي هذا الإلهُ و يُشبعَ شهوتَه في العقابِ والتسلطِ والانتقامِ. والذي يعبدُ إلهاً ينتَظِرُ من مخلوقٍ، لا حولَ له ولا قوةَ مثلَ الإنسانِ، أن يصلَ له ليعرفَه و يعبدَه، يُفنِي عمرَه في البحثِ عن سرابٍ، واهماً أنه يُوجدُ في الخليقةِ مَن يستطيعُ أن يصلَ لهذا الخالق الذي لا يراه أحدٌ. إن اللهَ الحبُ لم يكنْ ممكناً أن يُمسكَ ذاتَه بل بسُلطانِ الحبِ أعطي ذاتَهُ فكان الإنسانُ المخلوقُ على صورتِه. لكن بالرغم من أن هذا الانسانُ قَد خُلقَ مُفكِّراً مُبدِعاً خلَّاقاً حراً وصاحِبَ إرادة، إلا أنه خُلقَ بكمالٍ نسبيٍ. لم يكُن مُمكناً لله أن يخَلق إلهاً أخرَ مثله. لكنه، أي اللهُ المُحِب، قد أعطي لهذا المخلوقِ المحدودِ أن يتمتعَ بكَمالِ الخالقِ المطلقِ **بالنعمةِ الحافظةَ من السقوطِ من خلال الشركةِ الحيةِ والمباشرةِ معه.** والشركةُ مع الله تعني مُلكَ الله وسلطانَه الكاملِ على هذا الانسانِ. حيث يتمتعُ الانسانُ بالحبِ والحريةِ، بالقداسةِ والحقِ، بالعدلِ والسلامِ وبالرحمةِ والقبولِ، «وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.» (تك٢: ٢٥). إلى أن أستخدمَ الإنسانُ الحُرِّيَّةَ الممنوحةَ له من الله ليختارَ بمحضِ إرادته أن ينفصلَ عن الله مصدرَ حياته، ظناً منه أن الانفصالَ يمنحَه حريةً أكبرَ وسلطاناً أعظمَ. **إنها أزمةُ هذا المخلوقِ الضعيفِ الأزليةِ، الذي رفضَ، ومازالَ يرفضُ كلَ يومٍ، كينونتَهُ كَمَخلوقٍ في مُحاولةٍ بائسةٍ ليتقمصَ دورَ الخالقِ.** حتى أدركَ الإنسانُ أن الخروجَ من عدنِ ما هو إلا رمزٌ للخروجِ من ملكوتِ الله وأن شعورَه بالعُري (تك٣: ٧) ما هو إلا شعورٌ بالخزي والعارِ من صورةِ الله التي تشوهتْ فيه نتيجةَ تمردِه

وانفصالِه عن الله. **خطيةُ الإنسانِ، إذنْ، ليستْ مجردَ حالةٍ من عدمِ القداسةِ أصبحَ عليها بعدَ عصيانِه وصيةَ الله إنما مكانٍ خاطئٍ وضعَ نفسَه فيه بعيداً عن سرِ الحياةِ وخالقها، الله. وواقعُ الإنسانِ بعدَ الخطيةِ أكبرَ من مُجَرَّدِ العقابِ بطردِه من عدنٍ إنما تشوهٌ كاملٌ لصورةِ الله فيه من طبيعةِ الحبِ وعطاءِ النفسِ إلى الأنانيةِ والتركزِ حولَ الذاتِ و إشباعِ رغباتها. بنفسْ القياسِ، فإنَّ خَلاصُ الإنسانِ من واقعِه المُعَّقدِ أكبرُ بكثيرٍ من مُجَرَّدِ تسليمِ الحياةِ للمسيحِ ونوالِ الحياةِ الأبديةِ، أو حتى انصلاحِ حاله الأخلاقيِ المُتَرَدي، إنما في عودته للخضوعِ لسلطانِ اللهِ بالدخولِ إلى ملكوتِ محبتِه من جديد.** في هذا الملكوتِ، يقبلُ الإنسانُ العتيقُ طبيعةً جديدةً بحلولِ المسيحِ بالروحِ القدسِ في حياته يبدأ معها رحلةٌ من التَغَيُّرِ المستمرِ إلى صورةِ اللهِ التي تجسدتْ في يسوع المسيح. حياةٌ فيها الإنسانُ العتيقُ يلبسُ الجديدَ الذي يتجددُ بحسبِ خَالقِهِ كلَ يومٍ، أي يتغيرَ إلي تِلكَ الصورةِ عينِها، صُورةُ يسوع.

وَكَما أن الإنجيلَ أعمقَ وأشملَ من مُجَرَّدِ كفارةٍ عن خطيةِ الإنسان **فإن الإيمانَ الذي يُمَكِّنَ الإنسانَ الخاطئَ من التمتعِ بهذا الإنجيل أعمقَ وأشملَ من مجردِ التصديقِ العقلي برسالةِ الخلاصِ. أي أنه ليسَ مجردَ فعلٍ سلبيٍ يقررُ فيه الإنسانُ، في اختبارٍ لحظيٍ، أن يقبلَ المسيحَ مخلصاً لحياته فيَخلُصَ به من الدينونةِ في حياةِ الأبد، إنما الدخولُ بإرادةٍ كاملةٍ في علاقةٍ حيةٍ دينامية مع المسيح الذي يَحلُ في قلبِ هذا الخاطئِ لحظةَ تَسليمِهِ الحياةَ للمسيح.** في هذا العلاقةِ الحيةِ المستمرةِ، الإنسانُ شريكٌ فعَّالٌ مع المسيحِ في رحلةِ تغييرٍ يوميَّةٍ ولانهائيةٍ، من العتيقِ إلى الجديدِ، من الأنانيةِ والتمركزِ حولَ الذاتِ إلى الحبِ وعطاءِ النفسِ. إنها علاقةٌ مُغَيِّرةٌ «مِن مَجدٍ إلى مَجدٍ كما من الرَّبِ الروحِ» (٢كو٣: ١٨). صورةُ الإنسانِ الذي وهو في ضعفِ الجسد، تممَ كل برٍ، يسوع المسيح. نتيجةً لفعلي لهذه العمليةِ ليسَ مجردَ تسبيحٍ وصلواتٍ أو خدمةٍ أو حتى مواهبٍ روحيةٍ. إنه ثمرُ الإيمانِ الحقيقي تغييرُ الحياةِ بالتَخَلُّصِ التَدريجيّ من التَشَوُّهِ الذي خَلَّفَته الخطيةُ وظهورُ حياةِ المسيحِ فينا كل يوم.

هذه هي الرّحلَةُ الجَميلَةُ التي يَصَحبُنا فيها كاتبُ هذا الكتابِ المتميزِ ببراعةٍ. إنها ثورةُ تصحيحٍ كاملةٌ، يقول أوسم وصفي، تشملُ كلَ حياةِ الإنسانِ. هي رحلةٌ وليستْ لحظةً، هي دخولُ الإنسانِ من جديدٍ إلى ملكوتِ اللهِ والخضوعِ لمبادئه وليستْ مجرد اختبارٍ للتوبةِ وقبول المسيح مخلصاً من العقابِ في حياةِ الأبدِ. هذا الكتابُ يَتَحَدَّانا في وَاحِدَةٍ من أكبر مُشكِلاتِ الكَنيسةِ العربيةِ المُعاصرةِ تعقيداً وسلبيةً، حَرفيةِ النَصِ وجُمودِ مَعانيه. المَعني الثالثُ هو التزاوجُ البديعُ الذي ينسابُ من الكاتب، ربما حتى بدون أن يقصد مراتٍ، للاهوتِ بالعلمِ. ففي كثيرٍ من المناسباتِ بعد أن يأخذنا في رحلةٍ لاهوتيةٍ طويلةٍ عبرَ ضفتي العهدِ الجديدِ، يتوقفُ بِنَا عند التقاءِ المعني اللاهوتي بمكنوناتِ النفسِ الانسانيةِ من عطشٍ وجوعٍ حقيقي لما يقدمه هذا اللاهوت. فالعطشُ اللانهائي الذي يحرك المدمنُ، ولا يُشبعه أي أحدٍ في الوجودِ، ما هو إلا عطشُ للحُبِ الإلهي اللانهائي والذي لا تُشبِعُهُ إلا مَحَبّةِ الله في يسوع. لا تشعرَ وأنتَ تقرأ هذا الربطِ إلّا وأنت في مواجهةٍ مباشرةٍ مع نفسك وتَلَامُسٍ مع احتياجاتك العميقةِ في الوقت الذي لا تَري سبيلاً أخرَ يمكن أن يملأ احتياجات نفسِك العطشى سوي هذا المعني اللاهوتي العميق لإنجيلِ المسيح. المَعنَي الرَّابع الذي تبرزه القراءة المتأنية لهذا الْكِتَابِ هو شرقيةِ الكاتبِ التي تَصبُغُ طَرحَهُ. فالإنجيلُ الذي تجسدَ في ميلادِ وحياةِ يسوع الناصري في أفقرِ بلادِ العالمِ مُنذُ الفي عامٍ وأعلَنَهُ يسوعُ وعَلَّمه من خلال حَبّةِ الحنطة والخَردَل والخميرة الصغيرة وغيرِها، هو نفس الإنجيل الذي تلامس مع احتياجاتهم وأمراضهم الجسديةِ والنفسيةِ والاجتماعيةِ. وهوَ نَفسُ الإنجيلِ الذي يُحاولُ الكاتبُ أن يَتَحَدَّى بِهِ مُشكلاتٍ سياقيةٍ مُتَجَذِّرَةٍ ومُزمِنَةٍ في لاهوتِنا وحَياتنا الشرقية. فالخَلاصُ الذي اختزلناهُ في لَحظةٍ هو رِحلةُ حياةٍ كاملةٍ، والإيمانُ الذي صَوَّرناهُ خَطَأً أَنَّهُ مُجَرَّدَ تَسليمٍ سَلبيَ هو نشاطٌ ديناميٌّ فَعّال، والانسان الذي شَكَّلَتهُ خَلفِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ مَا هُوَ الّا شَريكٌ فَعَّالٌ في رِحلَةِ نُمُوٍّ وتَرَقِّيهِ في الانسان الجديد الذي يَنَالَهُ بالأيمان. فإذا كان دورُ الله هو إعادةِ خلقِ وتجديدِ طبيعةِ الإنسان الفاسدة، فإنّ ذَلكَ لا يتمُّ بدونِ خضوعِ هذا الإنسان بإرادةٍ كاملةٍ لتدريباتِ التغييرِ والجهادِ الروحي والترقي المستمر، الدورُ الذي لا يتدخلَ اللهُ فيه وقد حلّ في الإنسانِ وأعطاه القدرة ليقوم به. يقول أوسم،

إن الإيمانَ المَسيحِيّ، وإن كَانَ سامِياً جداً حتى أنك تَخَالَهُ يُخاطبُ بَشراً ليسوا من هذا العالم، إلّا إنَّهُ مُتَجَسِّدٌ إلى أَقصَى حَدٍّ. إنَّهُ إيمانٌ بالإلهِ الذي صَارَ إنساناً من أجلِنا، ومَاتَ وقامَ وصَعَدَ إلى السَماوات وأَقامَنا مَعَهُ روحياً، وجَلَسَ عن يمين الآب وأَجلَسَنا معه وأرسل الروح القدس لكي يسكُنَ فينا. فهو إذاً إيمان يِنزِلُ إلينا في أَدَقِّ تَفاصيل حياتنا. هو الإيمان الذي يجعل الله ليس فقط مَعنا، وإنَّمَا فينا. وعندما يكون الله فينا، فهو يجيبُ عن هذه التساؤلات من داخِلِنا وليس من خارجنا. لن تأتي لنا الإجاباتُ مِن الخارج وإنما من الداخل. لن يَتَدَخَّل اللهُ لحَلّ هَذِهِ المُشكلات إلا من خلالِنا (٩٤).

أوسم وصفي، بدون شكٍ، كاتبٌ من نَوعٍ فريدٍ. يمتلك أدواتٍ قَلَما يمتلكُها غيرُه من كُتَّابِ الفكرِ المسيحي. إيمانٌ حيٌ بالكلمةِ المتجسدِ (اللوجوس)، عقلُ اللهِ وحكمتُه، يسوع المسيح. رُؤيةٌ شاملةٌ وفهمٌ عَميقٌ للكلمة المكتوبة، الكتابُ المقدس. بصيرةٌ علميةٌ قادرة بمهارةٍ أن تغوصَ في أعماقِ النفسِ البشريةِ وتحللُ تعقيداتِها. إلى جَانِبِ دِراسَتِهِ العميقة للاهوت المسيحي والكتاب المقدس، فأن تَمَكنَّه من اللغتين العربيةِ والإنجليزيةِ معاً وبنفسِ الدرجةِ، ساعَدَهُ أن يقرأ أحدَثَ ما ظهرَ في اللاهوتِ العالمي. ولأن اللاهوتَ يُولدُ في رحمِ الحياةِ، فأنَّ رِحلاتِهِ المتكررةَ في أعماقِ نفوسِ المتألمينَّ في العالم العربي وتحليلَ خبراتهم مكنتَّهُ من العملِ الدائمِ والدؤوبِ علي جعلِ هذا اللاهوتِ سياقياً يتلامسُ مع همومِ الناسِ والأمهم. باختصارٍ، نحن أمام كتاب فريدٍ في اللاهوت العملي.

مع صلاتي أنْ يستخدمَ الربُ هذه الاطلالةُ اللاهوتيةُ المتميزةُ، وأنْ يحفظَ كاتبَها في ملءِ الإبداعِ المستمرِ، أهنئُ الكنيسةَ العربيةَ بشمعةِ جديدةِ في طريقِ الاستنارةِ والإصلاحِ.

د. ق. سامي عَيّاد

أستاذ اللاهوت العَمَلي بكُلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة

مقدمة الكاتِب

ما هو الإنجيل؟ وما هي الكرازة بالمسيح؟ ما هي رِسالَةُ الخَلاص؟ وما هو الإيمان بالمسيح؟ هل الإيمان مُجَرَّد اعتراف الإنسان بأنه خاطئ ومُنفَصل عن الله بسبب خطية آدم وخطاياه الشخصية، وأنَّ اللهَ لَدَيهِ خِطَّةٌ رَائِعَةٌ لغُفرانِ الخَطِيّة والحَياةِ الأَبَدِيَّة في السماء، وهذه الخطة قد أَنجَزَها مِن خِلالِ مَوتِ يَسوعِ المَسيح على الصليب كفارةً عَن خطاياه وخطايا كُلِّ العالَم؟

هل إذا قَدَّمنا هَذِهِ الحَقائق للإنسانِ البَعيدِ عَن الله، كما يحدث في أغلب الأوساط «الإنجيلية»[1] (Evangelical) نَكونُ بالفِعل أَمَناءَ لِرِسالَةِ الإنجيل؟ وهَل إذا طَلَبنا مِن ذَلِكَ الإنسان أن «يُرَدِّد خلفَنا» صَلاةً تسليم الحياة التي فيها يعترف أَنَّهُ خاطئ وأن المسيح مات من أجله على الصليب وأَنَّهُ الآنَ يُسَلِّم حَيَاتَهُ للمسيح، فِعندَئِذٍ تَكونُ رسالةُ الإنجيل (البِشارَة المُفرِحَة) قَد وَصَلَت كَاملةً لذلكَ الإنسان وأَنَّهُ بالفِعلِ قد نَالَ الخَلاصَ الأَبَدي؟ أم أَنَّ هَذِهِ الصيغَة الّتي كَثيراً ما يَستخِدمها الإنجيليون هي رِسَالَةٌ قد شابها كثيرٌ من الاجتِزَاءِ والابتِسار، حَتّى أَنَّها لم تَعُد أمينةً لرسالة الخلاص الكَامِلَة التي يُقدِّمها كتابُ العَهدِ الجَديد.

إنَّ رِسالَة الخَلاص المَسيحي أَكبَر مِن ذَلِكَ بكَثير. إنَّها رِسالةُ مَلكوتُ الله الَّذي هُو ثَورةٌ لقلبِ نِظامِ الحُكم في العالَم بأسره. لَكِنَّها لَيسَت ثورةً سِياسِيَةً عَلَنِيَّة، و إنَّمَا هي **ثَورَةٌ سِرِّيَّةٌ** فِي قُلوبِ البَشَر. إنها تِلكَ الخَميرةُ الصَغيرةُ التي أَخَذَتها امرأَةٌ وخَبَّأتها في ثلاثَة أكيالِ دَقيق حَتّى اختَمَرَ الجَميع. هِيَ حَبَّةُ الخَردَل الصَغيرة التي لا تَكاد تُرى، لَكِنَّها مَتى نَمَت تَصيرُ شَجَرَةً كَبيرةً تَأتي طُيورُ السَماءِ لتتآوي فيها.

---

١ لا أقصد بالإنجيلية المفهوم الطائفي المرتبط بالطائفة الإنجيلية (البروتستانتية، أو المُصلحة) و إنما بالأوساط الإنجيلية Evangelical أقصد كل الناشطين في توصيل رسالة الخلاص، المؤمنين بأن الإنسان عليه أن يتخذ قراراً واعياً للتوبة وتسليم الحياة للمسيح، وأنه لا يكفي أن يولد مسيحياً، أو حتى يكون مُتديناً لكي يكون مؤمناً حقيقيا.

هذا الكتاب الصغير هو مُحاولةٌ لتقديمِ شرحٍ مُختَصَرٍ لرسالَةِ الإنجيل كَما يُقَدِّمُها كِتابُ العَهدِ الجَديد وكَمَا عَاشَها المسيحيونَ الأوائِل. ينقسمُ الكتابُ إلى ثلاثة أجزاء. الجُزءُ الأَوَّلُ يتساءَل: **ما هُوَ الإنجيل؟ وما هِيَ رِسالَةُ الخَلاص؟** في هذا الجُزءِ سَوفَ أستَعرِضُ الفَقَراتِ الكِتابِيَّةِ الّتي تَصِفُ رِسالَةَ الخَلاص كَما قَدَّمَها يَسوعُ المَسيح نَفسُهُ في الأَناجيل؛ مَتّى ومَرقُس ولوقَا ويُوحنا. ثمَّ من خلال دراسة فقرات من سفر أعمال الرُسُل سوفَ نَدرسُ كيف قَدَّمَ المسيحيونَ الأوائل رسالَةَ الخلاص؟ ثم من خلال استعراضٍ لبَعضِ الفَقَراتِ الهَامَّةِ في رَسائِلِ بُولسِ الرَسول، سوف نكتشفُ كَيفَ فَهِم رسول المسيح الأَوَّل رسالَةَ الخلاص بشكلٍ عَميقٍ وكَيفَ نَقَلَهَا هو وسائرُ الرُسُل الآخرين، للبَشَر مِن يَهودٍ وأُمَمٍ في الدوائرِ التي أَرسَلَهُم المَسيحُ إليها وهي أورشَليم وكُلِّ اليَهوديَّة والسامِرَة وأَقصَى الأَرض. كُلُّ ذلك قبل أن تُصبِحَ المَسيحيةُ هي الديانَةَ الرَسميَّة للإمبراطورية الرومانية وينفتح الباب على مِصرَاعَيهِ للتأثيرِ اليونانيّ الرومَانِيّ عَلى الفِكرِ المَسيحي والرِسالةِ المَسيحية.

في **الجزء الثاني** سوف أقَدِّم فيه تعريفاً للإيمان بِمُكَوِّناتِهِ الثلاث: **التَصديقُ العَقليّ والعَلاقةِ الحُلوليَّة، والثِقَة الوُجودية.** هَل يُمكنَ أن نَقتَنِعَ عَقلياً أن قيامَةِ المسيح قَد حَدَثَت بالفِعل؟ وكيف أدَّت قيامة المسيح إلى حُلولِ الرُوحِ القُدُسِ الذي يَصنع بَينَنا وبَينَ الله عَلاقةً حُلوليَّة (أي أننا نَصيرُ فيهِ ويَصيرُ فينا) وأخيراً الثِقَةُ الوُجوديَّة التي هِي الدَورُ الإنسانِيّ الذي يَتَفاعَلُ مَعَ العَملِ الإلَهِيّ لتَحقيقِ أَهدافِ العلاقة الحلوليّة في الحياةِ العَمَليَّة واليومية. هذه الثقة الوجودية بالمسيح تُعَبِّر عَن نفسها من خلال الطَاعة لَهُ والثَبَاتِ فِيه.

أما **الجزءُ الثالث** فسوف أحاوِلُ فيه أن أُجيب على السؤال: **ما هو الثمر؟ وما هي الحياة المسيحية الحقيقية؟** إن كانت الثقة الوجودية في المسيح تعني الثبات فيه كما يَثبُتُ الغُصنُ المُثمِرُ في الكَرمة، فما هو إذاً ذَلِكَ الثَمَر، وما هو شكل الحياة التي يريدُ اللهُ أَن يَصنَعها فينا؟

المَقصودُ بهذا الكتاب هوَ أن يكونَ مُرشِداً مُختَصَراً لتقديمِ رسالَةَ الإنجيلِ كَامِلَةً كما قَدَّمَها المسيحُ ورُسُلُهُ الأوَّلون، والحَياةِ وِفقاً لَها بأَقصَى قَدرٍ مِنَ الأَمانة كما عَاشَ المسيحُ وتَبِعَهُ المؤمنون المُخلصون بقيادة الروح القدس.

الجزء الأول

ما هو الإنجيل؟
رسالةُ مَلَكوتُ الله أَم رِسالَةُ غُفرانِ الخَطَايا؟

ما هو «الإنجيل»؟ بالتأكيد ليس الإنجيلُ كتاباً، فكلمةُ «إنجيل»هي تَعريبٌ لكَلِمَةٍ يونانيةٍ تُنطَق «إيوانجيليون» εὐαγγέλιον وتَعني الخَبَرَ السَار أو الحَدَث المُفرِح أو البشارة. وقد اصطُلِحَ على تسمية الكتابات التي تدور حول هذا الخَبَر بالأناجيل كإنجيل متى ومرقس ولوقا، والتي تُسمى تِقنياً الأناجيل المُتشابِهَة (Synoptic Gospels) نَظَراً لتَشابُهِ بِنيَتَها الأَساسِيَّة وتَشابُهِ سَردِ الأَحداثِ بينها. ثم إنجيل يوحنا (الإنجيل الرابع) الذي يختلف قليلاً لكونهِ كُتِبَ في تاريخٍ مُتأخِّرٍ بَعضَ الشَيء،[1] واختُصَّ بأحداثٍ لا تَذكُرها الأناجيل الثلاثة المتشابهة، كَمَا أنَّ لهُ طابعٌ أكثَرَ لاهوتيّة من هذه الأناجيل، خاصَةً في المُقَدِّمةِ التي يبدأُ بها.

في واقع الأمر اصطُلِح أيضاً على إطلاق تسمية «الإنجيل» على كتابِ العَهدِ الجَديدِ كُلِّهِ والذي يحتوي على هذه الأناجيلِ الأربَعَة بالإضافَةِ إلى رَسائلِ الرُسُل بولس وبطرس ويعقوب ويوحنا وسفرَيّ أعمالِ الرُسُل والرؤيا. بَل أن كَثيرٌ من المسيحيين يُطلقونَ لفظةَ «الإنجيل» على الكتاب المُقَدَّس كَكُلّ والذي يحتوي على العَهدَينِ القَديمِ والجَديد.

في الجزءِ الأَوَّل من هذا الكتاب سَوفَ أقومُ باستعراضِ بَعضِ الفَقَرات الّتي تُشيرُ إلى الإنجيل (الخبر السَّار) في كُلِّ كُتُبِ العَهد الجديد، وذَلكَ لكي أُجيبَ عَلى ذلك التَساؤل الذي جَعَلتُهُ

١ تشير أغلب الدراسات أنه قد كُتِب بين سنة ٨٥ و ١٠٠ ميلادية. أقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس.

عُنواناً لهذا الجُزء: هَل الإنجيلُ هوَ رِسالَةُ حُلولِ مَلكوتِ الله ودَعوةِ الإنسانِ لدُخُولِ هَذا المَلَكوت؟ أم أنَّه رسالةُ مَغفرة الله لخَطيَّةِ آدمَ الأَصليَّة عن طريقِ ذَبيحَةِ المَسيح الكفَّارية؟ أم أَنَّهُ رِسالةُ مَغفِرَةِ الخَطايا الشَخصية التي ارتَكَبها كُلُّ إنسانٍ فاستَحَقَّ الذهابَ للجَحيم، ثُمَّ جَاءَ المَسيحُ لِكَي يَحمِلَ هَذِهِ الخَطايا عَلى الصَليب وَيُقدِّمَ للإنسانِ غُفراناً وحَياةً أَبَدِيَّةً في السَماءِ؟ هَذه المَفاهيم الثَلاثة هِيَ المَفاهيمُ التي لَدى أَغلَبِ المَسيحيين عَن الإنجيل (رسالة الخلاص). فَهَل هَذهِ المَفاهيم تَتَكَامَل أم تَتَنَافَس؟ وما هو الأقربُ مِنها لِما يُعَلِّمُهُ العهد الجديد؟

تَتَكَلَّمُ كُتُبُ العَهدِ الجَديدِ عَن الإنجيل بطُرُقٍ مُختَلِفَةٍ وباستخدامِ تَعبيراتٍ مُختَلِفَةٍ مِثلَ؛ **رِسالةِ المَلَكوت، الأُمورِ المُختَصَّةُ بملكوتِ الله، الحَياةِ الأَبَدِيَّة، التَوبَة، الغُفران، المُصَالَحَة، الخَلاص، الفِدَاء** (الفدية)، **التَبرير**، إلخ. فإذا كَانت كتاباتُ العَهدِ الجَديدِ لا تَتَناقَض، فهل يُمكن أن ندخُل في حالة من التَأَمُّلِ العميق والدراسة المُتَأنيّة لكي نَعرِفَ ما هِيَ القَصة الحقيقية التي يُرويها البشيرون والرُسل بطُرُقِهِم المُختلفة، حَتَّى نَصِلَ إلى فَهمٍ مُتكامِلٍ للمَعنى اللاهوتيّ والخَلاصِيّ لحَدَث المسيح ككُلّ؟

الهَدَفُ مِن هَذا الجُزءِ من الكِتاب هُو أَن نَصِلَ إلى التَعريفِ الأَكثرَ دِقَّةً وشمولاً للإنجيل وذَلِكَ بَحَسَبِ نُصوصِ العَهدِ الجَديد المُختَلِفَةِ الَّتي تُشيرُ إلى رِسالَةِ الخَلاص.

الفصل الأول

اقتَرَبَ مَلكوتُ الله فَتوبوا وآمِنوا بالإنجيل

رسالة الخلاص في الأناجيل المُتَشابِهة

في هَذا الفَصلِ سَوفَ أستَعرِضُ الفَقَراتِ التي تُشيرُ إلى «الإنجيلِ» في الأَناجيلِ المُتَشابِهَة؛ مَتّى ومَرقُس ولُوقا لِكَي نَضَعَها بِجانِبِ بَعضِها البَعضِ بصورَةٍ تَجعلَنا نَرى الصُورةَ الكَامِلَةَ التي يُحاول هؤلاء البشيرون التقاطها من زَوايا مختلفة. نَبدَأُ أوّلاً بإنجيلِ مَتّى بحَسَبِ التَرتيب الوارد في كِتابِ العَهدِ الجَديدِ الذي بين أيدينا لنفحصَ الفَقَراتِ التي تُشيرُ إلى بِشارَةِ الخَلاص في هذا الإنجيل:

الإنجيل بحَسَب مَتّى

- مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ٤: ١٧).
- «كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.» (متى ٢٠: ٢٨).
- فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا» (متى ٢٦: ١٢، ١٣).
- فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ. (متى ٢٨: ١٩- ٢٠).

الفَقرةُ الأولى، وهي من الأَصحاحِ الرابعِ، تُقدِّمُ لنا ما يُشبهُ مُحتوى الرسالة التي يَكرزُ (أي يُنادي) بها يسوع وهو: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». والفقرةُ الثانِيَةُ هي الفَقرَةُ الوَحيدةُ في إنجيلِ متى التي يَذكُرُ فيها يَسوعُ لَفظَةَ «الإنجيل» مُشيراً إلى إنَّهُ سَوف يُكرَزُ بِهِ في كُلِّ العالم. والمنطقيّ أنه كانَ يُشيرُ إلى نَفس الإنجيلِ الَّذي كَرَزَ بِهِ هُوَ لأنه يقول: «هذا الإنجيل». أمّا الفقرةُ الثالِثَةُ فهي الفَقرَةُ التي دائماً ما يُشار إليها بوصفها «الإرساليةُ العُظمى»، وهي أيضاً الإنجيل لأَنَّهُ يُرسِلُهُم بِها إلى جَميعِ الأمم مثلما قَالَ في الأَصحاح السادس والعشرين أنّ هذا الإنجيلُ سَوفَ يُكْرَزُ بِهِ في كُلِّ العَالمِ. وكَما نُلاحِظُ من كَلِمَة «تَلمَذة»[٢] وعبارة «يَحفَظوا جَميعَ ما أوصيتُكُم بِه» أنَّ هُناكَ سِمةٌ تَعليمِيَّةٌ تَدريبيةٌ لهَذا الإنجيلُ تَستَهدِفُ تغييرَ البُنيان الفِكري، والشَخصيةِ، والسلوك للمُتَلَقِّينَ لَتلك الرسالة وَلَيسَ مُجَرَّد التَحفيزِ لاتِّخَاذِ قَرارٍ بالإيمان العَقليّ أَو المَحَبَّةِ العاطِفِيَّة، أو مُجَرَّد الثِقَة بذبيحةٍ كَفَّارِيةٍ تَمحُو الذُنوبَ وتَضمنُ نَجاةً من العقابِ الأَبَدِيّ.

إذاً فالإنجيلُ الذي يُشارُ إليه في هذه الفَقَراتِ الثَلاثْ من إنجيل مَتّى هُوَ إنجيلٌ واحدٌ (أي خبرٌ سارٌ واحدٌ) وهو أنَّ ملكوتَ السَموات (مَلكوتَ الله) قَد اقترب. أي أنَّهُ صارَ قريباً مُتاحاً، وأن البَشَرَ مِن كُلِّ الأُمَمِ مَدعوونَ لدُخولِ هَذَا

> ملكوت السموات (ملكوت الله) قد اقترب. أي أنَّهُ صارَ قريباً مُتاحاً، وأن البَشَر من كل الأُمَم مَدعوون لدُخول هذا المَلكوت وتَعَلُّم مَبادِئَهُ والتَغَيُّر إلى الصُورة التي يُمثِّلها هذا المَلكوت فِكرِياً وسُلوكياً

٢ التلمذة في العصر الذي يتكلم فيه المسيح لم تَكُن تلمذةً لنظام تَعليميٍّ أو مُجَرَّدَ غَرسِ أفكارٍ أو مَفاهيم. كانت التَلمَذَةُ في ذلك العَصر اتِّباعاً لشخصِ المُعَلِّم نفسه والاقتداءَ بأُسلُوبِ حَياته كَكُل. هكذا كَانت التلمذة للمعلمين اليهود، وأيضاً للفلاسفة اليونانيين. تلميذُ أرسطو مثلاً لا يَتعَلَّم «من أرسطو» ولكن يَتعلم «أرسطو،» أي يؤمِنُ به ويطبق كل تَعاليمِهِ ويعيشُ نفسَ أسلوبِ حياتِهِ. لذلك يقول بولس الرسول لأهل أفسس: «وأما أنتم فلم تَتَعَلَّموا المَسيح هَكذا.»(أفسس ٤: ٢٠). لذلك قَالَ يسوعُ «ليس التلميذَ أفضَلُ من مُعَلِّمِه»، فلو كانت التلمذة مُجَرَّد تَعَلُّم أفكار مُجردة أو مهنة أو مهارة ينقلها معلم من جيل لجيل، لكان من المُمكِنِ أن يكون التلميذ أفضل من مُعَلِّمِهِ وهَذَا يَحدُثُ كَثيراً. لَكن إن كَانَت التَلمَذَةُ هي تَعَلُّمُ الشخصَ نفسَهُ، فإنَّ قولَ المسيح يَكون صحيحاً، فلا يُمكِنُ مَثلاً أن يكون الشخصُ غمالائيليا أكثر من غمالائيل، أو أفلاطونياً أكثر من أفلاطون، أو مسيحياً أكثر من المسيح.

المَلَكوت وتَعَلُّمِ مَبادِئَهُ والتَغَيُّرِ إلى الصُورةِ الّتي يُمَثِّلَها هَذا المَلَكوت فِكرِيّاً وسُلوكياً، تِلكَ الصُورَةُ الّتي تَجَلَّت كُلِّيّاً في شَخصِ يَسوعِ المَسيح.

يُشبِهُ مَلكوتُ السَمَوات

لا يُمكِنُ أن نَترُكَ إنجيلَ مَتّى قَبلَ أن نُشيرَ إلى أمثالِ مَلَكوتِ السَمَوات. وهذه هي الأمثال التي ساقَها يَسوع لكَي يَفهَم السامعون طَبيعَة ذلكَ المَلَكوت الذي يَكرِزُ باقترابِهِ. في الأَصحاحِ الثالِثِ عَشر من هذا الإنجيل قَدَّمَ المسيحُ عِدَّةَ أمثالٍ تَصويريةٍ عَن مَلَكوتِ الله: أولاً، مَثَلُ الزارِعِ الذي يَبذُرُ بذاراً كثيفةً دُونَ أن يُراعي أينَ تَسقُط (هَذا يُفيدُ الإعلانِ العام والمُناداة بصوتٍ عالٍ للجميع) فَتَقَعُ بَعضَ البذورِ حَيثُ لا يُمكنُ أن تَنبُتَ أساساً مِثلَ ما يَقَعُ على الطريق فتختَطِفَهُ الطُيور. هَذا يُشيرُ إلى الذينَ يَسمعون ولا يفهمون، وذلك ليس لغموضِ الكَلِمَة وإنما لأنَّهُم لا يبذُلونَ جَهداً في التَفَكُّرِ ولا يفتحون قلوبَهُم لرسالةٍ جديدةٍ من الله، بل يَستَسلِمونَ للأَفكارِ المُعتادَةِ المُتوارَثة عَن الملكوت. عندئذٍ يأتي الشريرُ وينزِعُ الكلِمَةَ ويُنسي سامِعَها إيَّاهَا حَتّى لا يَفهَمَهَما. تقع البذورُ أيضاً في التُربة التي لَم يَتِم حَرثُها جَيِّداً فتوجَدُ فيها حِجارةٌ تَمنعُ تَعَمُّقَ الجُذور. وعِندما تُشرقُ الشَمسُ لا تَستَطيعُ الجذورُ القصيرةُ أن تَحصلَ على ما يكفي من الماءِ لمُقاوَمَةِ الحَرارَةِ الشَّديدة فيجِفُّ النبات. هذا هو ما يشير إليه يسوع بعبارة: «مَن يَسمَعْ الكَلِمَةَ فَحالاً يَقبلها بفَرَحٍ، ولكن لَيسَ لَهُ أصلٌ في ذاتِهِ». هذا رُبما يعني أنه قد فَهِمَ فصارَ لَهُ جذرٌ صَغير، وهذا يجعله يَقبلُ الكَلِمَةَ بفرحٍ. لكن لَم يكُن لَهُ «أصلٌ في ذاتِهِ» أي أنَّ هذا الفَهمَ لم يتحوَّل بعدُ إلى قَرارٍ إراديٍّ رُوحِيٍّ بتَغييرِ أُسلوبِ الحَياة. رُبَّما هذا يُقابِلُ ما سَوفَ نقرأُهُ بَعدَ ذَلِكَ عَنِ الذي دُعِيَ لعُرسِ ابن المَلِك فقبل الدعوةَ بفرحٍ لكنه لم يَقبَل ارتداء لِباسَ العُرس الذي يَرمُزُ إلى الاستعدادِ العَميقِ للتغيير. ويُقابِل أيضاً رَمزَ الغُصن الذي لَم يَثبُتُ في الكَرمَة.[٣]

٣ يوحنا ١٥: ١-٢

وتَقَعُ البُذورُ أَيضاً في أماكنَ مزروعةً بزروعٍ أخرى مثلَ الحشائِشِ والأشواك، فيَطلعَان مَعاً وتُنافِس هذه الأشواك النباتاتِ المُثمرة، فتَصيرُ الأخيرةُ نَاميةً لَكن بِلاَ ثَمرٍ، فالثَّمَرُ يَتَطَلَّبُ كَثيراً مِنَ العُصارَةِ وَكثيرَاً مِنَ المياه. هؤلاءِ يُشيرونَ إلى النَاسِ الذين في قُلوبِهِم آلهةٌ أُخرى تَمنَعُ تكريسَهُم الكَامِلِ للمَلَكوت، ذلكَ التكريسُ الذي هوَ ضَرورِيٌّ للتَغيير.

وتَقَعُ البُذورُ أخيراً على الأَرضِ الطَيِّبَةِ التي تَتَوافَرُ فيها كُلُّ العواملِ التي لَم تَتَوافَر في الأنواعِ الأُخرى من التُربة. تُربةٌ زراعيةٌ مُستَعِدَّةٌ للفَهم ولَيسَت طَريقاً، أي أنها عقول تَبحَثُ وتُحاولُ أَن تَفهم ما تَسمَعَهُ ولَيست فقط تسمع للتَسلِيّة والتَعزِيَة الوَقتية. وهي أيضاً تُربةٌ مَحروثَةٌ فَلا تُوجَد بِها أَحجَارُ ميراثٍ قديمٍ من فَهمٍ خَاطِئٍ لمَلكوتِ الله كَمَا كَانَ الحالُ عِندَ أَغلَبِ اليَهودِ السامعينَ ليَسوع. وهي أيضاً تُربةٌ مُستَعِدَّةٌ لأن تُقتَلَعَ مِنها الأشواكِ والحشائِش، أي أنَّها جاهزةٌ للتَخَلُّصِ من كُلِّ الآلهة الغريبة التي تُنافِس مَلكوتَ الله. مِثلُ هَذِهِ التُربةُ هِي التي تُثمر. بَعضُها يُثمرُ ثلاثينَ والآخرُ سِتين والآخر مئة، وهَذا أَيضاً يُشيرُ إلى أنَّ الحَياةَ في مَلكوتِ الله بها رُتَبٌ ودرجاتٌ يَصلُ إليها كلُّ إنسانٍ بحسبِ دَرَجةِ تَكريسه للمَلَكوت. هذا المفهوم يُرَدِّدُ صَدى ما قَالَهُ يَسوعُ في المَوعظةِ على الجَبل عن كَنزِ الكنوزِ في السَّماوِيَّات.[٤] ثم يُواصِلُ يَسوعُ بذِكرَ المَزيدِ من الأَمثال حتى يفهم السامعون طبيعةَ الملكوت. فهناك مَثَلُ الحِنطَةِ والزَوان اللَّذان يَنمِيَانِ مَعاً إلى يَومِ الحَصَاد. ثم حَبَّةُ الخَردَلِ التي هِيَ أَصغَرُ جَميعِ البُذورِ، لكنَّها مَتَى نَمَت تصيرُ شَجَرَةً كَبيرةً. والخَميرَةُ التي أَخَذَتها امرأةٌ وخَبَّأتها في ثلاثَةِ أَكيالِ دَقيقٍ حَتّى اختَمَرَ الجَميع. ثم الكَنزُ المَخفِيّ في الحَقل، واللؤلؤة الواحِدَةُ كَثيرةُ الثَمَن، والشَبكةُ المطروحةُ في البَحر الجامِعةُ من كُلِّ نَوعٍ.

هذه الأمثال تشيرُ إلى عِدَّةِ صِفاتٍ لملكوتِ الله، أرادَ المسيحُ أن يؤكِّدَهَا. الأُولَى أَنَّهُ مَفتوحٌ

٤ متى ٦: ٢٠

ومُتاحٌ للجَميعِ (الزارع الذي يَبذُرُ غَيرَ مُبالياً بنوع التربة، والحَقلُ المَفتوح الذي يُمكن للزوانِ أن يَدخُلَهُ، والشبكةُ المُلقاةُ في البَحرِ جامِعَةً لكُلِّ أنواعِ السَمَكِ بِما في ذلك السَمَكَ السامَّ). الصِفَةُ الثانيةُ هي أنّ هذا الملكوت لَهُ قيمةٌ عُظمى لكِنّها مَخفِيَّةٌ، بحيثُ لا يفَهمها الجَميعُ في البِداية (حَبَّةُ الخَردَلِ والخَميرةُ والكَنزُ المَخفِيُّ في الحقل واللؤلؤةُ الواحدةُ التي لا يُدرِكُ أغلبُ الناسِ قيمتها)، وأخيراً أَنَّ هَذا المَلَكوت سَوفَ يُستَعلَنُ للجَميعِ وسَوفَ يفوزُ بِبَرَكاتِهِ فَقَط مَن عَرَفوا قيمَتَهُ وعاشوا مَبادِءَهُ.

ثم بَعدَ هَذِهِ الأَمثِلَة التَصويريةِ السَريعَة، يُقدمُ يَسوعُ مَثلاً دِرامياً جَميلاً يُجَسِّدُ نَفسَ هَذِهِ القِيَم المَلَكوتية. وهو مثل عُرس ابن الملك.

«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. فَأَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ! وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ، وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ. فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ. فَخَرَجَ أُولئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ»

المَلِكُ هو اللهُ الآب، وابنُ المَلكِ هُوَ المَسيح، والعُرس هو ملكوت الله. العبيدُ هُمُ الأنبياء. أمّا المَدعوون الأوَّلون فهُم شَعبُ إسرائيل، أصحابُ العَهدِ القديم الذين لم يَفهَموا طَبيعَةِ المَلكوتِ الرُّوحِيّة بسَبَب انشغالِهم بِحياتِهم الدُنيوية حَتى أنَّهم أسقطوها على المَلَكوتِ فَظَنّوا المَلكوت مُجَرَّدَ مُلكٍ أرضيّ سِياسِيّ. لذلكَ فإن الغالبية العُظمى مِن هَذا الشَعب لَم تَفهَم رِسالةَ المَلكوت التي أرسَل اللهُ بِها الأنبياء، والبَعضُ أساءَ إلى هَؤلاءِ الأنبياء وشَتَموهُم بل وقتلوا بَعضَهُم وهذه تَهمَةٌ اتَّهَمَهُم بِها يسوعُ صَراحةً في موضعٍ آخر.[٥]

ليسَ ملكوتُ الله فقط دَعوةٌ للجائعينَ للهروبِ مِن الجُوع أو دعوةٌ للخُطاةِ للهروبِ من الدينونة. إنَّها دعوةٌ لتَعَلُّم مَبادئ المَلكوت والتَلمَذة على يديّ هذا المَلك.

هذا المَثَل كغيرهِ من الأمثال السابقة، يؤكد أنَّ مَلكوتَ اللهِ قد اقتربَ وصَارَ مُتاحاً للجَميع وليسَ فقط لشعب إسرائيل. هذا نلحُظُهُ بوضوحٍ في عبارة: «جَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ». الملكوتُ مَفتوحٌ لكَي يَدخُلَهُ الجَميع «كَما هُم»، لَكن لَيسَ لَكي يَظَلّوا «كما هُم» أو ليحوّلونَه كما يُريدُونَ. مَلكوتُ اللهِ لَهُ طَبيعةٌ تُميِّزُهُ، ولَهُ قوانينٌ تَحكُمُهُ وسِماتٌ يَدعو الجَميعَ لاكتسابِها ولا يَقبل أن يُكسِبَهُ أحدٌ سماتٍ ليست فيه. ليس ملكوتُ الله فقط دَعوةً للجائعين للهُروبِ من الجُوع، أو دَعوةً للخُطاةِ للهروبِ من الدَينونة. إنَّه دعوةٌ لتَعَلُّم مَبادئ المَلكوت والتَلمَذةِ عَلى يديّ هذا المَلك. لذلك فإنَّ يسوعَ قد أوصى تَلاميذَهُ أن يُتلمِذوا جَميعَ الأُمَم ويُعَلِّموهُم أن يحفظوا (بمعنى أن يَعمَلوا) كُلَّ ما قَد أوصاهُم به. هذا واضحٌ من مَفهومِ أنَّ كُلَّ من في العُرس يجب أن يكونَ عليهِم «لِباسُ العُرسِ»، فما هيَ قَضيَّةُ لِباسِ العُرس هذه؟

بالطَبع لَيسَ مَطلوباً مِمَّن يَدخُلون إلى العُرس أن يُحضِروا مَعَهُم لِباسَ العُرس، فالعبيدُ قَد

٥ متى ٢٢: ٣٤-٣٦

جَمَعوا الناس من الطُرُق كَما هُم. لذلك فمِنَ الواضحِ مِنَ السِياق أَنَّهُ كَانَ هُناكَ خَدَمٌ عِندَ الباب يُلبِسونَ الداخِلينَ لِباساً خاصاً[٦] فالعُرسُ هو عُرسُ المَلِك وابنِ المَلك ولا يُمكنُ حُضورُهُ إلّا بملابسَ خاصة. ولكونهم لا يملُكون هَذه الملابس، فإن صاحِبَ العُرس يُعطيها لَهم. لقَد دَعا المَلِكُ الكُل كما هُم لكي «يُلبِسَهُم ثياب الخلاص و يكسوهم برداء البِر.»[٧] لكن بالطبع علَيهم أن يَقبلوا لِبسَها.

الملكوتُ خاصٌ جداً ومُقدَّسٌ فِعلاً. نِعمةُ اللهِ مَجَّانِيَة لَكِنَّها ليسَت رَخيصةً، ورَحمةُ الله لا تَتَعارَضُ مَعَ قَداسَتِهِ وخُصوصِيَّتِهِ. وقَد عَلَّمَ المسيحُ تلاميذَه أن يصلوا قائلين: «لِيَتَقَدَّس اسمُك» قَبل أن يُصَلّوا «لِيأتِ ملكوتُك». قَبل أن نَطلُب ملكوتِ الله، يَجِب أن نَعرِفَ ملكوتُ مَن هو؟ إنَّهُ مَلَكوتُ القدُّوسِ الذي عَيناهُ أَطهَرَ مِن أن تَرى الشَّرَ.[٨]

****

٦ شاركني أحد الأصدقاء الخُدام عن عَادَةٍ بَدَوِيَّةٍ راسِخَة، وهي أن المدعوين للولائم التي يقيمها شيوخ الخليج يُلبَسون عِند دخولِهِم عباءةٌ خَاصَّةٌ شفافة فَوقَ ثيابهم كَهَدِيَّة من الشَيخ أو الأمير. هذه العباءة غاليةَ الثَمَن جِداً تعبيراً عن كَرَم الداعي وخُصوصِيَّةِ المُناسبة وهي أيضاً شفافة تعبيراً عن قبول واحترام ثياب المدعو. لذلك يُعَد رَفضُ ارتداء هذه العباءة إهانةً كَبيرةً لصاحبِ الوليمة. لعل هذه الثياب تشير رمزياً إلى أن الله يدعوا الناس كما هُم لكِنَه يُضفي عليهم شَخصِيَّةِ المَلكوت دُونَ رَفضِ شَخصياتِهِم التي قد خَلَقَها مُمَيَّزَة و يَحترم، بل و يَحتفل، بتَمَيُّزِها وتَمايُزِها.

٧ إشعياء ٦١: ١٠

٨ حبقوق ١: ١٣

بعد إنجيلِ مَتَّى يأتي إنجيلُ مَرقُس، وهو الإنجيل الثاني بحَسَبِ ترتيبِ الأَناجيل في كِتابِنا المُقَدَّس و إن كان تاريخياً هو أقدَمُ البشاراتِ المكتوبة. فيما يلي بَعضُ الفَقَراتِ التي تُشيرُ إلى الخَبرِ السَّار في هذا الإنجيل:

الإنجيل بحَسَب مَرقُس

- وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ **بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ** وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا **بِالإِنْجِيلِ**» (مرقس ١: ١٤- ١٥)
- فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ.» (مرقس ٢: ١٧).
- وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ **الإِنْجِيلِ** فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ.» (مرقس ٨: ٣٤ – ٣٨).
- وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هُهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا **مَلَكُوتَ اللهِ** قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ.» (مرقس ٩: ١)
- وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ **مَلَكُوتَ اللهِ**. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ». فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ. (مرقس ١٠: ١٣- ١٦).
- فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى **مَلَكُوتِ اللهِ**!»

فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهُمْ: «يَا بَنِيَّ، مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى **مَلَكُوتِ اللهِ**! مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى **مَلَكُوتِ اللهِ**» فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ.» (مرقس ١٠: ٢٣- ٢٧).

- فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ **مَلَكُوتِ اللهِ**». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ! (مرقس ١٢: ٣٢- ٣٤).
- «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.» (مرقس ١٠: ٤٥).
- وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا، هذَا هُوَ جَسَدِي». ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيدًا فِي **مَلَكُوتِ اللهِ**».(مرقس ١٤: ٢٢- ٢٥).
- أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ. وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا **بِالإِنْجِيلِ** لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. (مرقس ١٦: ١٤- ١٥).

في هَذِهِ الفَقَرات نَجدُ أَنَّ يَسوعَ يُسمِّي ما يدعو إليه عِدةً تسمياتٍ مُترادفة وهي **بشارة ملكوت**

الله والإنجيل والتوبة. لا يستطيع أحد أن يُجادِل في أن التعبير المُفَضَّل ليسوع هو تعبير **ملكوت الله.** لذلك يَحِقُّ لنا إذاً أن نُفَسِّر كُل التعبيرات الأُخرى في ضَوئِهِ. فالإنجيلُ هو بِشارةُ حُلولِ مَلَكوتِ الله، والخَلاصُ هو دُخول هذا الملكوت والتَوبَةُ هي التَوبَةُ عن الحَياةِ في مَلكوتِ العَالَم والذَات، بدلاً من ذلك الملكوت الذي قد أَتى وصَارَ مُتاحاً.

يُشبِهُ ملكوت السموات

إذا اقتَفَينا أَمثالَ الملكوتِ في إنجيل مَرقُس كَمَا فَعَلنا في إنجيلِ مَتّى، فسوفَ نَجِدُ عَدَداً أقلَّ من الأمثال لكنها تُفيدُ نَفسَ المَعَاني الَتي وَجَدناها في إنجيلِ مَتّى. يبدأُ ذِكرُ الأَمثَالِ في الأَصحاحِ الرَابِعِ من إنجيل مَرقس أيضاً بِمَثَلِ الزارعِ كَمَا هوَ الحال في إنجيل متى. ثم تأتي بعدُهُ أمثالٌ أُخرَى كُلها تفيد النُمُوّ البَطيءِ في الخَفاء ثم الظُهورِ المَجيد الذي يَجعل مِنَ الصَعبِ التَصديق بوجودِ علاقَةٍ بَين هَذا النُموّ الكامِل والبدايات الصغيرة التي كان قد بَدأ بِها. فنَجِدُ مَثَلَ البِذارِ النَامية الّتي يُلقِيها إنسانٌ عَلى الأَرض وينامُ ويَقومُ لَيلاً ونهاراً والبذارُ يطلعُ ويَنمو وَهوَ لا يَعلَمُ كَيف، لأَنَّ الأَرضُ مِن ذَاتها تأتي بثمر، أولاً نباتاً ثُمَّ سُنبُلاً، ثم قمحاً في السُنبُل.[٩] أيضاً مَثَلُ حَبَّةُ الخردل التي متى كَمُلَ نُمُوُّها لا يُصَدِّق أحد أن هذه الشجرة العظيمة قد جَاءَت من بذرةٍ لا تكاد ترى من فَرطِ صِغَرِ حَجمِها.[١٠]

****

٩ مرقس ٤: ٢٦-٢٨

١٠ مرقس ٤: ٣٠-٣٢

أخيراً نأتي إلى إنجيل لوقا والذي تَجمَعُهُ بإنجيلِ متى تَشابُهاتٍ كَثيرةٍ حَتّى أَنَّ بَعضَ الدارسين يَعتقدونَ أنَّ هَذينِ الإنجيلَين قَد استَقيا الأَحداثِ التي يسرِدانها مِن بَعضِهما البَعض أو من مَصدرٍ أو تَقليدٍ شَفَهِيٍّ واحدٍ. هَا هي إذاً بعضُ أَهَمِّ الفَقَراتِ التي تُشيرُ إلى الخَبرِ السار في إنجيل لوقا:

الإنجيل بحَسَب لوقا

- وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ خَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ الْجُمُوعُ يُفَتِّشُونَ عَلَيْهِ. فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ لِئَلاَّ يَذْهَبَ عَنْهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضًا **بِمَلَكُوتِ اللهِ**، لأَنِّي لِهذَا قَدْ أُرْسِلْتُ» (لوقا ٤: ٤٢- ٤٣).
- فَقَالَ بُطْرُسُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ». فَقَالَ لَهُمُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا مِنْ أَجْلِ **مَلَكُوتِ اللهِ**، إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.» (لوقا ١٨: ٢٨- ٣٠)
- وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ». حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ. مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي.» (لوقا ٢٤: ٤٤- ٤٩).

هُناكَ الكثيرُ مِنَ المَقولاتِ المَوجودَةِ فِي مَتّى ومَرقُس مَوجودةٌ أيضاً في لوقا، لَكِنَّني اخترتُ هُنا بَعض من الفقراتِ المُمَيَّزة الموجودة في إنجيل لوقا. وببساطةٍ شديدة إذا وضعنا هذه الفقرات بجوار بعضها البعض نجد أيضاً إنَّ رِسَالةَ التوبة ومَغفرةُ الخَطايا هي نَفسَها رِسالَةُ المَلكوت.

يشبه ملكوت الله

لَم يستَفِض لُوقا كَثيراً في سَردِ أمثالِ مَلَكوتِ السَموات (ملكوت الله)[11] ولَكِنَّهُ اقتبس، مع مَثَلِ الزارع الموجود في الأناجيل المتشابهة كُلِّها،[12] فَقَط مَثَلَين مِن أَمثِلَة المَلَكوت وهُما حَبةُ الخَردل التي أَخَذَها إنسانٌ وألقاها في بُستانِهِ فنَمَت وصَارت شجرةً كبيرةً وتآوت طيورُ السَماءِ فِي أَغصانِها، والخَميرة التي أَخذَتَها امرأةٌ وخَبَّأتها في ثَلاثَةِ أكيال دَقيق حَتى اختَمَر الجَميع.[13] وهُما أيضاً يشيرانِ إلى النُمو في الخَفاء حَتّى يأتي الاستعلانُ الكاملُ الذي لا يُمكِن إلا أن يراه الجَميع.

١١ لا يجد لوقا غضاضة أن يشير إلى الملكوت بعبارة «ملكوت الله» لأنَّهُ في الأساس إنجيلٌ مُوَجَّهٌ للأمم. أما في إنجيل متى المُوَجَّه لليهود فتمت الاستعاضة عن لفظ الجلالة بكلمة «السموات» لأن اليهود لا ينطقون اسم الله عَمَلاً بوصية عدم ذكر اسم الله باطلاً.

١٢ لوقا ٨: ٥- ١٥

١٣ لوقا ١٣: ١٨- ٢٠

الفصل الثاني

توبوا لتُمحَى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من قبل الله

رسالة الخلاص في سفر أعمال الرُسُل

مُراعاةً للتَسَلسُلِ التَاريخِيّ لكِتاباتِ العَهدِ الجَديد، فَإنَّني سَوفَ أَتَناوَل سِفرَ أعمالِ الرُسُل وكِتاباتِ بُولسِ الرَسول قَبل إنجيل يُوحنا الذي يُعتَبَرُ أَحدَثَ هَذه الكتابات. في واقعِ الأَمر لَو تَوَخَيتُ التَرتيبَ التَاريخِيّ بدِقَّة لبدأتُ برسائِلِ بولس (وبالتحديد رِسالَتِهِ الأُولى إلى أهل تسالونيكي باعتبارِها أَقدَمُ ما كُتِب من أسفار العهد الجديد)، لَكِنَّني لَم أفعل ذلك بسبب الطبيعية التاريخية الطَازَجة للأَناجيل المُتَّفِقَة في إشارتها لأحداث الإنجيل و إن كانت قد كُتِبَت في تاريخٍ تالٍ لرسائل بولس. وفي كتابه الجديد يُسجل اللاهوتي الأسقفي ن. ت. رايت (N. T. Wright) إعجَابِهِ بالتزام كُتَّابِ الأناجيل بشكلٍ صارِمٍ أن يكتبوا فَقَط ما حَدَث دون الانخراطِ في القَضايا اللاهوتيَّةِ التي كَانت مُثارةً وقتَ كتابَتِهِم لِهَذِهِ الأناجيل.[14] هَذا يؤكِّدُ عَلَيهِ أيضاً لُوقا البَشير في مُقدِّمةِ إنجيلِهِ وسِفرِ أَعمالِ الرُسُل.[15] ولَعَلّ هذا يُعَلِّمنا دَرساً، وهو أنَّ الأَحداثِ الخَلاصِيّة والإيمانَ بوقُوعِها وتأثيرَها وانتظارَ ما يَلي من أحداثٍ خَلَاصِيّة، لَهوَ أهمُ كثيراً من القضايا اللَاهُوتيّة الفَرعِية التي يَتِمُّ الاختلافُ حَولَها.

الإنجيل بحَسَب أعمال الرُسُل

- «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ

14 N. T. Wright *The Day The Revolution Began*, (San Francissco :HarperOne, 2016)

١٥ لوقا ١: ١-٤ ؛ أعمال الرسل ١: ١

صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ. لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي، لِكَيْ لاَ أَتَزَعْزَعَ. لِذلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ. أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هذَا الْيَوْمِ. فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا. **فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ. وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ، سَكَبَ هذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ.** لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا» (أعمال ٢: ٢٢- ٣٦)

- «وَالآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا. وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ، أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ، قَدْ تَمَّمَهُ هكَذَا. **فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ.** فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ دَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهذِهِ الأَيَّامِ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ

الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. إِلَيْكُمْ أَوَّلاً، **إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ.**» (أعمال ٣: ١٧- ٢٦)

- فَفَتَحَ بُطْرُسُ فَاهُ وَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ. الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ. أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الأَمْرَ الَّذِي صَارَ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ، بَعْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي كَرَزَ بِهَا يُوحَنَّا. يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ. وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ فِي كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي أُورُشَلِيمَ. الَّذِي أَيْضًا قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ، وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ **كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا.**» (أعمال ١٠: ٣٤- ٤٣).

هَذِهِ هِي العِظات الثلاث التي بَدَأَ بها التلاميذُ كِرازَتَهُم لليَهودِ في يَومِ الخَمسين (أعمال ٢). ثُمّ في الهَيكلِ بَعدَ شفائهم للمَشلول (أعمال ٣)، وفي بيتِ كرنيليوس (أعمال ١٠). في هَذِهِ العِظات نَجِدُ أنَّ بُطرسَ يَسرِدُ ما يُمكن أن نُسَمِّيه «حَدَثَ المسيح»، أي خِدمَتَهُ وصَلبَهُ ومَوتَهُ وقِيامَتَهُ وصُعودَه وجُلوسَهُ عَن يمينِ الآب وسَكبَهُ الرّوحَ القُدُسَ الذي استُعلِنَ في يَومِ الخَمسين والذي مَنَحَ التَلاميذَ الجَسارَةَ أن يَشهَدوا عن القيامة والقُوَّةَ أن يُشفوا المُقعَدَ. وبعد هذا السَردِ يَدعو السَامِعينَ أَن يَتوبوا. فَتَارَةً يقولُ: «**تُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ.**» وتارة يقول: «**كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا.**»

في هَذِهِ العِظات دَعوَةٌ للتَوبَةِ وغُفرانِ الخَطايا دونَ ذِكرٍ واضِحٍ لعِبارَة: «مَلكوتِ الله» أو «مَلكوتِ السّمواتِ». وأتَصَوَّر أنَّ الفَهمَ السَطحي لهَذِهِ العِظات هُوَ أحد أهمِّ أسبابِ تَحويلِ الإنجيل إلى مُجَرَّدِ رسالَةِ غُفران خطايا، وذلكَ بالانفِصَالِ عَن السِياقِ العام للأناجيل ولسِفرِ أعمالِ الرُسُل نفسه، الذي يشهد لكل ذي عَينَين أنَّ رسالته هي أيضاً رِسالَةُ مَلكوتِ الله. وهذا مَا سَوفَ أقومُ بإبرازِهِ الآن بسَردِ المَواضِعِ التي تَشهَدُ بذَلك.

- اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ، بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ. ٣اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ **الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ**. (أعمال ١: ١- ٣)
- وَكَانَ قَبْلاً فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلاً إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ». وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلاً بِسِحْرِهِ. وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ **بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ** وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالاً وَنِسَاءً. وَسِيمُونُ أَيْضًا نَفْسُهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلاَزِمُ فِيلُبُّسَ، وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَّاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى انْدَهَشَ. (أعمال ٨: ٩- ١٣).
- ثُمَّ رَجَعَا إِلَى لِسْتِرَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَنْطَاكِيَةَ يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَ التَّلاَمِيذِ وَيَعِظَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ، وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ **يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ**. (أعمال ١٤: ٢١).
- ثُمَّ دَخَلَ الْمَجْمَعَ، وَكَانَ يُجَاهِرُ مُدَّةَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ مُحَاجًّا وَمُقْنِعًا **فِي مَا يَخْتَصُّ بِمَلَكُوتِ اللهِ**. (أعمال ١٩: ٨).
- وَالآنَ هَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي أَيْضًا، أَنْتُمْ جَمِيعًا الَّذِينَ مَرَرْتُ بَيْنَكُمْ **كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ**. (أعمال ٢٠: ٢٥).

- فَعَيَّنُوا لَهُ يَوْمًا، فَجَاءَ إِلَيْهِ كَثِيرُونَ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَطَفِقَ يَشْرَحُ لَهُمْ شَاهِدًا بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمُقْنِعًا إِيَّاهُمْ مِنْ نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ بِأَمْرِ يَسُوعَ، مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ..... وَأَقَامَ بُولُسُ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي بَيْتٍ اسْتَأْجَرَهُ لِنَفْسِهِ. وَكَانَ يَقْبَلُ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمُعَلِّمًا بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ، بِلاَ مَانِعٍ. (أعمال ٢٨: ٢٣، ٣٠)

إذاً لا تَزالُ الرِسالَةُ هي رسالة ملكوتِ الله، وبالتالي فإنَّ قَضيةَ غُفران الخَطِيَّة هي مُتَضَمَّنةٌ في دُخولِ المَلَكوت والتَغَيُّر إلى صُورةِ المَلكوت. ذلك الملكوتُ الذي قَد أَتى بالفِعلِ في إعلانٍ يعتَبَرُ سِرِّيّاً بالمُقارَنةِ بالاستعلانِ الكَامِلِ لَهُ عِندما يأتي المَسيحُ ثانيةً وتصيرُ مَشيئةُ الله على الأَرض تماماً كَما هي في السماء.

ليسَ الخَلاصُ مُجَرَّدَ هُروبٍ مِنَ العِقابِ الإلهي لخَطِيَّةِ آدمَ، وتَركِ هَذه الأرض وهذا الجَسَد للذهاب للسماء لنقضي أبديةً غير جَسَدِيّة. الخَلاصُ هو عَودَةُ الإنسانِ للغَرَضِ الذي كَانَ قَد خُلِقَ من أجلِه، وَهوَ أن يَحيا كَمواطنٍ صَالحٍ طَائعٍ في مَلكوت الله.

هذه هي رِسالَةُ الخَلاص. لَيسَ الخَلاصُ مُجَرَّدَ هُروبٍ مِنَ العِقابِ الإلهي لخَطِيَّةِ آدمَ، وتَركِ هَذه الأرض وهذا الجَسَد للذهاب إلى السماء لنقضي أبديةً غَير جَسَدِيّة. الخَلاصُ هو عَودَةُ الإنسانِ للغَرَضِ الذي كَانَ قَد خُلِقَ من أجلِه، وَهوَ أَن يَحيا كَمواطنٍ صَالحٍ طَائعٍ في مَلكوت الله. وإذا عُدنا أيضاً إلى عِظَة بطرس وتَأَمَّلنا دَعوَتَهُ الكِرازِيَّةَ الأَخيرة، فسوفَ نَجِدُ أَنَّها تَضَعُ غُفرانَ الخَطايا في إطارِعَمَلٍ إلهِيٍّ عَظيم أَكبَرَ مِن ذَلكَ بكثير. يقول بُطرسُ: **فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ.**

إن «إتيانَ أوقاتِ الفَرَجِ» الذي يتكلم عنه بُطرُس هُنا، لَيسَ سُوىَ الحُلولِ الكَامِلِ لمَلكوتِ الله الذي سوف يَتَحَقَّقُ بمَجيءِ المَسيح الثاني، والذي أَشارَ إليهِ بعبَارَةِ «يُرسِلَ يَسوعَ المَسيحَ المُبَشَّرَ بِهِ لَكُم قبلُ». إنَّ مَجيءَ المَسيحِ الثاني هُوَ المَجيءُ القَوِيّ الانتصاريّ الَّذي سَوف يؤسس مَلَكوتِ الله عَلى الأَرض وهوَ الحُلمُ الذي بَشَّرَ بِهِ أَنبياءُ العَهدِ القديم والّذي شَغَلَ بَالَ اليَهودِ عَبرَ القُرون. لَيسَ الخلاصُ التامُّ هو غُفرانُ الخُطايا لكي «نَذهَب» إلى السماء، و إنَّما أَن «يأتي» يسوعُ المُسيحُ من السَماء. لقد صَعِدَ إلى السَماء (كان ينبغي أنَّ السماءَ تَقبَلَهُ) حتى يأتي الوَقتُ وتَحُلُّ علينا «أزمِنَةُ رَدِّ كُلِّ شَيءٍ». إنَّها أَزمِنَةُ انعِتَاقِ الخَليقةِ من عُبودِيَّةِ الفَساد إلى حُرِّيَّة مَجدِ أولاد الله.[١٦] إنها أَزمِنَةُ أفتداءِ أَجسادنا.[١٧] إنها أَزمِنَةُ تَغييرِ شَكلِ جَسَدِ تَواضُعِنَا لِكَي نكونَ عَلى صُورَةِ جَسَدِ مَجدِهِ حَسَبَ استطاعَتِهِ أَن يُخضِعَ لنفسِهِ كُلَّ شيء.[١٨]

هَذا يَجعلنا نُدرِكُ أنَّ «الخَطِيَّةَ» التي يَتكلَّمُ عَنها يسوع في كِرازَتِهِ وأَمثالِهِ عَن الملكوت، والتي يَتَكَلَّمُ عَنها الرُسُلُ في كِرازَتِهِم بمَلكوتِ الله، هِيَ خَطِيَّةُ عَدَمِ دُخولِ مَلكوتِ الله وبَقاءِ كُلِّ واحِدٍ في مَلَكوتِهِ الشّخصِيّ بينما قَد جَاءَ مَلكوتُ الله. لَم يكُن «الأَكَلُ من الشجرة» سُوى رَمزاً لإرادَةِ البَشَرِ أن يعيشوا مَلَكُوتَهُم الشَخصِيّ و يصيروا كالله عارفِينَ الخَيرَ والشَّرَ بأنفُسِهِم بمَعزِلٍ عَن الله.[١٩] هَذِهِ هي الخَطيةُ وهَذَا هُوَ المَوتُ الرُوحِيّ، وهذا هُوَ الجحيم. الجحيمُ ليس الآخرين كَما قَالَ سارتر (Sartre)، و إنما هُوَ الاعتقالُ الأَبَديّ بين جُدران الذات.

ليسَت الخَطية هي مُجَرّد عصيان الله في أمرٍ، وليس العِقابُ هو انتقام الله لكرامَتِهِ الجَريحة. ليس االلهُ مثلَ الآلِهَة الوَثَنِيّة (سَواءِ الكَنعانِيَّةِ أو البَابِلِيَّةِ أو الإغريقِيَّة)، ولا مثلَ آبائنا الأرضيين

١٦ رومية ٨: ٢١

١٧ رومية ٨: ٢٣

١٨ فيلبي ٣: ٢١

١٩ لاحقاً سوف نتأمَّل تداعيات هذه «الخطية» والتي تظهر بوضوح حالياً في الفلسفة البعد حداثية التي تقول بأنه لا يوجد خيرٌ و شَرٌّ عام وكونيّ بل أن خير كلّ إنسان هو ما يراه هو، في ذلك الوقت، خيراً، ويُمكن أن يَختلفَ «الخيرُ» من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر، ومن وقتٍ لآخر.

الذين صَنعنا أوثاننا على صُورَتِهم،[٢٠] يثورونَ لكَرَامَتِهم و يُعاقِبونَ فِي غَضَبِهِم أَبناءَهُم وبَنَاتِهِم لأنَّهُم عَصَوهُم. هذا التصويرُ للخَطِيَّةِ وللخَلاصِ يُنافي المَنطِقَ لذَلِكَ فإنّهُ يَجعَلُ كثيرينَ يقولون: «هل كُلُّ هذا من أجل مُجَرَّد العصيان؟! هَل كُلُّ هذا من أَجل مُخالفَةِ وَصيةٍ وأكلٍ من شَجَرةٍ؟» لِمَاذا لا يَغفِرُ اللهُ هَذا الخَطأ؟ أليسَ مِن واجِبِ الآباءِ المُحِبِّين أَن يَعفروا دُونَ انتقامٍ، وبالأَخَصِّ دُونَ انتقامٍ من بريء؟ (إشارة إلى فكرة أنّ الخَلاص هُوَ أَنَّ اللهَ قَد انتقَمَ لعَدالتِه ووصيته المَكسورة من يسوع المسيح).

ليس المُوتُ هو أُجرة الخطية لأن الذي قد تَمّ الخطأ في حَقِّهِ هوَ الله. فالعقوبة كبيرة لأنَّ الله كبير، كما للاسف يتم تقديم مفهوم الخطية كثيراً في الوعظ الكرازي. وهو مفهوم يتنافى مع الحقيقة التي يقدمها تعليم العهد الجديد كُلُّهُ والتي تُفيد بأن الكبير هو الأَقدَرُ عَلى الغُفران ولَيسَ الأكثرَ انتقاماً. المَوت هو أُجرة (نتيجة) الخطية بِبَسَاطة لأنّ الخطية هي اختيارٌ وُجوديّ بالخروج خارِجِ الحَياةِ الحَقيقيَّة. إنَّ الخطية هي حَالَةٌ مُميتَةٌ من دَوَرانِ الإنسانِ حَولَ نَفسِهِ. إنها رَفضُ الحَياة الحقيقية والانخداع بحياةٍ ليسَت هِيَ الحَياة. ولَيسَ الخلاصُ إلّا فَتحٌ لبابِ الحَياة الحقيقية، ومَن لا يَدخلُ مِنهُ يبقى في حالته المَيِّتة روحياً. إنها الحياةُ الأَبَدِيّة في مُقابِل الموتِ الأَبَديّ.

ولعل من أوضَحِ الأَمثِلةِ التي نَراها لذلك هُوَ مَرَضُ الإدمان الذي يجعلُ الإنسانَ يدورُ حَولَ نَفسِهِ في دائرةٍ مُفرَغَةٍ حَتّى يَموت. والمُثيرُ للاهتمام أن البرنامج الأنجَحَ لِعلاجِ الإدمان (برنامج «المدمنون المجهولون») هو برنامج رُوحِيّ مُشابِهٌ تَماماً للإنجيل، ومن أَهَمِ شِعاراتِه:

٢٠ الوثنية ببساطة هي أننا صنعنا آلهةً عَلى صورَتِنا البشرية تجسيداً لعبادتِنا لأَنفُسَنا ودَورانِنا حَولَها. أمّا الإلهُ الحقيقيّ فهو الذي على العكس من ذلك، قد صَنَعَنَا هُوَ على صُورَتِهِ وبالتالي نحن لا نعودُ إلى ذواتِنا الحَقيقية إلا عندما نعودُ ونكتَسِبُ هَذِهِ الصورة وذلك بان نَعبَدهُ وندورُ حولَهُ كما قد صُمِّمنا في الأساس. إننا مثل الأرض التي لا تتواجد عليها الحياة إلا إذا دارت حول الشمس. وهذا يقوله المسيح ببساطة في يوحنا ١٧ عندما يقول: «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدَكَ و يسوعُ المَسيحُ الذي أرسَلتَهُ.» (يوحنا ١٧: ٣).

«يوجَدُ إلهٌ، وَهوَ لَيسَ انت!» ولَنا في الكونِ المادِّي أيضاً مثالاً واضِحاً. فالكَوكَبُ الذي يَنفَصِلُ و يَتَوَقَّف عَن الدوران في مدارِهِ حول نَجمِهِ (إلهه) فإنه يُفقَدُ في الفَضاءِ إلى الأَبد، لَيسَ عَقاباً و إنَّما نتيجةٌ طبيعيةٌ لأَنَّهُ هَذِهِ هِيَ طَبيعةُ الوُجود.

لَيسَت رِسالَةُ الخلاص إنَّ اللهَ يُريدُ أَن يُعاقِبَ مِثلَما يُعاقِبُ مَلِكٌ أو أَبٌ قد جُرِحَت كرامَتَهُ أو انتُهِكَت قوانينَهُ الأخلاقية، وفي مَحَبَّتِهِ اختارَ أن يُعاقِبَ يسوعَ بدلاً منا كَحَلٍّ لصراعٍ بين عَدلِهِ ومَحَبَّتِهِ (وهَذِهِ للأَسف الطَريقَةُ المُعتادَة لتقديم رِسالَة الإنجيل في الأَوساط الإنجيلية). رِسالَةُ الخَلاص ببساطةٍ هِيَ أنَّ اللهَ يُريدُ أَن يُدخِلَنا الحَياة وأن نَتوبَ عَن خَطيَّتنا العُظمَى وَهي البَقاءُ خَارِجَ «عُرس ابن المَلِك» واهتمامِ كُلّ واحدٍ بحقلِهِ أو تجارَتِه.[٢١]

في الفَصل التالي سوف نَعرِفُ مِن أَين جَاءَت فِكرَةِ الكَفَّارة البديلة، أو البَدَلِيَة العِقابِيَة (Penal Substitution) وكيف أَنَّها مَجهودٌ لاهوتِيّ تَمَّ في العُصورِ الوُسطَى لشَرحِ رِسالَةِ الإنجيل. هذا المجهودُ أَفادَ كَثيرينَ وسَاعدَهُم عَلى دُخولِ مَلَكوتِ الله، لَكِنَّهُ أَيضاً أَعاقَ كثيرين عن الدخول، وبالذات في عصرِنا هذا، لَيسَ فَقط بِسببِ الصُّورةِ التي يُقدمها عن الله، ولَكن أَيضاً لأَنَّهُ يَغفَلُ الكَثيرَ من مُكوِّناتِ رِسالَةِ الخَلاص، بل يغفلُ بؤرَتَها الحَقيقية ومَحوَرَها الذي تَدورُ حولَه، وهو مَلكوت الله.

٢١ متى ٢٢:٥

الفصل الثالث

المسيح مات من أجل خطايانا حَسَبَ الكُتُب

رسالة الخلاص في رسائل بولس

المسيحُ مَاتَ مِن أَجلِ خَطايانا حَسَبَ الكُتُب. هل يعني هذا أَنَّ الله اقتَصَّ لعدالَتِهِ من المسيح بَدَلاً عَنّا كَمَا تُقَدِّم رِسالةُ الخلاص في أغلب الأحوال في الأوساط الإنجيلية؟ لكَي نَفهَمَ كَيفَ كانت رسالة الإنجيل التي بَشَّر بها بولس، ونَرَى ما إذا كانت مُختَلِفَةً عَن الإنجيل الذي بَشَرَ بِهِ يَسوع وبَشَّرَ بِهِ التلاميذ الآخرون،[٢٢] سَوفَ نَستعرِضُ بَعضَ الفَقراتِ الهَامَّةِ من رَسَائِلِهِ والَّتي تُشيرُ إلى الخلاص والغفران والفداء والمُصالَحَة وغَيرَها من المُصطَلَحاتِ التي يَستخدمَها العَهدُ الجَديد للإشارة إلى الإنجيل.

لقد كان واضحاً من سَردِنا لفقراتٍ من سِفر أَعمال الرُسُل أنَّ بولسَ لم يكُن يكرِزُ إلّا بمَلَكوتِ الله، ولَم يَختلف في ذَلكَ عن يسوعَ أو التَلاميذ الأوائل. فهل نَستَطيعُ أَن نَرَى ذلكَ أيضاً في رسائله؟ هذا ما سوف أحاول أن أجيب عنه في هذا الفصل.

الانجيل بحَسَب بولس

- أَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي **بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ**، لأَنَّهُ **قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ** لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا.» (رومية ١: ١٦- ١٧).

---

٢٢ بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضًا لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ. غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ. وَهذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. (غلاطية ٢: ٧- ١٠).

- لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ. فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. **ولكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.** فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ **مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ!** لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ **قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ**، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ. (رومية ٥: ٦- ١١).
- وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ **بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ**، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ،وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: **أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ،وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ.** وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا. لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ، أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً، لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ. وَلكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا، وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً، بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلكِنْ لاَ أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي. فَسَوَاءٌ أَنَا أَمْ أُولئِكَ، هكَذَا نَكْرِزُ وَهكَذَا آمَنْتُمْ. (كورنثوس الأولى ١٥: ١- ١١)
- لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، **مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ،** إِذْ

أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. (أفسس ١: ١٥- ٢٣).

- وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضاً، **اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.** لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا. (أفسس ٢: ١- ١٠).

- وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ **الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ،** إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، الْمَكْرُوزِ بِهِ فِي كُلِّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ، الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ. (كولوسي ١: ٢١- ٢٣)

- بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، **لأَجْلِ وَعْدِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ....** فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا، وَلاَ بِي أَنَا أَسِيرَهُ، بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ

الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي **أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ**. الَّذِي جُعِلْتُ أَنَا لَهُ كَارِزًا وَرَسُولاً وَمُعَلِّمًا لِلأُمَمِ. لِهذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذِهِ الأُمُورَ أَيْضًا. لكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ. (تيموثاوس الثانية ١: ١، ٨- ١٢).

- لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ **نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ**، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ، **مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ. تَكَلَّمْ بِهذِهِ، وَعِظْ، وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ. لاَ يَسْتَهِنْ بِكَ أَحَدٌ. (تيطس ٢: ١١- ١٥).

في هذه السيمفونية من الفَقَرات التي اقتبستُها مِن رَسائِل بولس نَجِدُ نَفسَ النَغَماتِ المَوجودَة في سِفر الأَعمال، فلَم يَكرِز بولسُ بإنجيلٍ آخر غَيرِ الذي كَرَزَ بِهِ بُطرُس وفيلُبُّس وكُل التلاميذ ومن قبلهم يسوع نفسه. **النغمة الأولى تُعَبِّر عن حالَةِ الخَطِيَّة** التي نَحنُ فيها والتي يَصِفها بأنها حَياةٌ جَسَديَةٌ ومَوتٌ رُوحيٌّ، بمعنى الانفِصَال عَن ملكوت الله ودَورَان البَشَر في مَلَكوتِهِم الإنسانيّ الخاص. نَسمعُ هذه النغمة من خلال تعبيرات مثل «لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» و«المسيحُ مَاتَ مِن أَجل خَطايانا» و «ونَحنُ أمواتٌ بالخَطايا أحيانَا مَعَ المَسيح» و«بَذَلَ نَفسَهُ لأجلِنَا لكَي يَفدينا مِن كُلِّ اثم.»

النَغَمَةُ الثَّانية الَّتي مَنطقياً تَتبَعُ نَغمَةِ الخَطيَّة هِيَ نَغمَةُ المُصالَحَة. أَي أَنَّنا كُنا في حَالَةِ عَداءٍ مَعَ الله وقَد صَالَحَنا اللهُ مَعَ نَفسِهِ. نَسمَعُ عن نَغمَةِ المُصالَحة مِن خِلالِ تعبيرات مِثلَ «قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ» و «قَد صولحنا مع الله بمَوتِ ابنِهِ» و «نِلنَا به المُصالَحة».

النغمة الثالثة في هذه السيمفونية هي نَغَمَةُ الحَياةِ الجَديدة/ الخَليقَة الجَديدة/المِيراثُ الجَديد الأبَدي. نَسمعُ هَذِهِ النَغَمَة في فَقَراتٍ مَجيدة مثل: «مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ.» و«أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» و «وَعد الحياة في يسوع المسيح» و «أنار الحياةَ والخُلود بنور الإنجيل.» و «الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»

و إذا تساءَلنا مَا هُوَ الإطارُ الهَارمُونيّ الَّذي يَجمع هذِهِ النَغَمَاتِ الثلاث؟ فَسَوف لَن نَجد إجابةً أيضاً إلّا مَفهوم «ملَكوتُ الله». الخَطِيَّة هي عَدَم عِبادة الله وعَدَم الدُخولِ في مَلَكوتِهِ، والعَداءُ هو الحياةُ في مَلكوت الذات بدلاً من مَلَكوتِ الله. على سبيل المثال، في إحدى البلاد المَلَكيَّة التي يُملك فيها الملك ويُحكُم في نفس الوقت، إذا وَقَفَ إنسانٌ وقَالَ إنَّهُ لَن يُطيعَ المَلِك، فإنَّهُ يكونُ مِثلَ ذَلَكَ الذي دَخلَ عُرسِ ابنِ المَلِك ورَفَض أَن يَلبسَ لِباسَ العُرسِ. إنه عندئذٍ يَضَعُ نَفسَهُ في حَالَةِ عَداءٍ مَعَ المَلِك. وماذا يحدث عندما يبدأ ذلك الإنسانُ، الذي ليس مؤهلاً للحُكم، في التَصَرُّف داخل المَملَكة وكأنَّهُ هو المَلِك؟ ألا يُصبِحُ ذَلِكَ عصياناً يتَطَلَّبُ التَدَخُّل من المَلِكِ الحقيقي لِحمَايَةِ المَملكة ورعاياها؟ وماذا يَحدُث عندما يبدأ كُلُّ رعايا المَملكة في الحياة والتَصَرُّف كما لو كانوا هم المُلوك الحقيقيين؟ ألا يُصبِح كُلُّ رَعايا المَملَكة إذاً أعداءَ للملك؟ والأَهَمُّ مِن ذَلِك، ألا يؤدي ذَلَكَ إلى إنَّهُم يُدمِّرونَ المَملكة ويُدَمِّرون أنفُسَهُم؟ فكيف ينبغي على الملك أن يَتَصَرَّف عِندئذٍ؟ هل يُبيدُ كُلَّ هؤلاءِ الرَعايا؟ كَيفَ؟ ولِمَصلَحة مَن؟ فَما هي المَملَكَة بدون رَعايا؟ بالطبع لو كَانَ المَلِكُ يتصَرَّف من مُنطلَق الحفاظ على كَرامَتِهِ لَكَانَ قَد فَعَلَ ذلك، وقد فَعَلَ ذلكَ من قَبلِ مُلوكٌ. لكنّ الملكُ الصالحُ لا هَدفَ لهُ إلا صالحِ المَملكة والرَعايا (الخليقة). لذلك عَمِلَ المَلِك على تحقيق المُصالَحة، فكيف تكون المُصالَحةُ إذاً وكَيفَ يَكونُ إصلاحُ الموقف؟

يشير لاهوت «الكفارة البديلة» الذي ظهر في القرون الوُسطى وبالتحديد على يد القديس أنسلَم الذي كان أسقف كانتربري في القرن الحادي عشر وهو الذي وَضع ما قد عُرِفَ فيما بَعد أَنَّهُ نَظرية «التَرضية» (Satisfaction) والتي تُفيدُ بأَنَّ كَرَامَة الله قَد جُرِحَت عَلى يَدِ البَشَر ويَجبُ تَرضِيَة كَرامة المَلك الجريحة.[٢٣] وهَذا بالطبع كان أمراً مقبولًا جداً في العُصورِ الوُسطى. ولِكَي تَتِمُّ المُصالَحة بَينَ الله والإنسان يَجبُ أن تكونَ المُصالَحة من خِلالِ إنسانٍ كاملٍ يُصالِح بين الاثنين بحيث يدفَعُ عَنِ البَشَرِ أُجرَةَ الخَطية ويَموتَ بَدلاً عَنهُم فيَرفَعُ عَنهُم العِقاب ويعيدهم إلى حَظيرَةِ المَلك. وقد جاء المُصلحون فِي القَرن السادس عشر ليؤكدوا على ذلك المفهوم، بالذات للتأكيد على كفايةِ فِداءِ المَسيح وأنه قَدَّمَ نَفسَهُ مَرَّةً واحِدةً لله وذلك لمقاوَمَة فِكرَة المَطهَر (وهي أيضاً مجهودٌ لاهوتيّ ينتمي لذلك العَصر). هذه الفِكرَة تَقول إنَّهُ مِن المُمكِن أَن يُكفِّرُ الإنسانُ عَن خَطاياه بِقَضَاءِ فَترَةٍ مِن الوَقت في الجَحيم، وقَد بُنيَت عَليها جُزئياً فِكرَة صُكوك الغفران حَيث يقوم الأغنياء بالإنفاقِ عَلى بَعض الأَديُرة والأَماكن النُسكية حَيثُ تُقدَّمُ الصَلوات والتَسابيح لأرواحِ أَقارِبِهِم لِكَي يَجتازوا المَطهَرَ أو يَقضوا فِيه وَقتاً أقلّ مِمَّا كَانَ يَنبغي بسَبَبِ خَطاياهُم.[٢٤] وأيضاً لمُقاوَمَة فِكرَة أَنَّهُ في القدّاس يَتِمُّ صَلبِ المَسيحِ مَرَّةً أخرى. لذلك أكَّدَ المُصلحون أَنَّ المَسيحَ قد قَدَّمَ نَفسَهُ كَفَّارةً مَرَّةً واحِدَةٍ فَقَط على الصليب لكي يعتقنا من خطايانا.[٢٥]

هذا المجهود اللاهوتي يجعل من المسيح مُجَرَّدَ ذبيحٍ وكَفَّارَةٍ وإنَّهُ جَاءَ فَقَط لِكَي يَموتَ فيُصالِحَنا مع الله. بالطبعِ قَام هذا المجهود اللاهوتي بالتركيز على بعض الآيات في العهد مثل متى ٢٠: ٢٨ «كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.»

23 N. T. Wright, *The Day The Revolution Began*, location 610.

٢٤ انتَقَلَت الفِكرة أيضاً إلى الإسلام في صورة أن أحد الأحياء يُمكن أن يُصلي الفروض لأحد أقاربه المتوفين، أو يقوم بالحَج «على اسمه» أو يُزكي باسمه في صورة «صَدَقةٍ جارية.»

25 N. T. Wright, *The Day the Revolution Began*, location 640 and 688.

لكنه للأسف يُسقِطُ الكثيرَ من نصوص العهد الجديد، لحِسابِ هَذا المَفهوم. ولَعَلَّ أهَمَّ ما يُسقِطَهُ هُو النغمة الثالثة، وهي النغمة العُليا المجيدة والتي تقول أن الله ليس فقط قد صَالَحَنا لنفسه، بل قد أَشرَكَنا في مَجدِهِ. لقد أشرَكَنا اللهُ في الأُلوهَةِ نَفسِها.[٢٦] بِهَذا المَفهوم كَأَنَّ اللهَ يَقولُ لَنا: «أنتم تُريدونَ أن تَصيروا مُلوكاً، وهَذا ما أُريدُهُ أنا أيضاً. لكن يا أحِبَّائي، ليس التَمَرُّد هو الطريقة، لسَبَبٍ بَسيطٍ، وهو أَنَّكُم لَستُم مؤهلين للمُلك. سوف أجعلكم مُلوكاً بعد أن أعطيكم الطبيعة الجديدة التي تجعلكم قادرين على المُلك معي.»

لم يَأتِ المَسيحُ فَقَط كَكَفَّارةٍ ليَموت بَل جَاءَ كَنموذجٍ للحَياةِ الجَديدة الخاضعة لله. جاء كخليقة جديدة نشترك فيها بالإيمان.

لَم يَأتِ المَسيحُ فَقَط كَكَفَّارةٍ ليَموت بَل جَاءَ كَنموذجٍ للحَياةِ الجَديدة الخاضعة لله. جاء كخليقة جديدة نشترك فيها بالإيمان. لَيست القضيةُ مُجَرَّدَ مُصالحةٍ بين الله والإنسان، لكن هذه الطبيعة الإنسانية التي تميل للتَمَرُّد تَحتاجُ للتَغيير. لم يكُن الموتُ حُكماً علينا من الله بقدر ما كان نتيجة طبيعية لما فعلناه عِندَمَا عَبدنا المَخلوقَ دون الخالِق.[٢٧] إننا نحتاج لأن يَصنعَ اللهُ بالروح القدس فينا طَبيعَةً جَديدَةً، لَيسَ فَقَط تَجعَلَنا مَيّالينَ للخُضوعِ لِلّه،[٢٨] و إنَّما تَرقّي وُجودَنا نَفسَهُ لكي نَكونَ شُركاءَ في طَبيعَةِ اللهِ نَفسِهِ. وهذا بالإضافة إلى كَونِهِ خلاصاً أبدياً لهؤلاءِ الذين يدخلون ملكوت الله، فهو أيضاً شفاءٌ جُزئيّ للعالم هُنا والآن. فهؤلاء الذين قد دَخَلوا ملكوت الله هُم الآن مُلحُ الأرضِ ونورُ العالَم. الملحُ لا يأكُلُهُ الناسُ، لكن بدونِهِ لا يأكلون، والنور لا يمتدحه الناسُ بل يمتدحون ما يجعلهم يرون. وهكذا ينبغي أن يكونَ المسيحيون في كل عصر ومكان.

---

٢٦ يوحنا ١٤: ٢٠؛ ١٧: ٢١-٢٣؛ بطرس الثانية ١: ٤

٢٧ رومية ١: ٢٥

٢٨ رومية ٨: ١٤

في كتابِهِ الصغير العَميق، *هكذا أَحَبَّ اللهُ العالَم ـ قراءةٌ في كتاب «تَجَسُّد الكَلِمة» لأثناسيوس الرسولي* يَكتُبُ القِس مُوسى فايق غُبريال أَنَّهُ هُناكَ طَريقَتان لشَرحِ الفِداء؛ الأولَى هي طريقة أثناسيوس الرسولي وهي التي تَبدأُ من الخَلق وتَقولُ للإنسانِ إنَّهُ مَخلوقٌ أَصلاً عَلى صُورَةِ الله، وأَنَّ الفِداءَ هُوَ استردادٌ لِهَذِهِ الصُورَة. أما الطَريقَةُ الثانِيَة فَتبدأ مِنَ السُقوط وتقول للإنسان أَنتَ أيُّها الإنسانُ خاطئٌ وعاصٍ ومُتَمَرِّد ومحكومٌ عليك بالموت. وكُلُّ ما هو مطلوبٌ منكَ هو أن تؤمن بأَنَّ المسيحَ مَاتَ عَن خَطاياك فَتَنالَ البراءةُ مرةً واحدَةً و إلى الأبد لأَنَّهُ هو الفادي الذي تَحَمَّلَ العقوبَةَ عَنكَ. و يكتب نَصاً:

> إنَّ مَن يبدأ بالخَلقِ يُبَشِّرُ بالمَسيحِ أصلُ صُورةِ الإنسان، ومَصدرُ حياتِهِ الذي جاءَ ليُعيدَ بهاء الصورةِ الإلهية لكل من يؤمنَ بِهِ، وبالتالي فإنَّ كُلَّ مَعاييرِ البِرِّ والصَلاحِ والجَمالِ الإنسانيَّة حسَنَةٍ ومقبولةٍ، إذ أنَّها نابِعَةٌ من صورة الله التي فينا.[٢٩]

وأنا أَتَّفِقُ مَعَهُ أن الطريقة الأولى هي الأكثرُ أمانَةً لتاريخ الفداء كما نقرأُهُ في الكِتاب المُقَدَّس فهي تَبدأُ مِن حَيثُ يبدأ الكتابُ وتَنتَهي مِن حَيثُ يَنتَهي. تَبدَأُ بالخَلقِ الأوَّلِ وتَنتَهي بالخَلقِ الجَديد. تبدأُ بالأرضِ والسماء حينَ خُلِقَتا من العَدَم، وتنتهي بالأرضِ الجديدَةِ والسماءَ الجديدَة حَيثُ يُسكُنُ البِرُّ. تبدأُ بالإنسانِ المخلوقِ على صورة الله حَسَناً جداً، وتنتهي بالإنسان الجديد الذي ليس فقط يستعيد الصورة القديمة الحَسنة و إنما يَتَّحِدُ بالألوهَةِ إلى الأَبَد.

مات من أجل خطايانا بحسب الكُتُب

في فصلٍ كاملٍ من كِتابِهِ الجَديد *اليوم الذي بدأت فيه الثورة*، يَستفيضُ ن. ت. رايت (N. T. Wright) في وَصف المعنى الذي تحملُهُ عِبارَة: «ماتَ من أجلِ خطايانا بحسبِ

---

٢٩ القس موسى فايق غبريال، *هكذا أَحَبَّ اللهُ العالَم. قراءةٌ في كتاب «تَجَسُّدِ الكَلِمة» للقديس أثناسيوس الرسولي* (الإسكندرية، ٢٠١٥) ص ١٩.

الكُتُب»، ويُحاولُ أن يستعرض مَاذا قالت هذه «الكُتُب» (أَسفَارُ العَهدِ القَديم) عَن أزمَةِ الإنسانِ وخطيته؟ ما تقولُهُ الكُتب هو أنَّ المَشروعَ الأَصليّ للخَليقة هُو أَن يَعيشَ الإنسانُ، بوَصفِه المَخلوقِ العاقل المَصنوعِ عَلى صُورَةِ الله، مُمَثِّلاً لَهُ وناقلاً لصُورَتِهِ لكُل الخَلائِقِ، وفِي نَفسِ الوَقتِ يَعكِسُ تَسبيحَ الخَليقةِ غيرِ العَاقلة إلى الله. يَلعَبُ الإنسانُ بذلكَ دَورَ مِرآةٍ عاكِسَةٍ مَوضُوعَةٍ عَلى زاوِيَةٍ (Angled Mirror) تَعكسُ السماءَ للأَرضِ والأرضَ للسماء.[30] أمَّا خَطِيّةُ الإنسانِ بِبَساطةٍ فَهي فَشَلُهُ في تَحقيقِ هَذه الدَعوة أو تلك الوظيفة. وكُل الكُتب، وبالذات كُتُب الأنبياء، كَانَت تتنبأُ أنَ اللهَ سَوفَ يَعمَلُ في المُستَقبَلِ عَمَلاً عَظيماً يُعيدُ بِهِ مَشروعُ الخَليقَةِ إلى مَسارَهُ السَليم. يكتُبُ رَايت:

> إن واحِدَةً من أُطروحَاتي الرَئيسةِ في هَذا الكَتاب هي أَنّنا عندما نَنظُرَ إلى مَوتِ يَسوعِ في إطارِ القِصّةِ الكَامِلَة (يقصد القصّة الكاملة للكتاب المقدس)، فإننا عندئذٍ نَبدَأُ في الاقترابِ من فَهم ما كَانَ يَقصِدُهُ المَسيحيون الأوائل بعبارة: «إنَّ المَسيحَ مَاتَ مِن أَجلِ خَطايانا حَسَبَ الكُتُب.»
>
> عِندَما كَتَبَ المَسيحِيونَ الأوائِل عَن مَوتِ يَسوع، فإنهم استَخدَموا ما يَرَونَهُ يَومياً في حياتِهم ليقَدموا تشبيهاتٍ تُحاولُ أن تَكشِفَ مَعنى مَوتِ يَسوع. هذا يَتَضَمَّنُ مَثلاً صُورةَ «الفداء» وهي صورة اقتبسوها من سوق العبيد حيث يمكن أن يأتي شخصٌ غَنيّ ليشتري عَبداً ويُطلقه، ويكون بذلك قد افتداه. استخدموا أيضاً صُورَةَ «التَبرير» وهي صُورةٌ مُقتَبَسَةٌ من أَروِقَة المحاكم، وصورة «الذبيحة»[31] المُقتبَسة من الهيكل... إنَّ هَذِهِ الصُوَر البَلاغِيَّة التي تَبدو لَنا مُتَفَرِّقَةً وغَيرَ مُتناسقة، تَعني ما تَعنيه فَقَط في ضَوءِ القِصَّةِ الكِتابِيّة.

30 N. T. Wright *The Day The Revolution Began*, location 1678.

٣١ الرسالة إلى العبرانيين ٧: ٢٧

أمّا إذا أَخَذنا هَذِهِ الصُوَر خَارِجِ القِصَّةِ وَوَضعنَاها في قِصَّةٍ أُخرَى مِثلَ القصة التي قد وُضِعَت فيها تاريخياً وهي أَنَّ البَشَرَ يَرزَحُون تحتَ دَينٍ أَخلاقِيٍّ بسَبب كَسر الناموس الإلهي ولذلك هُم مُتَّجِهونَ إلى الجَحيم إلّا إذا جَاءَ شَخصٌ بِلا خَطِيّةٍ يَدفعُ ثَمَنَ خَطِيَّتَهُم فلا يذهبونَ إلى الجَحيم و إنَّما إلى السَماء.عِندَما تؤخَذُ تِلكَ الصُوَر وتُوضَعُ في هَذِهِ القِصَّة، فإنَّها تَعني أَشياءَ أُخرَى تَماماً غَيرِالتي قَصَدَها المسيحيونَ الأوائل الذين قَد كَتَبوا هذا الكلام.

إنَّنَا فَقَط عِندَما نَفهَمَ المَعنى الحَقيقيّ لِعبارَة «بحَسَب الكُتُب» سَوفَ نفهمَ المَعنى الحَقيقيّ لِعبارَةِ «المَسيحُ ماتَ من أجلِ خطايانا» عندئذٍ سوفَ نَرفُضُ تِلكَ الرؤية الأفلاطونية للخَلاص، أَي تَحويلِ الأَزمَة الإنسانية (من أَزمَةٍ وُجودِيَّة) إلى أَزمَةٍ أخلاقِيّة، وفِي النِهاية تَحويلُ الخَلاصِ إلى أَنَّهُ مُجَرَّدُ دَفعَ ثَمَنٍ أَخلاقِيّ. هذا المَفهوم يَخفِضُ مِن قوَّةِ الثورة التي حَدَثَت على الصليب (فَكَما أَنّ الثورةَ السِياسِيَّة الحقيقية تَعني تغييرَ كُلُّ شَيءٍ في البلاد ولَيسَ مُجَرد تَغييرِ نِظامِ الحُكم، فإنّ ثَورَةَ المَسيح تَعني تَغييراً جذرياً للبَشَرِيَّةِ وتجديداً كُلّياً للخَليقة وَليسَ مُجرَّدَ تَبريرِ بَعضِ البَشر وافتدائهم مِنَ النار). لذلك فإن اعتبارَ لأَزمَةِ الإنسانِيّةِ أَزمَةً أَخلاقِيّة يَجعَلُ جُزءًا مِن المُشكلة هو المشكلة الحقيقية، وكأنه يَعتبِرُ أنّ العَرَضَ هَوَ المَرض وبالتالي يُقَدِّمُ عِلاجاً للأَعراضِ عَلى أنه علاجٌ للمَرَض. وهكذا يُقدِّمُ صُورَةً مُزَيَّفَةٍ عَن القِصَةِ الكِتابِية برُمَّتِها.[٣٢]

القِصةُ الكِتابِيَّةُ هِي قِصَةُ فَشَلِ إسرائيلَ في أَداءِ دَورِها بَل وفَشلُ الإنسانِ عُموماً في أَداءِ دَورِهُ. فالخلاصُ عِندَئذٍ هُوَ استردادِ هَذا العَهد بَين اللهِ والنَاس بحيث يعودُ الإنسانُ بنعمةِ اللهِ قادراً

32 N. T. Wright, *The Day The Revolution Began*, location 1578- 1579 ما بين القوسين لكاتب هذا الكتاب

عَلى أَداءِ الدَورِ الذي قد خُلِقَ من أجلِهِ في الأساس. لقد صَالَحَنا اللهُ لنَفسِهِ بيَسوعِ المَسيح الذي قَدَّمَهُ اللهُ كمُمَثِّلٍ لإسرائيل (العَبدُ المُتألِّم في إشعياء الذي يُمثِّل إسرائيل) وأيضاً كنموذجٍ جديدٍ للإنسانية الخاضعة لله والمُتَّحِدة به،[٣٣] لِكَي نَدخُلَ فِيه ونُولَدَ مِنهُ كَما قَد وُلِدنا من آدم. يَسوعُ المَسيح الّذي عَاشَ فِي نفسِ جَسَدِ وظُروفِ الإنسانِ القَديم المُتَمَرِّدِ على الله، كَانَ نَموذجاً للإنسانِ الجَديدِ الخاضِعِ لله، فأطاعَ حَتىَ الموت (كَما تُطيعُ الذَبيحة) وقَامَ مِن بينِ الأمواتِ لكَي يؤسِسَ خَليقةً جَديدةً يُمكِنَها أن تَدخُلَ مَلَكوتِ الله وتَعيشَ خَاضِعَةً لسُلطانِهِ وتَتَغَيَّرَ كُلَّ يوم إلى صُورةِ المَسيح. بمَوتِ المَسيح بالطَبيعَةِ القَديمة واتّحادِنا بموته، فإننا نُصبحُ كَمَا لَو كُنّا نحنُ قَد مُتنا معه ومَاتت هَذِهِ الطَبيعة القَديمة فِيه، لكي نَحيَا مَعَهُ الطَبيعَةَ الجَديدة.[٣٤] إنَّنَا لا نَخلُصُ فَقَط بمَوتِ المَسيح ودَمِهِ وإنَّمَا بحياتِه في المَقامِ الأوَّل. المسيح ليس مُجَرَّد «كَفَّارة» ولم يأتِ لكَي يدفع ثمناً لعَدالةِ الله وإنَّما لِكَي يَستردَّ الخليقةَ الإنسانيةَ والخَليقة بشكل عام إلى دورها المرسوم في خطة الله. لقد مَاتَ المَسيحُ لا لِكَي يَدفَعَ دَينٍ، وإنَّما لِكي يُجَدِّدَ كُلَّ شيء.[٣٥]

٣٣ في يوحنا ١٤ و ١٥ يؤكد يسوع أن «الآبَ حالٌ فيه» وفي نفس الوقت يقول: «كما حفَظتُ وَصايا أبي واثبُتُ في مَحَبَّتِهِ.»

٣٤ رومية ٨: ١- ١٣ ؛ كولوسي ٢: ٢٠ و ٣: ٣

٣٥ رومية ٨: ٢١

الفصل الرابع

هَكذا أَحَبَّ اللهَ العَالَمَ حَتّى بَذَلَ ابنَهُ الوَحيد لكَي لا يَهلَكُ كُلُّ مَن يؤمنَ بِهِ

رسالة الخلاص في إنجيل يوحنا

لا أَدري مَن هُوَ صَاحِبُ فِكرَة التركيز فَقَط على إنجيل يُوحَنّا في الكِرازة، ثُمَّ التركيز فَقَط على هَذه الآية التي في الأَصحاح الثالث والمُنتَزَعَة من حُوار المَسيح مَعَ نيقوديموس لِكَي تَكونَ هِيَ الآيَةَ الوَحيدَة التي تُشيرُ إِلَى الإنجيل بشَكلٍ عام؟ مَعَ أَنَّ الذينَ يفعلونَ ذلك يؤمنون بوَحي كُلِّ الكِتاب وبأَنَّ كُلَّ الأَناجيل وِحدةٌ واحِدة. في هذا الفصل سَوفَ أستَعرِض الفَقَرات التي تُشيرُ إلى «الإنجيل» في انجيل يوحنا لكَي نَضَعَها بجانبِ بعضِها البَعض وبجانِبِ الفَقَراتِ التي توجَدُ في الأَناجيل المُتشابِهَة لِكَي نَستمِرَّ في مُحاولَةِ رُؤيةِ الصُورَةَ الكَامِلَةَ التي يُحاولُ هؤلاءُ البَشيرونَ التقاطَها مِن زَوايا مُختلفة. أولاً يَجِبُ أَن نُدرِكَ أَنَّ التَعبير الذي يُذكَرُ كَثيراً كمُرادِفٍ لتعبيرِ «ملكوتِ الله» في إنجيل يوحنا هو «الحياة الأبدية» وهناك أيضاً تعبير «يُولَد من فوق» والذي قد اشتُقَّت منه تعبيرات مثل «الوِلَادَةُ الجَديدةُ» أو «الوُلادَةُ الثَانِيَة».

الإنجيل بحَسَب يوحنا

- كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى **مَلَكُوتَ اللهِ**». قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ

أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ **مَلَكُوتَ اللهِ**. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ». أَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هذَا! اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟ وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ. «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ **الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**. لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ **الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ. وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ». (يوحنا ٣: ١- ٢١).

- مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟» فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَارَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ **كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ**.» (يوحنا ٦: ٦٦- ٧٠).

- تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. **وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.** أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يوحنا ١٧: ١- ٥).

عندما يَتِمُّ اختزالُ الإنجيلَ في آية: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ **الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**.[٣٦]» مُقتَطَعَةً مِنَ السِياقِ العام للحوار، يَبدو لَنَا أنَّ الإنجيلَ هُو مُجَرَّدُ رسالةِ إنقاذٍ للمؤمنينَ مِن الهَلاك والعِقابِ الأَبَدِيّ في بُحيرَةِ النَار والكَبريت عِقاباً عَلى خَطِيَّة آدم. وتَحدُثُ المُصيبةُ الأَعظَم عِندَما يُغيِّرُ القَارئُ تَشكيل كلمة «يَهلَكَ» فينطِقَها يُهلِكَ (بمعنى أن الله سوف يُهلِك الإنسانَ عِقاباً لعَدَم إيمانه بالمسيح) بينما هي يَهلَكَ أي أَنَّ الإنسانَ هو الفاعلُ وَهوَ الذي سَوفَ يَهلَكَ باختياره الحُرّ أن يبقى خارجَ ملكوتَ الله الذي قد أَتَى وصَارَ مُتاحاً. لهَذا السَبب قَصَدتُ اقتباسَ الحَديثَ كُلَّهُ مِن بِدايتِهِ لنَرى كيفَ أنَّهُ أيضاً حَديثٌ عَن **مَلكوتِ الله**.

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى **مَلَكُوتَ اللهِ**».

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ **مَلَكُوتَ اللهِ**.»

لَقَد كَانَ الحُوارُ بَينَ يَسوع ونيقوديموس أَيضاً حُواراً حَولَ مَلكوت الله. لقد بَذَلَ الله الآب

---

٣٦ كانَت إحدى سلاسل بيع شطائر الهامبورجر في أمريكا والمَملوكة لأسرةٍ مَسيحية تَضَعُ شَاهِد هَذِهِ الآية (يوحنا ٣: ١٦) على الأكواب والأطباق الورقية التي تبيع فيها مُنتجاتِها، وذلك رُبما إيماناً بأن الإنسان عندما يَقرأ هذه الآية في كتابه المُقَدَّس، سوف تَصِلَ إليه رسالة الإنجيل كامِلَة، فيؤمنُ بها ويخلُص. هذا يعكِسُ إلى أيِّ مَدى تمّ اختزال الإنجيل على يَدِ الحركة الإنجيلية الأمريكية بالذات American Evangelicalism

ابنه الوَحيد، وهو الإنسانُ الذي قد حَلَّ فيه كُلُّ ملءِ اللاهوت جَسَدياً،[٣٧] والوَحيد الذي أطاع الله تماماً،[٣٨] لِكَي يَكونَ هُوَ الباب[٣٩] الذي يُمكِن أَن يَدخُلَ مِن خِلالِهِ كُلُّ إنسانٍ إلى مَلَكوتُ الله و إلى الحَياةِ الأَبَدِيّة. وعَمليةُ دخولِ ملكوت الله يُعبِّرُ عَنها يَسوعُ هُنا بتعبير «الولادة الجديدة» لأنَّها بِدايةُ حياةٍ جَديدةٍ وخَليقةٍ جَديدةٍ. بَعد أن وُلِدَ الإنسانُ مِن الماء (المولودُ جَسدياً يَخرُجُ من كيسٍ مليءٍ بالماء[٤٠]) في طَبيعةٍ جَسَدِيَّةٍ تُعلِنُ انتماءَهُ للخَليقَةِ القَديمة، وَمِن خِلالِ الإيمانِ بالمَسيح ودخول ملكوت الله، يُولَدُ من الروح القُدُس في طبيعةٍ روحيةٍ جديدة تُعلن انتماءه للخليقة الجديدة. ولَعَلَّ المعمودية بالماء إشارة جَسَديَّة إلى ذلك الميلاد الروحيّ الجديد حيث يخرُجُ المؤمِنُ من مَاءِ المَعمودية كَما كَانَ قَد خَرَج مَولوداً من مَاءِ الرَحِم.

أما الدَينونةُ فَهي أنَّ النُورَ الحَقيقيّ قَد جَاءَ إلى العَالَمَ، ولم يُحِبّ الناسُ الدُخولَ إليه و إنَّمَا أَحَبوا البَقاءَ في الظُلمة. ولقد كَتَبَ يوحنا البشير ذَلِكَ في الأصحاحِ الأوَّلِ من إنجِيلِهِ أَنَّ النُورَ الحقيقي الذي يُنير كل إنسان (من الناحية الوجودية، فوجود الإنسان نفسه، سواء كان مؤمناً أم غير مؤمنٍ هو عطية من الله) كان آتياً إلى العالم. كَانَ في العَالَمِ وكُوِّنَ العالمُ بِهِ (فنحن به نَحيا ونَتَحَرَّكَ ونوجَد)، ولم يعرِفهُ العَالَمَ. وأَمّا كُلُّ الذين قَبِلوه (عَرَفوه وقَبِلوه)، فأَعطاهُم سُلطاناً أَن يَصيروا أَولادَ الله. أَيّ أنَّ عِلاقَتهُم بالله قد تَعَدَّت مُجَرَّد عَلاقة الوُجود، إلى عِلاقة المَعرفَةِ والطَاعَةِ والمَحَبَّة.

ويؤَكِّد إنجيلُ يوحَنّا بالذات عَلى البُعدِ «المَعرِفِيّ» لمَلكوتِ الله والحَياةِ الأبدية، ورُبّمَا هَذِهِ كَانَت طَريقَةً للرَدّ على الغُنوسية التي تفترض أن معرفة الله أمرٌ ليس مُتاحاً للجميع. في يوحَنا ٦ يقولُ بُطرس إنَّ عِندَ يَسوع «كلام» الحياة الأبدية. أي أن كَلَامَهُ يَعكِسُ مَبادِئَ

٣٧ يوحنا ١٠: ٣٦؛ يوحنا ١٤: ١١؛ كولوسي ٢: ٩

٣٨ فيلبي ٢: ٨

٣٩ يوحنا ١٠: ٩

40 Dallas Willard (Sermon).

المَلَكوت و«فِكر» الحياة الأبدية الذي يَقِفُ في حَالَةِ تَضادٍ كَامِلٍ مَعَ فِكرِ العَالم. هَذا الفِكرِ هو فِكر الخُضوع لله والاتِّحاد به، بعَكسِ فِكرِ العَالَم الذي يَعكِسُ في كل جزءٍ منه التَمَرُّد على مُلك الله واعتبار الإنسانَ نَفسَهُ أنَّه هو المَلِك وهو المَرجعِيَّة لكُلِّ شيء في الحياة. ونَجدُ يسوعَ أيضاً في حَديثِهِ المُطوَّل في يوحنا ١٥ يقول لتلاميذه: أنتم الآن أنقياءُ بسببِ «الكلام» الذي كلمتكم به.[٤١] ويقول أيضاً: إن ثبتم فيَّ وثَبَتَ «كلامي» فيكُم تَطلبونَ مَا تُريدون فيكونُ لَكُم.[٤٢] وهو يؤكد أكثر من مرة أن هذا «الكلام» ليس له بل للآب[٤٣] في تَعبيرٍ وَاضِحٍ عَن خُضوعِهِ التَام للآب. هَذا هو فِكرِ المَلَكوت وطَبيعة إنسان المَلَكوت بالمُقارنة لإنسان العالم الذي دائماً ما يُحب أن ينسِبَ كُلَّ شيءٍ لنَفسِهِ.

أنا هو

إن كانَت العِبارةُ المُحوَرِيَّةُ التي تَكَرَّرَت كَثيراً في الأَناجيل المُتَّفقة هي عبارة «يُشبِهُ ملكوتُ السموات» فالعبارة المُقابِلة لها في إنجيل يوحنا والتي تكررت كثيراً أيضاً هي عِبارَةُ «أنا هو» وذلك باعتبار أن يسوعُ المسيحُ هو التَجسيدُ الكامِلُ لمَلَكوتِ الله. و إذا استَعرَضنا المَرَّاتِ التي يَقولُ يسوعُ فيها عبارةً تبدأُ بكَلِمَة «أنا» أو «أنا هو» سَنَجِدُ أَنَّها عِباراتٌ كَثيرة تؤكد كُلُّها أنَّ فِيه قد تَجَسَّد الملكوت وتَحقَّقت الحياة الأبدية التي هي الاتِّحاد الكَامِل والأَبَدي بين الله والإنسان.[٤٤]

يَسوعُ هو نقطة التقاءِ البَشَريّ بالإلَهِيّ والزَمنِيّ بالأَبَدِيّ وهَذا الدَهرّ بالدَهرِ الآتي. ليس

٤١ يوحنا ١٥:٣

٤٢ يوحنا ١٥:٧

٤٣ يوحنا ١٤: ١٠، ٢٤ ؛ يوحنا ١٥: ١٥ ؛ و يوحنا ١٧: ٦-٧، ١٧

٤٤ لأكثر من ثلاثين مَرَّةٍ يقَدِّم يسوعَ تعريفاتٍ و إشاراتٍ لنَفسِهِ كُلُّها تُشيرُ إلى خُصوصِيَّةِ وحَصرِيَةِ مَلكوتَ الله عَلى شَخصِهِ وذلكَ بعباراتٍ مثل «أنا هو الخبز الحَيّ.»، «أنا هو الباب»، «أنا هو الطريق، والحقّ والحياة»، «أنا هو القيامة والحياة»، «أنا الكرمة الحقيقية»، وغيرها.

الملكوتُ تعاليمَ قد «نَزَلَت» ولا هي عَقيدَةً قد «تَشَكَّلَت». مَلَكوتُ الله هُوَ خليقة جديدة تُمثِّلُ اتِّحاداً عُضوياً بين الله والإنسان وهذا لم يَحدُثْ إلّا في شَخصِ يَسوعَ المَسيح وقَد ظَهَرَ مِن خِلالِ حَياتِهِ ومُعجزاتِهِ، وبالأخَصّ مَوتِهِ وقيامته وصُعُودِهِ و إرسالِهِ الرُوحِ القُدُس. وقَد صَنَعَ الرُّوحُ القُدُسُ ولا يَزال يَصنَعُ نَوعِيَّةً مِنَ البَشَرِيَّة تَعيشُ مُستَتِرَةً خلف أَشخَاصٍ عَادِيين، وسَيأتي يَومٌ فِيهِ تُظهَرُ هَذِهِ الطَبيعَةُ بشَكلٍ واضِحٍ للجَميع. هَذا هُوَ نَفسُ اليَوم الذي سَوف يُظهَرُ المسيح في مَجيئِهِ الثاني المجيد.[٤٥] بالطَّبع لَيسَ كُلُّ المَسيحيين بالدِيانَة فيهُم هَذِهِ الطَبيعة. هِيَ فَقَط في المسيحيين الحَقيقيين الّذين يَقولُ عَنهم يَسوعُ في لِقائِهِ بنيقوديموس أَنَّهُم قد وُلِدوا من الروح. حتى هؤلاء لا توجد فيهُم تِلك الطبيعة بنَفسِ الدَرَجَة بَل بدرجاتٍ شديدةِ التفاوُت وتَنمو بقدر ما يُتيح الإنسان لها أن تنمو على حِسابِ الطَبيعةِ القديمة.[٤٦]

والمثير للاهتمام أَنَّ نَفسِ هَذا الإنجيل الذي يَحمِلُ أَمجَد الإشاراتِ إلى يَسوعِ المَسيح، هو نَفسُهُ الإنجيلُ الّذي فيه يُكرر يَسوعُ مِراراً كَيفَ أَنَّهُ كإنسانٍ خَاضِعٌ تماماً للآب. فيقول مثلاً:

- الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. (يوحنا ١٤: ١٠)
- الْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. (يوحنا ١٤: ٢٤)
- سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. (يوحنا ١٤: ٢٨)
- أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي (يوحنا ١٥:١٥)
- وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا ١٦: ٥)
- أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ

٤٥ المسيح حاضرٌ معنا دائماً ومجيئه الثاني ليس سوى «ظهوره.»

٤٦ كولوسي ٣: ٣- ١٠ ؛ رومية ٨: ١٢- ١٤

حَفِظُوا كَلاَمَكَ. ٧وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، ٨لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. (يوحنا ١٧: ٦- ٨)

هذا التَناقُضُ الظَاهِريّ هُوَ السِمَةُ المُميِّزَةُ لمَلكوتِ الله، فَمَلَكوتُ اللهِ قَد تَجَسَّد في إنسانٍ قد وَضَعَ نَفسَهُ حَتّى المَوتَ، فأقامه الله ورَفَعَه إلى نَفسِهِ وأَشرَكَهُ، هو والمؤمنينَ بِهِ، في الأُلوهَةِ نَفسَها. فَفيهِ قَد خُلِقَ الكُلُّ، وفيهِ يَقومُ الكُلُّ.[٤٧]

٤٧ كولوسي ١: ١٦-١٧

الخُلاصة

من الاستعراضِ السابقِ لِمَا كُتِبَ في العَهدِ الجَديدِ عن الإنجيل وعَن الخَلاص، فإنَّنا نُلاحظُ أَنَّ الصُورَةَ الأشمَلَ والأكمَلَ للخَلاص هي «دُخول ملكوت الله» إنَّ الرِسالَةَ المَسيحيَّةَ هي رسالةُ «ملكوتِ الله» وهي الرسالَةُ التي تَحوي داخِلَها كُلَّ المَعاني الأُخرَى مِثلِ المُصالَحة والغُفران والتَجديد وغَيرَها. إنَّها الرِسالَةُ التي تَقولُ أنَّ إلهَ إسرائيل قَد عَاد لِيَملُكَ مِن جَديد. إنَّها رِسالَةُ تَجديدِ عَهدِ اللهِ مَع البَشَر. لذلك فهي رسالة «العهد الجديد».

آدم

في البَدءِ صَنَعَ اللهُ «عَهدَ الخَلق»[48] مَع الإنسان. وبموجَبِ هَذا العهد يَكونُ الإنسانُ بِمَثَابَةِ وَكيلٍ أو مُديرٍ للأَرضِ بالنيابة عن الله.[49] لَقَد خَلَقَ اللهُ العَالَمَ المَنظورَ وأَعطاهُ للإنسان (آدَمَ ونَسلَهُ) لِيَكونَ مَسئولاً عَنهُ تَحتَ سُلطانِ الله. يَكتُبُ المزمور المِئَة والخامس عشر في عدده الحادي عشر: «السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٌ لِلرَّبِّ، أَمَّا الأَرْضُ فَأَعْطَاهَا لِبَنِي آدَمَ.» لقد خَلَقَ اللهُ الإنسانَ عَلى صُورةِ الله ــ شَخصيةً أدبيةً تتمتعُ بالحُرِّية والمسئولية الأخلاقية وَوَضَعَ فيهِ الضَمير الرُّوحيّ الذي يَبحَثُ دَائماً عَن الله وعَن كُلّ مَا هُوَ رُوحيّ وأبديّ ويَجدُ الراحَةَ الحقيقيَّةَ في الخُضوع لله. لَم يَكُن الإنسانُ أبداً إلّا باحثاً عن الإله. في الأصحاح الثالث من سفر الجامعة يقول الحكيم أَنَّ اللهَ قَد وَضَعَ الأَبَدِيَّةَ في قُلوبِ الناس،[50] أي أنَّ توقُ الإنسانِ إلى كُلِّ ما هُوَ أبديٌّ ومتجاوزٌ للزمن، وشوقُ الإنسانِ إلى عِبادَةِ الله، هِي أُمورٌ الأنسانُ مَجبولٌ

48 Dallas Willard, *The Divine Conspiracy*. (The Creation Covenant) p.22

N. T. Wright, *The Day The Revolution Began*. (The Covenant of Vocation).

٤٩ أوسم وصفي، ماهر صموئيل، *معرفة الله والنفس* (عمان: أوفير، ٢٠١٣) ص ١٠٦- ١٠٩

٥٠ جامعة ٣: ١١

عليها من خِلالِ عَهدِ الخَليقة. هذا يَرمُزُ لَهُ سِفرُ التَكوينِ بَرمزِ الوَصِيّة الإلهية بعَدَمِ الأكل من الشجرة. هذه الوصية تُعَدُّ تُجَسيداً لطاعَةِ الإنسانِ وعبادَتِهِ لله. فبالرَغمِ مِن أَنَّ الله قَد أوكَلَ للإنسانِ إدارَةَ الأَرضِ إلّا أنَّ هَذِهِ الوَصية هي بمثابة تذكيرٌ لَهُ أنه مُديرٌ للأرض وليس مالكاً لها. إنَّها الوَصِيَّةُ التي تُجَسِّدُ المُصالَحَةَ بَينَ القُدرَةِ والخُضوع. الإنسانُ (آدم) يستطيع أَن يَصنَعَ كُلَّ شَيءٍ في الخَليقةِ ويَستطيعُ ان يُمارسَ حُرِّيَّتَهُ أَلا يُطيعَ اللهَ، لَكِنَّهُ يَتوقُ مِن داخِلِهِ (بِحَسَبِ الناموس الأخلاقيّ الذي وَضَعَهُ اللهُ فيه) أن يُطيعَ اللهَ ويُديرَ الكَونَ تَحتَ سُلطانِ الله ولَيسَ بمَعزِلٍ عَنهِ. لَكنَّ الكِتابَ المُقَدَّس يُخبرنا مُنذُ الأصحاح الثالثِ من سفر التكوين أنَّ الإنسانَ فَشَلَ في تِلكَ المُصالَحة بين قُدراتِهِ وحُرِّيَّتِهِ من نَاحِيَة، وبينَ الرَّغبَةِ الفِطرِيَّةِ لِعبادَة الله وطَاعَةِ النَاموسِ الأخلاقِيّ من نَاحِيَةٍ أُخرى. فَشَلَ الإنسانُ في هذا المُستوى من التَطَوُّر الرّوحِيّ، أَن يَعيشَ الاتزانَ بَين سَكينَةِ الاتِّكالِ عَلَى الله فِيمَا لا يَستَطيعُهُ مِن جِهةٍ، وشَجَاعَة تَغيير العَالمِ من جِهةٍ أُخرَى.[٥١] هذا هو ما يشير إليه اللاهوت المسيحي بالسقوط. هذا هو العَهدُ الأَول الذي كَسَرَهُ الإنسانُ الّذي هو «مخلوقٌ على صورة الله» عِندما حَسِبَ خُلسَةً أن يكون معادِلاً لله (أي أنه اختلس القُدرَة وعَزَلَها عن الطاعة)،[٥٢] ورَفَع نَفسَهُ وعَصى، لذلك فإنَّهُ قَد كَسَرَ عَهد الخليقة.

الخَطِيَّةُ في مَفهومِ الكِتاب المُقَدَّسِ (والعَهدُ الجَديدُ بالذات) αμαρτια هي عَدمُ إصابةِ الهَدَف. إنَّهَا فَشلُ الإنسانِ في القيامِ بمَهَمَّتِهِ ودَعوَتِهِ كَوَكيلٍ لله. لَيسَ بالضرورة أنَّ الإنسان قد

٥١ تُعَدُّ صَلاةُ السَكينَةُ الصَلاةَ الرَسمِيَّةَ لأنجَح حَركةِ تعافٍ مِن الإدمان (المدمنون المجهولون)، وهي الصلاة التي تُمَثل الاتزان بين سكينةَ قُبول ما لا يستطيع الإنسان تغييره (قبول مَحدودِيَّتَهُ ومَخلوقِيَّتَهُ) وبين شجاعة تغيير ما يستطيع تغييره (مخلوقيته المَجيدة على صورة الله من الحرية والمسئولية). هذا الاتِّزانُ هُوَ مَصدَرُ التعافي من الإدمان الذي يُعَدُّ تجسيداً لسقوط الإنسان روحياً وعُبودية إرادَتِهِ.

٥٢ الناموسُ المَوضوعُ مِنَ الله هو «نامُوسُ الحُرّية» بحيث يكونُ لا مَعنى له بدون الحرُية، فالقانون هو دائماً موضوع لتنظيم الحُريات بينَ البَشَر. وبدون القانون لا توجد حُرية، فالحُرية غير المحدودة سوف تَأسِرُ الناسَ في الخَوفِ من حُرِّيَّةِ الآخرين. عندما ينفصل الناموس عن الحُرية يفسد الاثنان وعندما تنفصل القدرة عن الطاعة يفسد الإثنان أيضاً.

فَعَلَ ذلِكَ عَمداً وعَن سبقِ الإصرار والتَرَصُّد وهُوَ على تمامِ الوَعي بنتائجِهِ، لَكِنَّهُ في مُستوى التَطَوُّر الرُّوحِيّ الذي كَانَ فِيه، لَم يَستَطِع، حَيثُ كانَ ضَعيفاً بالجَسَد.[٥٣]

إبراهيمُ ونَسلَهُ

بعد أن يُخبِرنا سِفرُ التَكوين عَن ذَلِكَ العَهدِ المَكسور، يَذهَبُ بِنا مُباشَرةً إلى قِصَّةِ أبرام (إبراهيم) ليُخبِرنا عن عَهدِ اللهِ مَعَ إبراهيم ونَسلِهِ (شَعبُ إسرائيل) أَن يُعطيَهُم أَرضَ غُربَتَهُم ويُبارِكَهُم فيها. لقد وَعَدَ الرَّبُ إبراهيمَ أنَّ في نَسلِهِ تَتَبارَكُ جَميعُ قبائِلِ الأَرض، أي أَنَّهُ مِن خِلالِ ذَلِكَ العَهد يُمَهِّدُ الله لاستعادَةِ عَهدِهِ مع كُلِّ البَشَر. لم يحاول اللهُ ويُجَرِّب ويَفشَل، كما يُصَوِّرُ لنا السَردُ المُعتادُ لخطَّةِ الخَلاص، لَكِنَّها كُلُّها خُطواتٌ «تَطَوُّرِيَّة» رُوحِيَّة يأخُذُ اللهُ فيها البَشَرَ للأمام خُطوةً خُطوَة نَحوَ تَتميمِ مَقاصِدِهِ النِهائِية، فالتطوّرُ هو طَريقَتُهُ فِي الخَلقِ المَاديّ والروحِيّ معاً.

ينتهي بِنَا سِفرُ التَكوينِ وقَد استَوطَنَ بَنو يَعقوبَ (إسرائيل) مِصرَ. ثم يَبدأُ سِفرُ الخُروج بالحَديثِ عَن الذُلِّ والعُبودِيَّةِ التي عَانَاها الشَعبُ هُناك ثم يَسرِدُ قِصَّةَ خُروجِ الشعبِ من مِصرَ. لَقَد أَخرَجَ الرَبُّ (يهوه) بَني إسرائيل من مِصرَ إلى البَرِّيَّةِ لكَي يَعبدوه ولكي يُجَدِّد مَعَهَم العَهدَ الَّذي كَانَ قَد صَنَعَهُ مَعَ إبراهيم أبيهم، ويُعطيهم أَرضَ كَنعان التي كانَ ابراهيمُ قَد تَغَرَّبَ فيها، وذَلِكَ حَتّى يؤسسوا فيها أُمَّةً تَعبُدُ اللهَ وتُطيعُ شَريعته (شريعة المحبة).[٥٤] لقد كانت خيمة الاجتماع في البَرِّيَّة ومِن بَعدِهَا الهيكل في أورشليم يُمثلان ما يُمكن أن نُسميه «نموذجاً مُصغراً للخليقة»، أو «كوناً مُصَغَّراً» (Microcosm). مكانٌ يمكن لله فيه أن يَسكُن في وسط شعبه كعلامةٍ على قَصدِهِ النِهائِيّ أن يُجَدد ويسترِدّ الخليقة نفسها، غامراً إيَّاها بحضورِهِ.[٥٥]

---

٥٣ رومية ٨: ٣

٥٤ تميزت الشريعة اليهودية باهتمام خاص بالفقراء والعبيد والغرباء، وكانت وصية السبت دُرة هذه الشريعة والتي أعطت للعبيد حرية (ولو يوماً واحداً في الأسبوع) مما لم يكن موجوداً في الأمم المجاورة.

55 N. T. Wright, *The Day The Revolution Began*, Location 2987

لقد كَانَ أَهَمُّ ما يميز مَملَكة إسرائيل هي أنها «مَملَكَةُ الله». الله هو المَلِك ولَيسَ مَلكاً بَشرياً. كَانَت الشَريعَةُ هي الدُستور المَعمولُ به، وكان النَبي أو القاضي بِمثَابَة رَئيسُ المَحكَمة الدَستورِيّة الذي يَحكُم بين أفراد الشعب بحَسَبِ الدستور. وحتى عِندما قَرَّرَ الشعب أن يختار ملكاً[٥٦] (وكانت هذه بداية تَشَبُّههِم بالشعوب المُجاوِرَة) ليَدخُل ويَخرُج أمَامهم كَما قالوا، كَانَ المُفتَرَض أنَّ هذا الملك بِمثَابَة نائبٍ عن المَلَكِ الحَقيقيّ الذي هو الرَّب يَهوَه. لذَلِك امتلأَ الكِتابُ المُقَدَّس، وبالذات سِفرُ المَزامير بالكلامِ عَن أَنَّ الرَبَ هُوَ المَلكُ الحقيقي لشعب إسرائيل. نقرأ مثلاً في المزمور الثامن والأربعين: «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ. جَمِيلُ الارْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي الشِّمَالِ، مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. اَللهُ فِي قُصُورِهَا يُعْرَفُ مَلْجَأً.[٥٧]»

ويُخبِرُنا بَاقي العَهدِ القَديم كَيفَ أَنَّ إسرائيلَ قَد أَخطَأَت، أَي فَشَلَت في القيام بدَعوَتِها ومَهَمَّتها أن تُعيدَ مُلكَ اللهِ على الأرضِ والبَشَر. فَبَدلاً من أن تُعلِّمَ الأُمَمَ الخُضوعَ للرَّب،[٥٨] تَعَلَّمَت هيَ مِنَ الأُمَمِ عِبادةَ الأوثان، فكان السَبيُ الآشوريّ للمَملكة الشمالية (إسرائيل) ثم السبي البابلي للملكة الجنوبية (يهوذا). وبَعد تَمامِ الزَمان عَادَ الشَعبُ من السَبي السِياسِيّ والجُغرافِيّ، لَكِنَّهُ ظَلَّ في سَبيٍّ روحيّ. وعندما جَاءَ يَسوع كَانت الأُمَّةُ اليهودية مَسبية سَبياً رُوحياً وثقافياً تحت سطوَةِ الإمبراطورية الرومانية.

وخِلال كُلِّ ذَلكَ الوقت، ظَلَّ الأنبياء وبالذات إرميا وإشعياء يتبنأون بمجيءِ المَسِيّا الذي سَوفَ يَرُدُّ السَبي بكُلِ أَشكاله ويؤسسَ لملكوتِ الله التام. يُمكن أن نقرأ مثلاً من نبوة إرميا ما يلي: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا

٥٦ صموئيل الأول ٨

٥٧ مزمور ٤٨: ١-٣

٥٨ إشعياء ٦٠: ٣ «فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك.»

وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا، وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا. لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، بَلْ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَ وَأَتَى بِنَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُونَ فِي أَرْضِهِمْ.»[٥٩] ومن نبوة إشعياء نقرأ على سبيل المثال: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ، فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ، وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ، بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ، وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقْوَيْهِ. فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا.[٦٠] »

عندما جَاءَ يَسوعُ يُنادي ويكرزَ بِرِسَالَة «مَلكوت الله»، أيّ أنَّ اللهَ قَد عَادَ لِيَملُكَ. لم تَكُن هذه رسالةً غريبةً عن الشعب. كانَ الشَعبُ، والمُتَدَيِّنونَ مِنهُ بالذات، يَحلُمون بأن يَعودَ الرَبُّ ويَملُكَ على شَعبِهِ أَمامَ عُيونِ كُلِّ الأُمَم. كانوا بالطَبعِ يَحلُمونَ بنَموذَج المَملَكَة المُوَحَّدَة تَحتَ حُكم داود الملك. وعندما كان الرَّبُ يُؤيدُ رِسَالةَ المَلكوت التي يقدمها يَسوعُ بالآياتِ والعَجائِبِ التي لم تُصنع من قبل، آمَنَ كثيرون أَنَّهُ هُوَ المَسِيَّا. لَكن فَجأة تَنحو الأَحداثُ مَنحىً

٥٩ إرميا ٢٣: ٥-٨

٦٠ إشعياء ١١: ١-١٠

آخرَ تماماً، فبدلاً مِن أَن يقود المَسيا ثَورَةً سِياسِيّةً وعَسكَرِيَّةً على غرار ثَورة المكابيين،[٦١] ويستولي على الحُكم من الرومان ويُعيدُ تَطهير نِظام العبادة الفاسد في الهيكل ويُحَرِّرَ الأُمَّةَ مِن سبيها السِياسِيّ الاجتماعيّ والرُوحِيّ مثلما تَوَقَّعَ الجَميع، نَجِدُهُ يُقبَضُ عَليه ويُحاكَم مِن قِبَلِ الحاكم الروماني بيلاطس البُنطي، بل ويُحكَمُ عَليهِ بالمَوت بأكثرِ أَشكالِ المَوتِ إهانةً وذُلاً فيُصلَبُ عَارِياً خَارِجَ المَدينة، ويُعَلَّقُ عَلى صَليبِهِ عُنوان: «مَلِكُ إسرائيل» إمعاناً من الرومان في إهانة اليهود. أَهَكَذا يَكونُ مَلكُ إسرائيل؟ أَهكذا يكون المَسِيّا المُنتَظَر؟ في هَذِهِ اللَّحظة فَقَدَ الجَميعُ الإيمانَ به بل تَحَوَّلَ إيمانُهُم إلى إحباطٍ وغَضَب شديدَينِ بِقدرِ ما كانَت آمالُهُم المُعَلَّقَةُ عليهِ كبيرة، لذَلِكَ صَرَخَ الجُمهورُ بصوتٍ عَظيم «اصلِبهُ!» حتى أَقرَبَ تَلاميذِهِ وأَخلَص خُلصائِهِ فَقَدوا إيمانَهُم بِهِ، وَقَامَ قائِدُهُم بُطرُسَ بإنكارِ حتَى أنَّه كَانَ يعرِفُهُ، وذلك أمام مجموعةٍ من العَبيدِ والجواري. ويَقولُ واحِدٌ من التِلميذَينِ اللَّذَينِ قابَلهُما يَسوعُ في الطَريقِ إلى عَمواس: «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ.[٦٢]»

ثُمَّ فَجأةً نَجِدُ تَلاميذَهُ يُنادونَ بأنَّ يَسوعَ هَذا قَد أَقامَهُ الله مِن بَين الأَموات. ويَختَتِمُ بُطرسُ عِظتَهُ في يَومِ الخَمسين أَمامَ جُمهورٍ عَظيمٍ بَعدَ أَن انسكَبَ الرُوحُ القدس كألسنةِ نارٍ على التَلاميذ وطَفَقوا يَتَكَلَّمونَ بلُغاتٍ لَم يَعرِفُوها: «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا».[٦٣] لقد حَدَثَ أمرٌ عَظيمٌ قَلَبَ كُلَّ المَوازين رَأساً على عَقب. لقد قام يسوع من بين الأموات والدليلُ على ذلك، عودةُ إيمانِ التلاميذ أَكثَرَ مِمّا كان حتى عندما كان بينَهُم بالجَسد. وبَعدَ أن قامَ صَعَدَ ليَجلِسَ مُنتَصِراً عَلى يَمينِ

٦١ هي مجموعة عسكرية يهودية قامت بثورة على حُكام سورية السلوقيين الذين سيطروا على اليهودية وتمكنوا من تكوين السلالة الحشمونية التي حكمت فلسطين من ١٦٤ – ٦٣ ق. م. وعملت على تنقية الحياة الدينية والاجتماعية اليهودية من التأثيرات الوثنية، قبل وقوعها في يد بومبي الروماني وبداية السيطرة الرومانية على فلسطين.

٦٢ لوقا ٢٤: ٢١

٦٣ أعمال الرسل ٢: ٣٦

الله في الأعالي والدَليل على ذلك هُوَ أَنَّهُ سَكَبَ على تلاميذه الروح القدس الذي كان قد وَعَدَهُم به،[٦٤] فامتلأوا حِكمةً وشَجاعةً وأَجرى الربُّ عَلى أياديهم آياتٍ عَظيمة كَالتي كَانَ يَعمَلُها يسوعُ وأَعظَمَ مِنها، أيضاً كما كان قد وعدهم من قبل.[٦٥] كُلُّ هَذا جَعَلَ التَلاميذ والمَسيحيين الأوائِل بشكل عام يُجرونَ مُراجَعَةً شامِلَةً لرؤيَتِهِم للمَسيّا ولمَلَكوتِ الله.

لقد اكتشفوا أن المسيا لَيسَ مُجَرَّدَ إنسانٍ عاديّ، فإن كَانَ آدمُ الأول (الإنسان القديم) مِن الأَرضِ تُرابِيٌّ، فالمَسيا هُوَ آدَمُ الثاني (الإنسانُ الجَديد) الذي هو الرَّبُ مِنَ السَماء. لقد كان يسوعُ ابنَ داود من جِهة الجسد، ولَكِنَّهُ تعين (استُعلِنَ أَنَّهُ) ابنُ الله بقوةٍ مِن جِهَة روح القداسة (الروح القدس) بالقيامة من الأموات.[٦٦] لَقدَ ظهرَ أن لذلك الإنسانُ علاقَةٌ غير عادِيَّة بروح الله ظَهَرَت في أنَّهُ قامَ مِن ذاتِهِ بعد ثلاثة أيام وذلك في طبيعة جديدةٍ تماماً. لقد أَعلَنَت قِيامَةُ المَسيح إنَّ العَهدِ الجَديد هُوَ عَهدٌ مُختلفٌ تَماماً و إنَ الإنسانَ الجَديد الذي سَوفَ يَحُلَّ في حَياتِهِ مُعضلَةَ اتِّحاد القوة بالخضوع، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ (حِكمَة الله) نَفسُهُ عِندما يَصيرُ جَسَداً و يَحُلَّ بَيننا. هُوَ وَحدُهُ الذي يَحمِلُ القُدرَةَ الكَامِلَةَ، فَهوَ ليسَ مَخلوقاً على صُورَةِ الله، و إنَّما هُو نَفسُهُ صُورةُ الله غير المَنظور، بكر كل خليقة.[٦٧] وَهوَ إذ كَانَ في الحقيقةِ صُورَةِ الله، استطاعَ أَن يَخضَعَ خُضوعاً تاماً. عَجَزَ آدم وَهوَ على شيءٍ من القُدرة أن يخضع، فَجَاءَ آدمُ الثاني وهَوَ عَلى كُلِّ القُدرة، فَخَضَعَ. ولَم يَخضَع فَحَسب بَل خَضَعَ حَتّى المَوت، مَوتِ الصَليب (أكثر أنواع الموت بشاعة و إهانة).[٦٨]

لقد اكتَشَفَ المَسيحيون الأوائل الآتينَ من خَلفيَةٍ يَهوديةٍ أَنَّ **العَودة من سَبي بني إسرائيل،**

٦٤ يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦
٦٥ يوحنا ١٤: ١٢
٦٦ رومية ١: ٤
٦٧ كولوسي ١: ١٥
٦٨ فيلبي ٢: ٦

بل سَبي الخليقَةِ كُلِّها، أمرٌ أكثرَ جِذريَّة مِمّا كَانوا يَنتَظِرون. لَقد اكتشفوا أن العودةَ الحقيقيَّةَ مِنَ السَبي هِيَ في إجراءِ اتّحادٍ كامِلٍ ونِهائي بَين الألوهة والإنسانية. صَارَ اللهُ إنساناً لكي يُشرِكَ الإنسانَ في الطبيعَةِ الإلهية. وَعَدَ المسيحُ تَلاميذَهُ أنَّهُ «في ذلك اليوم»، ويقصد القيامة والصعود وحلول الروح القدس، يعرفون كَيف أنّهُ في الآب وهُم فيه وهو فيهم.[٦٩] وكأنه يقول لهم: عندما تختبرون من خلال عمل الروح القدس كيف إنّني قَد صِرتُ حالّاً فيكُم، وَقتَها ستفهمون كيف أنّ الآب كَان حالّاً فيَّ. لَقَدِ انفَتَحَ الإلهِيُّ عَلى الإنسانيّ مَرَّةً واحِدَةً و إلى الأبد. جَلَسَ المَسيحُ كإنسانٍ على يمين عظمة الله في اللامنظور، وحلّ الروح القدس في البَشَرِ المَنظورين.

في صَلاتِهِ الشَفَاعِيَّة في يُوحَنّا ١٧ يَطلُبُ يَسوعُ مِنَ الآبِ قَائِلاً: «كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي». عندما أكونُ «فيهم» سَوفَ يُدركونَ كَيفَ كُنتَ أنتَ «فيّ» وعِندَما «أُرسِلُهُم» سيفهمون كيف أنك قد «أرسَلتَني.» من المؤكَّدِ أنَّ التلاميذَ في ذلك الوقت لم يَفهَموا الكَلام. لكِنَّهُم بَعدَ أن قَامَ المسيح وصَعَدَ وحَلَّ عليهم الروحُ القُدُس فَهِموا الكَلام. وهذا نَفسُهُ هو ما قَد تنبأ به المسيح عندما قال لهم في يوحنا ١٤: «الَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.»

لقد اكتَشَفوا أنَّ الهَيكلَ المَوعود، والذي يَبقى إلى الأبد،[٧٠] لَيسَ هَيكلًا من حِجَارَةٍ تُقَدَّمُ فيه

٦٩ يوحنا ١٤: ٢٠

٧٠ إشعياء ٩: ٧

ذَبائِح حيوانِيَّة ويَحِجُّ إليهِ الناسُ من كُلِّ أَرجاءِ الأَرض، وإنَّمَا صَارَ المسيحُ الحَيّ القائم من الأموات هُوَ الهَيكل وصار المؤمنون به هم حِجارَةُ هَذا الهَيكل الرّوحِيّ المُمتَد في مَشارِق الأَرضِ ومَغارِبِها.[٧١] لقد فَهِمَ المُؤمنونَ الأوائل أن المسيحَ عندما دَخَلَ الهَيكل قُبيل الفِصح وقَلَبَ مَوائدَ الصيارفة وطَرَدَ باعَةَ الحَمام لَم يكُن مُجَرَّدَ نَبيّ من أنبياء العهد القديم يَقومُ بعَملٍ رَمزيٍّ يَقصِدُ بِهِ رسالةً رُوحية إحيائية تَجديدِيَّة لنفسِ النظامِ القَديم، ولم يكُن مجرد مُصلحٍ دينيّ جاء لإصلاح نظام العِبادَةِ في نَفسِ الهَيكل بعد أن سَادَهُ الفَساد. بعد أن قام المسيح، فَهِمَ تلاميذُهُ أَنَّهُ جاء مُحققاً لنبوة مَلاخي التي يَستَهِلُّ بها أصحاحه الثالث: «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصًا وَمُنَقِّيًا لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.»

رُبَّما كانوا قَد فَهموا سابقاً الجُزءَ الأَوَّلَ مِنَ النُبُوَّةِ أَنَّ يوحَنّا المَعمَدان هُوَ المَلاكُ الذي أَرسَلَهُ الله ليُهيئَ الطَريقَ أمامَ المَسيح.[٧٢] أمَّا الجُزءُ الثاني الذي فَهموه بعد القيامة فَهو أنَّ يسوعَ المَسيح هو نَفسُهُ السيد الذي يأتي إلى هَيكَلِهِ ليُعلنَ نِهايةَ هَذا الهَيكَل بَعدَ أَن أَدَّى دَورَهُ في زَمانِهِ،[٧٣] وإنَّ الهيكلَ الجَديد هُو المَسيح نفسُهُ. لقد كَانَ الهَيكلُ القَديمُ ومِن قَبلِهِ خَيمةُ الاجتماع يَرمُزانِ بصورَةٍ مَادِّيَّةٍ إلى الأَقداسِ السَماوِيَّة ويُمَثِّلان نُقطةِ التقاءِ الأرضِ بالسماء. أما عندما جاء المسيح فقد صار هو نفسه نقطة إلتقاء الأرض بالسماء. لذلك عندما هَاجمَهُ اليهودُ بسَبَبِ ما فَعَلَهُ في الهيكل وَقَالوُا لَهُ: «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ

٧١ أفسس ٢: ١٩؛ و١بط ٢: ٥

٧٢ متى ١١: ١٠

٧٣ يُواكِبُ هذا العَمل أيضاً تجفيف التينة (كان يُرمَزُ لإسرائيل في الكتاب المقدس بالتينة) وقولُهُ في يوحنا ١٥ أنه هو الكَرمة الحقيقية والله الآب هو الكَرَّام (وكانَ أيضاً يُرمَزُ لإسرائيل في الكتاب المُقَدَّسَ بالكَرمة التي زرَعَها الله بين الأُمَمِ).

لَهُمْ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.

لقد أَصبَحَ جَسدُ المسيح المُقام والجالسُ عن يمين الآب هوَ الهَيكلُ الجديد الذي يَلتَقي فِيهِ الإنسانيُّ بالإلَهِيّ في السَماء، وأَصبحَ المؤمنونَ بِهِ المُنتشرونّ في كُلِّ أنحاءِ العَالم هُم الهيكلُ الروحِيّ الذي يلتقي به الإلهيّ بالإنسانِيّ عَلى الأَرض، والروحُ القُدُسُ يَملأُ الكُلَّ في الكُلِّ. لنَقرَأَ فِي دَهشَةٍ وعِبادَةٍ ما يَكتُبُهُ بُولسُ الرَسول إلى أَهلِ أَفَسُس واصِفاً هذه الحقيقة السامية:

«مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.[٧٤]»

لقد اكتشفوا أن إسرائيلَ الجَديدَةَ لَيست أُمَّةً بالمَعنى السياسيّ الاقتِصادِيّ العَسكَرِيّ الذي ظَنّوه. لقد كانت الأُمَّة القديمة بمثابة مَرحلَةٍ بِدائِيَةٍ، وظِلٍ للأمورِ العَتيدَةِ وذلكَ عِندما تُصبح إسرائيلُ الله هي الأُمَّة التي تَجمَعُ البَشَرَ مِن كُلِّ جِنسٍ وعِرقٍ الذين يؤمنون بالمسيح ويعيشون المسيح، أي يعيشون تَصَالُحَ القُدرةَ مع الخُضوع، والحُرِّيَّةِ مَعَ الطَاعَة والخَلقَ مع المَخلوقِيّة وشَرِكَة الطَبيعَةِ الإنسانية مع الطَبيعة الإلهية.[٧٥] هاهو بولس يكتب: «لأَنَّهُ فِي

٧٤ أفسس ١: ١٨- ٢٣

٧٥ أي تصالح قدرة الإنسان على الخلق والإبداع مع كونه هو نفسه مخلوقاً.

الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ (اليهود) يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ (اليونانيين)، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ. فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ اللهِ.[٧٦]» ويكتب بطرس الرسول: «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِذلِكَ يُتَضَمَّنُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ: «هنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى». فَلَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ، «فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ» «وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ. الَّذِينَ يَعْثُرُونَ غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ، الأَمْرُ الَّذِي جُعِلُوا لَهُ» وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ.[٧٧]»

لقد اكتَشَفوا أنّ ملكوتَ اللهِ ليسَ مَلَكوتاً أرضياً لَهُ عَلَمٌ وحُدودٌ وسِيادةٌ عَلى مِنطِقَةٍ مِنَ الأرض وسُمعة بين الأمم كَمَا كانوا يَتَصَوَّرونَ ويحلُمون. لِقَد اكتشفوا أنَّ مَلَكُوتَ الله هو مُلكٌ رُوحِيٌّ عَلى القلوب يُغَيِّرُها ويَجعَلُ مَبدأها المحبة بدلاً من الشَهوَة والغفران بدلاً من الانتقام، والعَطاءُ بدلاً من الأَخذ. كَما لم يُؤمن المَسيحيون الأوائل أنَّ مَلكوتَ الله مُلكٌ أَرضيٌّ سِياسيّ، لم يؤمنوا أيضاً أنَّهُ التَخَلُّصُ مِن الجَسَد والذِهابُ إلى السَماء في حَياةٍ غيرَ جَسدية كما يُصَورُ لَنا الفكر الغنوسي الأفلاطوني الذي يحتقر المَادَّة والجَسَد. لقَد آمنوا أن ملكوت الله حَالٌ الآن فيهم رُوحياً وسوف يَكتَمِلُ جَسَدياً عِندما يأتي المَسيحُ ثانِيَةً ويُغَيرُ شَكلَ جَسَدِ تَواضُعِهِم لكَي يَكونَ على صُورَةِ جَسَدِ مَجدِهِ.[٧٨] لَم يؤمن المَسيحيونَ الأوائِلَ بقيامَةٍ رُوحِيَّةٍ بَل بقيامَةِ الأجساد، ولم يؤمنوا بأبديةٍ مَعنَوِيَّةٍ ولكن بأبديةٍ جَسَدِيَّةٍ مَادِّيَّة فيها يَملكونَ مَعَ

٧٦ غلاطية ٦: ١٥

٧٧ بطرس الرسول الأولى ٢: ٥- ١٠

٧٨ فيلبي ٣: ٢٠-٢١

المَسيح على الأرضِ والسَماءِ اللَّتانِ سَوفَ تَتَجَدَدان. وختاماً لنَقرأَ ما يكتُبُه بُولُس الرَسول فِي الأَصحاح الثامِنِ المَجيد من رِسالَتِهِ لأهل رومية:

فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا. لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا.[٧٩]

٧٩ رومية ٨: ١٨- ٢٣

الجزء الثاني

ما هو الإيمان؟

التَصديقُ العَقلِيّ والعِلاقَة الحُلولِيَّة والثِقَةُ الوُجودِيّة

إذا تساءلنا «ما هو الإيمان؟» و كَانت لَدينا بَعضَ المَعرفة بالعهد الجديد وحَضَرنا لمُدَةٍ كافية فِي كَنيسة، وبالذات إذا كَانَت كنيسةً إنجيلية، فبالطَبع سَوفَ تَرِنُّ في أذهاننا مُباشَرَةً الآيةُ الوارِدَةُ في الرِسالةِ إلى العبرانيين والتي تُقَدِّم شِبهِ تعريفٍ للإيمان: «وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى»،[1] لكن هَل هَذِهِ الآيةُ الواحدة التي ساقَها كَاتبُ الرِسالة كتقديمٍ لما يُريدُ أن يقولَهُ عَن الإيمان، تُقَدِّم شرحاً جَامِعاً مَانعاً للإيمان؟ بالطبع لا. فَماذا يَقولُ العَهدُ الجَديدُ بجُملَتِهِ عن الإيمان؟ هذا ما سوف نحاول تلخيصه في هذا الجزء من الكتاب.

ما يَحدُث في الأوساط الإنجيلية هو إنّنا عَادَةً ما نَعتَبِرُ الإنسانَ قَد صَارَ «مؤمِناً» أو قد «تَجَدَّد» عِندَما يَحضِرُ ما يُسمى «مؤتمرٌ كرازيٌّ» أو «نهضةٌ كِرازِيَّةٌ»، يستَمِعُ فيها إلى ترانيمَ وتَسابيحَ قَوِيَّةٍ، ثم عِظَةً نَارِيَّةً من واعِظٍ مَوهوبٍ فيما يُسمَّى «بالوَعظ الكرازِيّ» بَعدَها يُقَدِّم ذلك الواعظ «دَعوةً مِنبَرِيَّةٍ» لمَن قَد صَار مُستَعِدّاً لصلاة «تسليمِ الحَياة» أن يقفَ في مَكانِهِ و يقومْ بترديدِ هَذِهِ الصَلَاةِ خلفَ الوَاعِظِ. بَعدها يَصيرُ الإنسانُ مؤمناً، و يُعامَلُ كَذَلكَ مِنَ اليَوم التالي. هَذا الاعتقادُ مَبنِيٌّ على الإيمان بِعَمَلِ الله المُعجِزِيّ السرّي الذي يَلِدُ الإنسانَ ولادَةً جديدةً لَحظيَّة، ومِن هُنا جاءَ تعبيرٌ دارِجٌ هو «الخلاص في لحظة». بالطبع لا يوجَدُ هَذا التعبيرُ لَفظياً في الكتاب المُقَدَّس، لكِنَّ الذين قد آمنوا به وروَّجوا له يَعتمدونَ على تِلك الآيةِ الوارِدَةِ

---

١ عبرانيين ١١: ١

في الأصحاحِ العَاشر من رِسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: لكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ «اَلْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أَيْ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا: لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ.[٢] الصُورةُ التي صاغَ بها بولسُ الرَّسولُ هَذِهِ الفَقرَةَ توحِي بالسُرعَةِ والتلقائيَّةِ واللَّحظية. هذا طبعاً إذا اقتَطَعناها (كما اعتدنا مُنذ القرن السادس عشر[٣]) من وَسطِ تَعليم بولسَ الكَامِلِ في رسائِلِهِ المَختلفة. أمّا إذا حَاوَلنا أن نَرى الصُورَةَ الكاملة، كما نُحاوِلُ في هذا الكتاب، فسَوفَ تنهارُ بالطَبع مَقولةُ الخلاص في لَحظَة.

حَتّى في هَذِهِ الآيةِ نفسِهَا، إذا تساءَلنا ما مَعنى «آمَنتَ بقَلبِك»؟ وما هو «القَلب»؟ وكيف يؤمن الإنسان بقَلبِهِ؟ ومَا الذي يُثبِتُ أَنَّ الإنسانَ قَد «آمَنَ بقَلبِهِ»؟ أيّ ما هو الشَكلِ الخارجِيّ للإيمانِ القلبِيّ؟ هل هو البُكاء بعد ترنيمة تُذَكِّرُهُ بخَطاياه أو بمَحَبّةِ الله؟ هَل هُوَ الانفعالُ الذي يَجعَلَهُ يُخرِج عِلبَةَ السَجائر من جَيبِهِ ليَقومَ بتَمزيقِها أَمامَ الجَميع في مَشهدٍ دِراميّ يَتبَعَهُ التَصفيق؟ أم أنَّهُ الاعترافُ بعلاقَةٍ جِنسِيَّةٍ غَيرَ مَشروعَةٍ؟ أم هُوَ مِلءُ بطاقَةٍ مُتابَعَة؟

هل هذه السلوكيَّات هي دليلُ الإيمانِ القَلبي، أم أن الدليل هو التَغييرُ التَدريجِيّ للسلوكِ والعَلاقات الذي لا يُمكن الحُكم عليه إلّا عَلى مَدى وقتٍ كافٍ ومِن الأشخاصِ المُقَرَّبين مِن ذلك الإنسان بين أسرته وجيرانِهِ وزُملائِه في العَمَل؟ ما يَقولُه العَددُ العاشر في الفقرة السابقة من رسالة رومية: «اَلْقَلب يؤمَنُ به للبِرّ». البِرّ والعَدل والاستقامة هم أَدِلّةُ الإيمانِ وليس أي شيءٍ آخر. القَلبُ ليس هو المشاعِر والانفعالات. القلب هو الإرادة الداخلية، قُدسِ أقداسِ الإنسان الذي مِنهُ يَخرُجُ قرارٌ استراتيجيٌّ بالتَخَلّي عن فِكر العالم المُنحَصِر في الذَاتِ واللَّذّات وتَبَنّى فِكر ملكوت الله الذي يدور حول المَحَبّة والخروج من النفس نحوَ الله

٢ رومية ١٠: ٨- ١٠

٣ أوسم وصفي، *البؤرة. ما هي بؤرة المسيحية كما صَوَّرتها أقلام كُتّبة العهد الجديد*. (القاهرة، ٢٠١٥) ص ١٠. (حاشية رقم ٩).

والآخرين. إنَّهُ قرار «تَجديدُ الذِهن» أو «التَوبَة»، وهذا القرار لا يُمكن أن يراهُ أحدٌ إلّا مِن خِلالِ آثارِهِ السلوكية الحَقيقية التي تظهر مع الوقت كُلما قُام الإنسانُ بتَبَنّي هَذا القَرار في مَواقِفِ الحَياة المُختلفة فتنصاعُ المشاعر تدريجياً ويتغير السلوك.[٤]

بالطَبعُ عِندَما نَقولُ هَذا الكَلام لا يَعترِضُ أَحدٌ فِكرياً، لكن للأَسف قد كَرَّست المُمارَسات المُعتادةُ ثقافَةً أُخرَى مُغايرة تَعتَبِرُ الإيمانَ انفعالاً والتَوبَة قراراتٍ سَطحِيَّة وَقتية رُبما تكونُ تَحتَ تأثيرِ الجوِّ الانفعاليّ، وليس التأثيرَ الحَقيقيُّ للروحِ القدس. تأثيرُ الرُوحِ القُدسِ الحَقيقي، مثل تأثيرُ الريح (كما قال المسيح لنيقوديموس)، يُغيِّرُ اتِّجَاهَ الشِراعِ وبالتالي يأخُذُ الإنسانَ إلى وِجهَةٍ جَديدةٍ تُمتَحنُ مَع الوَقت.

نعودُ إلى المُمارساتِ الكنسية المُعتادة في الأوساطِ الإنجيلية. هذا «المؤمن» الذي لم يُمتَحَن إيمانُهُ الامتحانَ الحَقيقيّ بَعد، إذَا واظَبَ على حُضورِ اجتماعاتِ الكَنيسة وظَهَرَت لَهُ بَعضُ المَواهِب من لَباقةٍ في الحَديث وقُدرة على حِفظ بَعض الآياتِ الكتابية التي يُرَصِّعُ بِها صَلاتَهُ العَلَنية أو حَرارَةٍ في العَواطف الدينية أو مَهَارَةٍ في الأُمورِ الإدَارية فإنَّهُ سِرعَانَ ما يجدُ لنَفسِهِ مكاناً في مواقِع «الخِدمة» التي يَتَرَقَّى فيها شيئاً فشيئاً حتَّى يَصِلَ إلى مَواقِعِ القيادَةِ والتأثير، ومَن مِنّا لا يُريدُ مكاناً تحت الشمس؟ ويُمكن أن يحدُثَ كُلّ هذا دونَ أن يحدُثَ تغييرٌ حقيقيٌ في القَلب.

مَاذا يَنبغي أن نفعَلَ إذاً مَعَ الإنسانَ الَّذي وَصَلَتهُ كلمة الحياة وانفَعَلَ بها، وجَعَلَتهُ يرى نفسَهُ على حقيقَتِها وقَرَّرَ أَن يتبعها؟ كيف نساعِد مثل ذلك الإنسانَ أن يَحيَا حَياةَ المَلكوت ويصير تلميذاً للمسيح؟ للأسف الشديد، فإنّ هذا شِبهُ غائبٍ أو على أفضل تقدير، غير واضِح الملامِح بقَدرِ وضوح ملامِحَ الحَدَثِ الكِرازي أو ما يُعتبَرُ أنَّهُ «رسالَةَ الخلاص». بالطَبعِ

٤ يعقوب ٢: ١٧- ٢٠ ؛ ١يوحنا ٣: ١٨

سَوفَ يرُدُّ كثيرٌ من المسئولين قائلين: «لا بَل لدينا برنامجٌ مُتكامِلٌ للمُتابعة والتَلمَذَة». أمّا إذا قُمنا بفَحصِ هَذهِ البَرامِج، فسوف نَجِدُ أنَّها في غالبيتها، بَرامِجٌ، إما لدراسَةِ الكتابِ المُقَدَّس، أو مَوضوعاتٍ من اللاّهوت النِظامي العَقائدي. هكذا قد صارَت التلمذة في الكنيسة المُعاصِرة. لَن تَجِد (إلّا فيما نَدَر) بَرنامجاً يُساعِدُ الإنسانَ أن يَحيا مَبادِئَ مَلكوتِ السَمَواتِ العَمَلِيّة التي قَدَّمَها المَسيحُ في الموعظة على الجَبل. في الموعِظة على الجَبل، لَم يُقَدِّم المسيح دراسة في سفر إشعياء مثلاً، ولم يَتكلم عَن عقائِدَ وفَلسفات، إنَّما تَكَلَّمَ عن التعامُلِ مع الغَضَبِ و الشَهوةِ والزَواجِ والطَلاق والكَلامِ واللسانِ ومَحَبَّةِ المال. لماذا نَتَعَجَّب إذاً عندما تنشأ أجيالٌ تَعرِفُ العقيدةَ جَيّداً وتُجادِلُ بحماسٍ على مواقع التواصل الاجتماعي وفي نفس الوقت لا تَعرِفُ كَيفَ تُديرُ غَضَبَها أو خَوفَها أو رَغبَتَها الجِنسيَّة.[٥]

قد يبدو من كلامي أنَّهُ يحملُ إدانَةً للمُمارَساتِ الكَنَسيَّة المُعتادَة. بالقَطعِ لَا. إنني مُتَأكِّد وأعرف أشخاصاً كثيرين قد تَغَيَّرَت حياتُهُم تَماماً بعد حَدَثٍ من هذا النوع، لَكِنَّني أعرف أشخَاصاً أَكثَر لم تَشهَد حياتَهُم تَغَيُّراً إلّا في نَوعِيَّةِ أنشطَتِهِم ورَطانَتَهُم (الكلمات الدينية التي يُرَدِّدونها) وهُم يكتشفون ذَلِكَ عِندما يَتَعرَّضون لضُغوطِ الحَياةِ المُختلفة أو يفقدونَ الحَماسَ تدريجياً، أو يَتَحَمَّسونَ لأشياءَ أُخرَى مَثَلَ مُستقبلَهُم الوَظيفِيّ أو حَياتَهِم الأُسَريَّة أو أيِّ شيءٍ أخر.

يُمكِنُنا أن نُشَبِّه الذي يحدُث في النهضات و المؤتمرات بما قَالَهُ المسيحُ في مَثَلِ الزَارِع. هَذه الأحداث تُشبِهُ الزِراعَة عن طَريقِ «البَذْر» (Sowing) في هذه الطريقة، يَحمِلُ الزارِعُ كميَّةً

٥ غالباً السبب هو سببٌ لاهوتيّ وهو اعتبار أن هذه الأمور سوف يفعلها الروح القدس بطريقَةٍ تَلقائية في المؤمنين الذين ليس عليهم إلا التَعَمُّق في العقيدة. أما الجهاد للتغيير فهو أمرٌ لا يؤمِنونَ بِهِ، مَعَ أنَّهُ أمرٌ واضِحٌ جداً بين صفحات العهد الجديد. الآيات والفقرات الكتابية عديدة وتناقشها كتابات عديدة مثل *فرح الانضباط* لريتشارد فوستر و *تجديد القلب* لدالاس ويلارد، و *قوى التغيير* لناجي موريس و *إنسان الملكوت* و *البُوتَرة* لكاتب هذه السطور وغيرها.

كَبيرةً من البذورِ في كيسٍ كَبيرٍ مُعَلَّقٍ على كَتِفِهِ، يَملأُ مِنهُ يَدَهُ ثُمّ يُطيحُ بِها على امتدادِ ذِراعِهِ لتنفَرِش البذورُعلى رُقعةٍ واسِعَةٍ من الأرض. هكذا تَقَعُ البُذورُ عَلى كَافَةِ أَنواعِ التُربَةِ. بالطَبعِ هَذِهِ الطَريقةُ تؤدي إلى إنباتِ بعضِ البذور وذَلك عندما تَقَعُ على الأرض الجيدة، وتؤدي إلى عَدَم إنباتِ البَعضِ الآخَرَ عِندما تَقَعُ على أمَاكِنَ لا يُمكن أن تَنبُتُ فيها. هذه الطريقة في الزراعة مُفيدَة ومَطلوبَة ومُنتِجة، لكنها لَيست الطريقة الوحيدة. فهناك طريقةٌ أُخرى هي«الغَرس» (Planting)، أي غَرسِ البُذورِ بشكلٍ مقصودٍ في التُربَةِ الّتي تَمَّت تَنقِيَتُها و إعدَادَها، ثُمَّ رِعايَةَ هذه البُذور حتى تُثمر.

إذا كان النوعُ الأوَّلُ يعكِسُهُ مثلُ الزارع، فإنَّ النوعَ الثاني مِن الزِراعة يَعكِسُهُ مَثَلُ حَبَّة الخَردَل التي يقول يسوع أن إنساناً قد «أَخَذَها وزَرَعَها في حقله». هذا النوع من الكرازة يُمثل الكرازة من خلال الصَدَاقَة والمُعايشة والشَهَادة الفعلية بالحياة قبل الكلام. هَذَا النَوعَ من الشهادة يُعِدُّ التُربَةَ ويَحرُثُها قَبلَ الزَرعِ فيها. هَذِهِ أيضاً طَريقةٌ ناجِحَةٌ للكِرازة، الناتِجُ منها أقَلّ عَدَداً، لكنَّ الفاقدَ مِنها أيضاً قليلٌ. ويُمكنُ أن يَكونَ الناتِجُ أكثرَ كَثيراً عندما يُصبِحُ كُلُّ مَن يُطلَقُ عَليهِم اسمُ الرَّبّ بالفعل تلاميذَ للرَّب ويَشهَدون حيث يوجَدون في كُلِّ مكانٍ عن الحَياة المُتَغَيِّرة.

لَسنا الآنَ في مَجالِ المُقارَنَةِ بَينَ الطُرُقِ المُختَلِفَةِ لنَقلِ رِسالةِ الإنجيل، ولكن ما أريد أن أقولَهُ هُنا في هذا الجزء من الكتاب إنّنا، مَهما كانت الطريقة التي نُمارِسها في تقديم الرسالة، يَجبُ أن نَعرِفَ تماماً ما هو الإيمان؟ ما هو الإنباتُ؟ وما هُوَ الثَمَر؟ وكيف نَحكُمُ على إيمانِنا أو إيمانِ أيِّ إنسان؟ بالطبعِ فإنَّ مَن يحكُمُ على حقيقةِ الإنبات تَحتَ الأَرضِ هو مَن يَرى تَحتَ

الأَرض، فهُوَ وَحدُهُ «فاحِصُ القُلوب والكُلى[٦]»، و إنما عِندما يَطلعَ النباتُ فَوقَ الأَرضِ و يَصنعُ أوراقاً وأزهاراً وثماراً، يُمكن لأي إنسان أن يَحكُمَ على ذلك النبات من ثماره.[٧]

فما هو الإيمان إذاً؟

في هذا الجُزء من الكتاب سوف أحاوِلُ أن أُجيبَ عن سؤال: «ما هو الإيمان؟» وذلك تحت ثلاثة عناوين رئيسة تَشغَلُ الفُصولَ الثلاثَةَ التي يَتَكَوَّنُ منها هذا الجزء. في الفَصلِ الأَوَّلِ سَوفَ أتناولُ **التَصديقَ العَقليّ** لحقيقة قيامة المسيح. إن كانت قيامةُ المَسيحِ هي الحَدَثُ الذي قَد وَلَدَ المسيحيةَ والذي يُبنَى عَليهِ الإيمان، فيجب أن نتأكدَ إنَّنَا نَتَكلمُ عن حَدَثٍ قَد وَقَع بالفِعل، لأَنَّهُ إن لَم يَكُن المَسيحُ قد قامَ فباطلٌ إيماننا.[٨] ثم أنَّ قيامةُ المَسيحِ وصُعودُهُ إلى الآب قَد أَدَّيا إلى إرسَالِ الرُوحِ القُدُس ليرافِق ويَسكُنَ في المؤمنين بالمسيح إلى الأبد كما كان قد وَعَدَهُم. هذا الحَدَث يُدَشِّنُ البداية الحقيقية للعهد الجديد وللخليقة الجديدة والعلاقة الجديدة بين الله والناس. لذلك فسوف أُكَرِّسُ الفصلَ الثاني لدراسة ما قاله الربَّ يَسوع المسيح عن هذه العلاقة الجديدة وذلكَ في الأصحاحات من الرابع عشر إلى السابع عشر من إنجيل يوحنا تحت ما سوف أُسَمِّيه **العلاقة الحُلوليّة**. هذه هي المُعجزة الإلهية بحلول الروح القدس(شخص الله نفسه) في الإنسان ليُغَيِّرَهُ ويَلِدَهُ من جَديد، بل إنّ الروحَ القُدُس سوف يُقيمُ أجسادَنا في اليومِ الأخير،[٩] كما سوفَ يُدخِل الخَليقَةَ كُلَّها إلى حَالةٍ جَديدةٍ من الوُجودِ في الله. حيث يملأُ اللهَ الكَونَ كُلَّهُ بحضورِهِ كما تغطي المياه البحر.[١٠]

هذه العلاقةُ الحُلوليَّةُ ليست عَملاً يُجريه الله ونحنُ نستقبله بشكلٍ سلبيّ. هذه العلاقة

٦ مزمور ٧: ٩
٧ متى ٧: ١٦- ٢٠
٨ ١كورنثوس ١٥: ١٤
٩ رومية ٨: ١١
١٠ إشعياء ١١: ٩

الحلولية يتمُّ تفعيلُها دائماً من خلالِ **الثقة الوجودية** للإنسان. هذه الثقة تُعَبِّرُ عن نَفسِها دَائماً بجِهادِ الطاعَةِ وصِراعِ الثبات. البُرهان الوحيد الصادق على ثِقَتِكَ بأيّ إنسان هو أنَّكَ تُطيعُهُ فِيما يَقول ضامِناً أنَّ ما يَقولَهُ هُوَ الصَوابُ وهو الذي سوف يؤدي إلى تحقيق ما كان قَد وَعَدَك به (الثقةُ بما يُرجَى). الثقة بطبيبٍ تَعني تَعَاطي الدَوَاءَ الذي يَصِفَهُ مؤمِناً أن هذا الدواء سوف يؤدي بالفعل إلى الشفاء. لذلك فسوف يتناول الفَصلُ الثَالِثُ تِلكَ الزَاوِيةِ الثالِثَةِ من زَوايا مُثلث الإيمان الذي يَتَكَوَّن من التصديقُ العقلِيّ، والعلاقة الحلولية، والثقة الوجودِيَّة.

الفصل الخامس

هَذا أقامَهُ الله

التصديقُ العَقلِيُّ بِحقيقةِ القِيامة

لا يُمكن أن يكون هُناك إيمانٌ بدونِ تَصديقٍ عَقلي، و إلّا فليؤمن أيُّ إنسانٍ بأي شيءٍ مَهمَا كانَ خُرافياً. ولا يُمكن أن يَكونَ هُناكَ تصديقٌ عَقليّ بدون بُرهان منطقي. صحيحٌ أنَّ الإيمان به عُنصرٌ فَوقَ العَقل البشري لأنَّهُ إيمانٌ بإلهٍ قَد خَلَقَنا، وبعالمٍ روحيّ رُبَّما له قوانينَ مختلفة عن عالمنا المادّيّ، وبالتالي فإنَّهُ ليس من المَنطِق أن يُحيط المخلوقُ عِلماً بالخالق. لكن و إن كانَ الإيمانُ فَوقَ العقلِ البشري، فإنه لا يُمكِنَ أن يكونَ فوق المَنطِق. هُناك فَرق بين العقل البَشَريّ والمَنطق. العَقلُ البَشري هو مِثلُ جِهاز الحَاسب الآلي، أما المنطِقُ فَهوَ عِلمُ الحِسابِ نَفسُهُ. يُمكن للعقل البشري أن يعمل عمليات حسابية صحيحة لكن هُناك طاقة قُصوى له، أما عِلمُ الحِساب فيَبقى مُتجاوِزاً لقُدرات أي آلة حسابية. المَنطِق هو العقل العام، و يمكن أن نقول أنَّه عَقلُ الله نَفسُه. المَنطِق (Logic) هو كلمة الله (لوجوس) $\Lambda o\gamma o\sigma$ أي النُطق الإلهي. وواضحٌ من التركيب اللُّغوي العلاقة بين المَنطِق (من الأصل: نَطَقَ) و كلمة الله (التي هي نُطقُ الله). هذه الكلمة هي التي قد أتقَنَ بها صُنعَ العالمين،[11] ولا يَزال يَحفَظُ و يُديرُ العالمَ بها. إذا كَانَ المَنطِقُ هو اللوجوس وهو العَقلُ الإلهيُّ غَيرِ المَحدود، فإنَّ عَقلَ الإنسان، و إن كان يستطيعُ استقبالَ المنطق، إلّا أن من الطبيعي أنه لا يستطيع احتواءُه بالتَمام. يُمكن للإنسان أن يَجتهِدَ ليستوعِبَ أبعاداً أعمَقَ مِن المنطق فيصيرَ أكثَرَ ذَكاءً وحِكمةً لَكِنَّهُ لَن يَستطيعَ أبداً أن يَحتوي كُلَّ المَنطق.

---

١١ الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٣

طُوبى لمن آمنوا ولم يرَوا

من الأخطاءِ الشائِعة في التَفسير والاقتباس أن نَعتبرَ أنّ مقولةَ المَسيح لتومَا: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا.[١٢]» تُمَثِّلُ انتقاداً لاستخدام الإنسان لعَقلِهِ في الإيمان. ما انتَقَدَهُ المسيحُ هُنا هو اعتمادُ الإنسانِ عَلَى الحَواسِ الجَسَدِيَّة المُباشِرة (النَظَر أو اللمس). لقد قال المسيح طوبى لمن آمنوا ولم يَرَوا، ولَم يقُل طُوبى لمَن آمَنوا ولم يُفَكِّروا. إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يؤمن إلا إذا رأى فتقريباً لن يؤمنَ بشيءٍ، فهُناك أشياءٌ كثيرةٌ لا يُمكِنُ أن نَراها الآن. إذا كان الإنسانُ لا يُؤمنُ إلا إذا رأى، فكَيف يُؤمنُ بحقيقَة شَخصية المسيح أو مُعجِزاتِهِ أو صَلبِهِ أو قيامَتِهِ وكُلُّها أحداثٌ تاريخية تَمَّت في الماضي. لا يُمكن أن نَرَى هذه الأحداث، لكننا بالطبع نَستطيعُ أن نُفَكِّر ونَفحَص مَدى مَنطقية حُدوثِها وكَيفَ أنّها لَيست مُجَرَّد خُرافاتٍ مُصَنَّعَة كما كتب بُطرس الرسول.[١٣]

إن كَانَ الإيمانُ لا يَعتَمِدُ عَلى المَنطق والتَفكير لَمَا كَانَ هُناكُ إيمانٌ أَصَحَّ من إيمانٍ ومَا كَانَ هُناكَ أيُّ مَجالٍ أن يُحاولَ أحدٌ أن يُقنِع أحداً بأي إيمان. كيف تَنتَقد من يقولون: «لا تُناقِش ولا تُجادِل؟» وأنت تفعل مثلهم ولكن باستخدام عبارة أخرى هي: «طوبى لمن آمنوا ولم يروا»؟ وكيف تنتَقد الفلسفة البعد حداثية التي تقول أنه لا يوجد حَقٌ موضوعيّ مُطلَق و أنَّ ما يراهُ أيُّ إنسانٍ حقاً هو الحَقُّ من وجهة نظره. لذلك فإنَّ المُحافظين مِمَّن يَنادون بعَدَم إعمالِ العَقل في الإيمان لا يدرون أنهم قد وَضَعوا أنفُسَهُم دون أن يَدروا في المُعسكر البَعد حَداثي الذي يقولُ بأنَّ الإيمانَ قرارٌ قلبيٌّ لا علاقَةَ لَهُ بأيِّ حَقٍ مَوضوعِي.

هل حَدَثَ ذَلِكَ فعلاً؟

أتصور أن الإيمان بالعهد القديم يُبنى على الحقيقةِ التاريخيةِ لحَدَثِ خُروجِ بَني إسرائيلَ

١٢ يوحنا ٢٠: ٢٩

١٣ رسالة بطرس الثانية ١: ١٦

مِن مِصر الذي أسَّس لعلاقة العهد بين يهوه و بني إسرائيل، و بدونِهِ لا يَعدو كتابُ العَهد القديم أكثر أهمية بالنسبة لنا اليوم من شريعة حَمورابي أو نَصائح أمنحتب. أيضاً بالنسبَةِ للعَهدِ الجديد، إن لم يكُن المسيحُ قد قام، لَمَا كَانَ للعَهدِ الجَديد قيمةٌ مُعاصِرَةٌ أكثرَ مِن حواراتِ سُقراط أو جُمهورية أفلاطون أو منطق أرسطو.

فالسؤالُ إذاً هو هَل قامَ المسيحُ فعلاً؟ عندما قامَ المَسيحُ من بينِ الأموات لم يَذهب إلى بيلاطس أو إلى رئيس الكهنة لكي يُفحِمَهُما بحقيقتهِ الإلهية المَجيدة. لم يَظهر يَسوعُ إلّا لتلاميذِهِ، وذلك استمراراً لأسلوبِهِ في عدم كَشفِ الحَقائِقِ العَميقَةِ إلّا للمُستعدّين لَهَا و إلّا فإنَّها سَوفَ تَكونُ غيرَ ذاتِ نفعٍ لهم.[١٤] وكَما لم يُرد المسيحُ أن يكونَ الإيمانُ بقوةِ السلاح أو المال، لمْ يُرد له أيضاً أن يكونَ بقوةِ لإفحامِ والإبهار. الإيمانُ الحقيقي ينبغي أن يكونَ اختياراً حُرّاً تماماً. ومن يَختارَ الإيمانَ سَوفَ يُعلِنُ لَهُ اللهُ ما يُثَبِّتَ إيمانَهُ و يُقوّيه. لذلك يقولُ يسوعُ لمَرثا: «إنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟»[١٥] هذا هو الترتيبُ من وُجهَةِ نَظَرِ يسوع وليس العكس. وقد قَال المَسيحُ لتلاميذه ذلكَ حَتَى قبل أن يَذهبَ إلى الصليب، ففي يوحنا ١٤ يقول: «بعد قليلٍ لا يراني العالم، أما أنتم فَتَرَونَني. إنّي أنا حَيٌّ فأنتُم ستحيون.[١٦]» لذلك فإننا قد عرفنا خَبرَ القيامَةِ من رُسُل المسيح. فالسؤال الآنَ هو بشأنِ هؤلاءِ الرُسُل:

- هل لَم يَكتُبوا هَذا الكَلامَ ولم يُنادوا بِهِ أساساً، و إنّما أُضيفَ لَاحِقاً للأناجيل بواسِطَةِ بَعضِ المسيحيين تَحت تأثيرِ اتّصالِهِم بالحَضارة اليونانية الرومانية التي تؤمِنُ بِتَجَسُّد الآلهة؟[١٧]

١٤ علم المسيح تلاميذه ألا يُقَدِّموا حقائقَ رُوحِيَة إلّا للمُستَعِدّين لها وشَبَّهَ تقديمَ مِثل هذه الحقائق لغير المستعدين مثل إطعام الكلاب في آنية القُدس أو إلقاء الدُرَر للخنازير. لم يقصد الإهانة و إنما هي تشبيهات تفيد عدم قدرتهم على تقييم ما يُقدم إليهم.

١٥ يوحنا ١١: ٤٠

١٦ يوحنا ١٤: ١٩

١٧ أعمال الرسل ١٤: ١١

- هل كَتَبوه لكنَّهُم كانوا مُضَلِّلون. أي أنَّهُم كَذَبةٌ قاموا بتضليلِنا؟
- هل كَتَبوهُ وهُم مُضَلَّلون، أي واهِمون أو مَرضَى نفسيون؟
- أم أنهُم صَادِقون، وهذا ما حَدَثَ فعلاً ولَم يُمكنهُم إلّا أن يَصفوه كَمَا حَدَث رَغم غرابَتِهِ الشديدة؟

الاحتمالُ الأوّل: لم يكتُب الرُسُل هذا الكلام وإنّما أُضيفَ لاحِقاً بواسِطَةِ بَعضِ المَسيحيين تحت تأثير اتّصالِهِم بالحَضارة اليونانية الرومانية.

هذا الاحتمالُ هو نوعٌ مِمّا يُسمَّى بالنَقد العالي. لَيسَ نَقدَ الكلامِ المكتوبِ نَفسَه وإنما هو نقدٌ لنسبته للرُسُل الأوائل. هذا الاحتمالُ يَضحَدُهُ التَواتر. يُعَدُّ خَبرُ القيامةِ رسالةُ الكنيسةِ مُنذُ أن وُجِدَت، وذلكَ في حَالةٍ فريدةٍ من التّواصِلِ والاستمرارية. يكتب ن.ت.رايت (N.T.Wright) أنَّ المسيحية بدأت كَحَرَكَةٍ تُنادي بالقيامة (A Resurredtion Movement) وأنّه لا يوجد أيُّ دَليلٍ تَاريخِيّ عَلَى وُجودِ أيِّ شَكلٍ من أَشكالِ المَسيحيَّةِ الباكِرَةِ لم تَكُن القيامةُ فيه هي العقيدة المحورية. لقد كانت القيامة هي القوة المركزية المُحَرِّكة والتي أَمَدَّت الحركة المسيحية بالفكر والرسالة على مدى الأجيال.[18]

الاحتمالُ الثاني: كَتَبوه ولكِنَّهُم كانوا مُضَلِّلون؟ أي أنَّهُم كذبة قاموا بتضليلنا.

لَم يَكُن التلاميذُ كَذَبةً مُضَلِّلين وذَلِكَ للأسبابِ التالِيَة: أولاً: كَتب التلاميذُ الأناجيلَ المُتُشابِهَةَ في فَترَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُتقارِبَةٍ وكَانوا مُعاصِرينَ لبَعضِهِم البَعض، ومع ذلك تُوجدُ اختلافاتٌ في روايات الإنجيل. لو كان التلاميذ قَد اتَّفَقوا على تَضليلِنا لَكانوا بَذَلوا مَجهوداً أكبَرَ في تَوفيقِ رواياتِهِم كَما يَفعل الكَذَبَة عادَةً. أمّا كَونِهِم لَم يرُاعوا ضَبطَ هذه التفاصيل، فهذا دليلٌ على صِدقِهِم وأيضاً على حَجمِ الإثارة التي كانوا فيها بسبب هذا الحَدَث العجيب الذي لم تَكُن

18 http://ntwrightpage.com/2016/07/12/christian-origins-and-the-resurrection-of-jesus-the-resurrection-of-jesus-as-a-historical-problem/

له سَابِقةٌ في التاريخ. كَمَا أن وُجودَ مثلِ هَذِهِ الاختلافاتِ الطَفيفة التي لا تؤَثِّرُ على فَحوى رسالتهم،[١٩] لَهوَ دَليلٌ عَلى أنَّهم لَم يَكونوا عَلى دِرايَةٍ أنَّهُم «يكتبون كُتُباً مُقَدَّسة» و إنما كانوا يكتبون «قِصَّة الأمور المُتَيَقَّنة عندهم كما سَلَّمَها إليهم الذين كانوا مُعاينينَ وخُدَّاماً للكلمة» كما يقول لوقا في مُقدمة إنجيله.[٢٠] نُلاحِظ أن «الكَلِمة» بالنسبة للوقا البشير لم تكُن شيئاً يُسمَع أو يُقرأ و إنما يُعايَن و يُشاهَد. أي أنها خبرٌ بحَدَثٍ.

ثانياً: كَتَبَ التَلاميذُ أنَّهُم لَم يَعرفوا يسوع عندما رأَوه لأوَّلِ مَرَّةٍ بعدَ القيامةِ. لا يُمكن منطقياً لأشخاصٍ كَذَبة أن يكتُبوا هَذا الكلام فهو يُعَرِّضهم مُباشَرَة للاتهام بالتلفيق أو بأن الأمور قد اختَلَطَت عَليهِم. هذا دليلٌ آخر على صدقِهِم وأنَّهُم يكتبون ما حَدَثَ فِعلاً. مِنَ الطَبيعي أن تكونَ هَيئَةُ يسوعِ السَماوية بَعدَ القيامَةِ مختلفةً عن هيئَتِهِ الأرضية، و يُدَلِّلُ على ذلك أيضاً حَدَث التَجَلّي المكتوب عن يسوع فيه أن هيئته قد تغيرت قُدّامهم.[٢١]

ثالثاً: وَضَعَ التَلاميذُ خَبَرَ القيامةِ على لسان نساء. إن لم يكن هذا ما قد حَدَث بالفعل، فمن غير المنطقيّ أن يضع أحدٌ كِذبَةً مُلَفَّقَةً على لِسانِ نساءٍ، و بالذات في ذلك العَصر. من الأفضل جداً أن يضعها على لسان أشخاص مُعتَبَرين، على الأقلّ رجال. لَقَد كَانَ النساءُ في قاعِ المَجتمع في كُلٍّ مِن الثَقافَتَين اليهودية واليونانية عَلَى حَدٍ سَواء. إن لم يكن التلاميذ صَادِقين و يَنقِلونَ الأَحداثَ كما هي، لَكان من غير المُمكن أن يكتبوا أَنَّ أَوَّلَ مَن شَهَدنَ عَن خَبَرِ القيامة نساءٌ لا تُقبَل شَهَادَتَهُنَّ في المَحاكِم، ومن السهل جداً اتِّهَامِهِنَّ بأَنَّ عَواطِفَهِنَّ قد أَعاقَت حُكمَهُنَّ المَوضوعيّ عَلى الأمور.

---

١٩ على سبيل المثال يكتب متى أن قائد المئة ذهب بنفسه ليسوع (متى ٨: ٥) و يكتب لوقا أنه أرسل له رُسُلاً (لوقا ٧: ٦) و يذهب المؤمنون بالوحي الحرفي أميالاً بعيدة لمحاولة «تبرير» هذا الاختلاف مع أن الواضح أنَّهُم فقط لم يهتموا بهذه التفاصيل بقدر ما اهتموا بحقيقة أن يسوع قد شفى غلامَ قائدِ المئة، والأَهَمُّ هو أَنَّهُ قَامَ مِن بين الأموات. الأَرجَحُ أن رواية لوقا هي الأصح خاصة أنه يقول أنه تتبع كل شيءٍ بالتدقيق، وعلى أي حالٍ فالأمرُ لا يُهِم.

٢٠ لوقا ١: ٢

٢١ مرقس ٩: ٢

الاحتمالُ الثالث: هل كتبوه وهُم مُضَلَّلون، أي واهمون أو مَرضى نفسيون؟

لم يؤمن أَحَدٌ بيسوعَ إلّا بسَبَبِ ما كان يَفعَلُهُ. حَتّى تلاميذُهُ الإثنا عشر لم يؤمنوا به لأنَّهُم فَهِموا مَا كان يقول وإنَّما لأنه قَد أَظهَرَ مَجدَهُ من خِلالِ مَا صَنَعَهُ من مُعجزات.[٢٢] وبالرغمِ مِن ذَلِكَ، فإنَّ بَعضاً من تلاميذه الذين كانوا يؤمنون به تَراجَعوا ولم يعودوا يَمشونَ معه لأنه صَرَّح تصريحاتٍ كانَ صعباً عليهم فَهمها وتصديقها، أو رُبما وجدوا أنها قَد تُفقدَهم رِضَا المؤسَّساتِ الدينية.[٢٣] أما تلاميذُهُ الإثنا عشر فَظَلّوا يؤمنونَ بِهِ وإن لَم يفهَموا كُلَّ ما قَالَهُ. في موقفٍ من هذه المواقِف قَالَ لَهُ بطرس: «يارَبُّ، إلى من نذهب؟ كلامُ الحَياةِ الأَبَدِيَّةُ عندك ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحَيّ»، لكن بطرسَ نَفسَهُ لَم يقبَل فكرة أن «ابن الله الحَيّ» يموت، فعندما أنبأهم يسوع بأَنَّهُ سوف يموت، أَخَذَهُ بطرس جانباً ووبَّخه.[٢٤] وبالفعل عندما سُمِّر يسوعُ على الصليب، تَوَقَّع كل المؤمنين به أن يقومَ بعملٍ مُعجزيّ باهر فينزِلَ مِن على الصليب، فكَيفَ مَن قد خَلَّصَ كثيرين لا يَقدرُ أَن يُخَلِّصَ نَفسَهُ؟ وكَيفَ من أقامَ المَوتى، لا يستطيعُ أن يَنجو بنفسه من الموت؟[٢٥] أمّا يسوع فقد أَحبَط كل مُحبّيه والمؤمنينَ به إذ أسلَمَ للمَوتِ نَفسَهُ.

وبالفعلِ كَانت هَذِهِ هي الضربةُ القاصِمةُ لإيمانِ كُلِّ تَلاميذِهِ حَتّى أَنَّ أَقرَبَ تَلاميذِهِ فَرّوا واختبئوا في «غُرفة فوق السطوح» كما يفعل أتباعُ أيِّ قائدٍ أو رئيسٍ يتمُّ خَلعُهُ أو الانقلابُ عليه. حتى بطرسَ، قائدُ التلاميذ الذي كان قد تَرَكَ شباكَهُ، أي هَجَر مِهنَةَ الصَيد وتَفَرَّغ للخِدمة، عَادَ إلى شِباكِهِ بعدَ موتِ المَسيح وحَتّى بعد تواترِ بعضِ الأنباءِ عن قيامَتِهِ.[٢٦] والتلميذ كليوباس،[٢٧]

٢٢ يوحنا ٢: ١١

٢٣ يوحنا ٦: ٦٠

٢٤ متى ١٦: ٢١- ٢٢

٢٥ متى ٢٧: ٤٢

٢٦ يوحنا ٢١: ٣

٢٧ يعتقد بعضُ المُفَسِّرينَ أنَّهُ هو نَفسُهُ كلوبا الذي كانت زوجته واقفة عند صليب المسيح (يوحنا ١٩: ٢٥)، وأنه هو نفسه حلفي والد يعقوب بن حلفي وأنه أخ ليوسف النجار زوج مريم أم يسوع.

الذي يَقولُ وَهوَ في طَريقِهِ عَائداً إلى قَريَتِهِ عَمواس بعد أحداث الفصح العاصِفة: «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ».[٢٨] حتى يوحنا و يوسف الرامي ونيقوديموس، فلم يبدُ أنَّ اقترابَهُم من المَشهد كَانَ أكثَرَ من عملٍ من أعمالِ الشَّهامَةِ الشَّرقيَّةِ وتقديم وَاجِبِ الدَفن لصديقٍ رُبما يظنونهُ قَد ظُلِمَ، أو رَاحَ ضَحية فِكرةٍ مَجنونَةٍ أنَّهُ المَسيّا. إذاً فعندما مَاتَ يسوعُ على الصليب ودُفِنَ، لم يوجد على الأرضِ في ذلك الوَقت مَن كانَ يؤمِنُ بِهِ. انتَهى الحُلمُ وتَبَدَّدَ الرَجاء، وها نحنُ نعود مَرَّة أُخرى لذُلّ الرومان وبَطشِ هيرودُسَ وفَسادِهِ.

ثم في صَباحِ اليومِ الثالث، فجأة تَغَيَّرَ حَالُ التلاميذِ تَمَاماً وتحولوا مِن جَماعَةٍ خائِفَةٍ مُختَبِئَةٍ من اليهود في غرفةٍ عُلويَّةٍ[٢٩] إلى جماعةٍ مُمتَلِئَةٍ بالثقة والشجاعة حتى أن بطرسَ وَقَفَ في يومِ الخمسين يقولُ للجموع: «يسوع هذا أقامه الله ونحن شهودٌ لذلك»[٣٠] مِن أين أتى بطرسُ بهذه الجَرأة؟ وكيف آمَنَ ثلاثة آلاف نفسٍ في ذلك اليوم؟ ألم يَكُن قَادَةُ اليَهودِ قادرينَ أن يُظهِروا جُثمانَ يسوع ليَقضوا عَلى هَذِهِ الفِتنةِ الجَديدةِ في المَهد؟ لقد كَانَ القَبر فارغاً ولم يَكُن جَسَدُ يسوعَ موجوداً. رُبما يَقولُ قائِلٌ إنّ التلاميذ قَد سَرَقوا الجَسَدَ وتَخَلَّصوا منه. بالرغم من صُعوبة ذلك وهم مراقَبين وخائفين، فَضلاً عَن أنَّ ذلك كانَ يُعتَبرُ تَحَدّياً للإمبراطورية الرُومانيّة التي كانت تَبطِشُ باليهود لأسبابٍ أقَلَّ من ذَلِكَ بكثير. و إذا كان لدى الرومان أدنى شَكٍّ في ذَلك، لَكانَ التاريخُ قد شَهَدَ عَن مَوجَةٍ رَهيبَةٍ مِنَ البَطشِ والتنكيل باليهود كما شَهَدَ التاريخُ عن أحداثٍ مُماثِلةٍ سابقاً ولاحقاً.

رُبّما يَقومُ بسَرِقَةِ الجُثمان والتَخَلُّصِ مِنهُ أناسٌ مُنفَصِلونَ عَن الواقع ويعيشون في حَالَةِ

٢٨ لوقا ٢٤: ٢١

٢٩ يوحنا ٢٠: ١٩

٣٠ أعمال الرسل ٢: ٣٢

إنكارٍ ذهاني[31] فَسَرَقوا الجُثمانَ وتَخَلَّصوا مِنهُ وهُم مُنفَصِلينَ عَنِ الواقع لكي يُحافِظوا عَلى الضلالة العقلية، حتى و إن أدَّى ذلِكَ إلى موتِهِم. وهذا أمرٌ يَشهَدُ التاريخُ بحُدوثِهِ بَينَ أتباعِ الشَخصياتِ ذات «الكاريزما» والتأثير النفسي القويّ، حتى أن بعض من القادة الروحيين قادوا أتباعَهُم إلى الانتحارِ الجَماعِيّ[32] بسَبَبِ تَصديقِ ضلالَةٍ قَد زَرعوها في عُقولِهِم.[33] لكنَّ الحقيقةَ هِيَ أنَّهُم لم يَكونوا مُضَلَّلين ولا مُغَيَّبين بل فَقَدوا بالفِعلِ إيمانَهُم بِه عِندَما مَات. و إذا لم يكونوا قد فَقَدوا الإيمانَ بِهِ، فلماذا يكتبوا أنهم قد فقدوه؟ لَيسَ من دواعي الفَخر، خاصَّةً في هذا العَصر، أن يَقولوا أنَّهُم قد فقدوا الإيمان، بل أنَّ قائَدَهُم أنكَر وسَبَّ ولَعَن، إن لم يكُن هذا قد حَدَثَ بالفِعل. و إذا كانوا قَد فَقَدوا الإيمانَ بِهِ، فَكَيفَ يَسرِقونَ جَسَدَهُ و يَتخلَّصونَ مِنه لإنقاذِ إيمانٍ هُم بالفِعل قد فَقَدوه؟

الحقيقة هي أنَّهم لم يكونوا مُضَلَّلين ولا مُغَيَّبين بل فقدوا بالفعل إيمانَهُم به عندما مات.

والسؤالُ الأهَمّ هو كيف عَادَ إليهِم إيمانُهُم بَعد أن فقدوه؟[34] وليس ذلك فقط، بل كيفَ يَجعَلَهُم ذلكَ الإيمانُ العائِدُ أكثَرَ جَرأةٍ وجَسارَةٍ بحيثِ يَتَحَدّونَ المؤسَّسةَ الدينيةَ اليَهودِيَّةَ والإمبراطورِيّةَ الرومَانِيَّةَ التي كانوا خائفينَ منها، و يقفونَ في العَلَن في يوم الخمسين ليُنادوا

31 Psychotic Denial

٣٢ على سبيل المثال قاد جيم جونز Jim Jonesمجموعة من أتباعه يصل عددها لنحو ٩٠٠ شخص للانتحار الجماعي بمادة السيانيد في نوفمبر سنة ١٩٧٨ كان جونز قائد حركة اسمها «مَعبَد الشعوب» مَزَجَ فيها بين تعاليم المسيحية والتعاليم الاشتراكية وكان ينادي بالمساواة العرقية وقاد أتباعه إلى العيش معاً في صورة مجتمع طوباوي فاضل قد تَنَقّى من شرور العالم. وفي أمسية الثامن عشر من نوفمبر ١٩٧٨ عندما كان على وَشَك أن يَتم القبض عليه، أمر جونز أتباعه أن يشربوا عصير عنب مخلوط بمادة السيانيد فماتوا جميعاً. ومات وقتَها ٩١٨ شخص، بما في ذلك ٢٧٦ من الأطفال وتُعَد هذه أكبر حادثة فُقِدَت فيها أرواح أمريكيين قبل انفجار برجي التجارة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

٣٣ يذكر الطب النفسي حقيقة أن بعض المَرضى بالضلالات يُمكنهم زرع ضلالاتهم في عقول الأشخاص الأضعف والذين يتبعونهم و يُقدسونهم Shared Delusions

٣٤ بعض من أتباع جيم جونز فقدوا إيمانهم به وأرادوا أن يغادروا الضيعة التي كان جونز قد جمعهم فيها، لكن الحرس القائمين على المستعمرة اعترضوا طريقهم وقتلوهم وذلك قبل أن يأمر جونز أتباعه كُلَّهُم بشُرب السِمّ.

بالقيامة فيؤمِنُ بِها الآلاف من اليهود،[٣٥] وذلك بَسَبَبِ الحَدَثِ التالي للقيامة والذي يُدَلِّل على صِدقها، وهو انسكابِ الروحِ القُدُسِ عَلى التَلاميذَ وكَلامِهِم بلغاتٍ لم يفهموها، وأيضاً بسبَبِ الرَبطِ الذي قام بِهِ بُطرسُ الرَسول بينَ القيامة وانسكاب الروح القدس من ناحِيَةٍ، ونبوات العهد القديم من ناحيةٍ أُخرى.[٣٦] وليس ذلكَ فَقَط بل يخرجوا ليَشهدوا لليهود والأُمَم في كل أرجاء العالَمِ المَعروفِ في ذَلكَ الوقتِ بلا سَيفٍ ولا دينارٍ و إنما بقوة الروح القُدُس الذي كان يشهد معهم بآياتٍ وعجائبَ ومواهب.[٣٧]

من أينَ القُوَّة؟

تاريخياً، دينان فقط هُما اللَّذانِ انتشرا خارِجَ نِطاقِ ظُهورِهِما. المَسيحيةُ واحدةٌ مِنهما، لَكنَّها لَم تنتشر أبداً عن طَريقِ الغَزَواتِ والفُتوحات بل انتشرَت في أَرجاءِ العَالَمِ القديم بالكلامِ والإقناَع وذَلك عن طريق رحلات الرُسُل التبشيرية وأيضاً عن طريق الذين حَضَروا يومَ الخمسين وحَمَلوا الرسالة إلى حيث يعيشون في بلدان العالم المختلفة.[٣٨] كُل هذا كان قبل إيمان قسطنطين بالمسيحية. والسؤال الذي يفرض نفسه هُنا هو كيف فَرَضَت المسيحية نَفسَها عَلى هَذِهِ الإمبراطورية التي تتميز بالقُوَّةِ العسكرية والبَطش الوحشيّ؟ لَعَلَّ من قِصصِ الشَهادة الحَيّة التي شهد بها المسيحيون الأوائل لمواطنيهم ودولتهم الرومانية قصة الكتيبه الطيبية وقد سُمِّيَت هكذا لأن أفرادها كانوامن مدينة طِيبة (الأقصر) المصرية. عندما أعلَنَت بعض القبائل من فلاحي الغال (فرنسا) العصيان على مكسيميانوس إمبراطور القسم الغربي من الدولة الرومانية، أرسل إليه دلقديانوس هذه الكتيبة المصرية لمُعاوَنَتِهِ في تأديبِ ذلكَ التمرّد.

---

٣٥ وإذا اعتَرَض أحدٌ بأنّ حادِثَة إيمان الآلاف هذه ليست حقيقية، فإن انتشارَالمسيحية في أغلب أجزاء الإمبراطورية الرومانية (والذي أدى إلى اعتراف الإمبراطورية بها) لدليلٌ على منطقية حدوثِ هذا الحدث القويّ كبدايةٍ لها.

٣٦ ٢ بط ١: ١٩

٣٧ عبرانيين ٢: ٤

٣٨ أعمال الرسل ٢: ٥- ١١

وقبيل بدء المعركة كانَ لابُدَّ مِن إجراء بعض الطقوس الدينية الوَثَنِيّة لطَلَبِ مَعونَةِ الآلهة، لكن رجال الكتيبة من المسيحيين رفضوا المشاركة في هذه الطقوس، فأَمَرَ الإمبراطور بقَطعِ رُؤوسِ عَشرَةِ جُنودٍ بَعدَ جَلدهم لإرهابِ البَاقين لكنَّهُم حَرَّروا رِسالَةً إلى الإمبراطور كَتَبوا في بِدايَتِها ما يلي: «أيها القَيصر العظيم، نحن جنودك، لكننا في نفس الوقت عبيدُ الله. نَحنُ نَدينُ لَكَ بالخِدمَة العَسكَرِيّة، أمّا لله فندين بوَلاءِ قُلوبِنَا.[٣٩] نحن نأخذُ منك الأَجرَ اليَوميّ أمَّا اللهُ فسَننالَ مِنهُ الجَزاءَ الأَبَدِيّ. لا يُمكِنَنا بأيِّ حالٍ من الأَحوالِ أن نُطيعَ الأوامر المُخالِفَةَ لَهُ. إذا اتَّفَقَت أَحكامُكَ مع أَحكامِهِ فنحن نُنَفِّذُها، أما إذا تعارضت فلَن نَقبَلْها إذ يَنبغي أَن يُطاعَ اللهُ أكثر من الناس.» فاستمر الإمبراطور يَقتُلُ مِنهُم عُشراً فعُشراً حَتى أَبَادَ الكَتيبة بأَكمَلِهَا وقَد استُشهِدوا قُبيل الاضطهاد العام الذي قَادَهُ الطاغيان دقلديانوس ومكسيميانوس.[٤٠] هذا الاتزان العجيب بين الوطنية والإلتزام الروحي والأخلاقي هو ما أبهَرَ الرَومَانَ وعلى رأسهم الإمبراطور قسطنطين.[٤١]

لقد كانت وَصِيَّةُ المَسيحِ لتَلامِيذِهِ أَلّا يَحمِلوا سَيفاً[٤٢] ولا عَصاً ولا كِيساً ولا مزوداً[٤٣] لكيلا

٣٩ وهذا تطبيقاً لتعليم المسيح في الإنجيل بإعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

٤٠ موقع الأنبا تكلا. عن *قاموس آباء الكنيسة وقديسيها*.

٤١ حكم قسطنطين العظيم روما بين عاميّ ٣٠٦ – ٣٣٧ م. يُذكر أن والدته (هيلانة) كانت قد تحولت للمسيحية قبله، لكن يختلف المؤرخون واللاهوتيون حول اعتناقه هو نفسه المسيحية أم لا. على أي حال أصدر قسطنطين سنة ٣١٣ مرسوم ميلانو الذي يقضي بإضفاء الشرعية على العبادة والشعائر المسيحية. وأقيم تحت رعايته المجمع المسكوني الأول (مجمع نيقية) سنة ٣٢٥ م.

٤٢ في إنجيل لوقا (٢٢: ٣٦) يطلب يسوع من تلاميذه أن يشتروا سيوفاً. وعندما قالوا له أنه يوجد سيفان قال هذا يكفي. من الواضح أنه لم يكن يريد السيوف لكي يستخدمها هو وتلاميذه في القِتال، فَسيفان لا يَكفيَان بالطَبع. لقد أرادَ أن يَكون معهم سيوف ليس لأنه يريدهم أن يستخدموها ولكن على العكس، كان يريد أن يستخدم هو ذَلِكَ الموقف لكي يُعَلِّمَهُم ألّا يَستخِدموها. وَوجود سَيفان كَوَسيلَتَيّ إيضاح يكفي. وهذا بالفعل ما فَعَلَهُ. فعِندَما استَلَّ بطرسُ سَيفَهُ وضَرَبَ أُذُنَ عَبدِ رئيس الكَهَنَةِ، انتهَرَهُ يسوعُ وقالَ مقولتَهُ الشَهيرة:»رُدَّ سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون.» (متى ٢٦: ٥٢) ولَعَلَّنا رَأينا في كل عُصورِ التاريخ، ونَرَى الآنَ أيضاً كيف أنه بالفعل الذين يأخُذُونَ بالسَيف، بالسَيفِ يَهلِكُون.

٤٣ لوقا ١٠: ٤

يكونُ إيمانُ الناسِ تَحتَ تَهديد السَيف أو حَتى إغراءِ المَال. صَحيحٌ أنَّ المسيحيين عَبرَ العصور حَمَلوا السَيف ضَدَّ غَيرهم كَما حَدَثَ في الحروبِ الصليبية مثلاً، وحَمَلوه أيضاً ضِدَّ بَعضِهِم البَعضِ في حُروبٍ طَائفية عديدة، لكنَّها كُلّها لَم تَكُن حُروباً لنشرِ المَسيحية. فَمَا هي إذاً القُوةُ التي نشرت الإيمان المسيحي إلّا قوة القيامَةِ الفاعِلَةِ في القُلوب، وقُوّة الرُوحِ القُدس التي صَنَعَت المُعجزات. لقد صَنَعَ يسوع معجزات كثيرة، لكن مُعجِزَتَهُ العُظمى كانت أنَّهُ قَامَ من بين الأموات في اليوم الثالث كما قال.[٤٤] هَذِهِ المُعجزة كانت هي المُعجِزَة الحَاسِمة التي أثبتت بالفعل أنه ابن الله.[٤٥] والتي يؤدّي الإيمانُ بِها إلى الإيمانِ أنَّ يسوعَ هُوَ بالفِعل ابنُ اللهِ الحَيّ. هذا هُوَ البَاب لمُعجِزَة الولادة الروحِيّة والعِلاقة الحُلوليّة الجَديدة وللثِقَةِ والثَباتِ في مَحَبَّةِ المَسيح. فلا يُمكنُ أن تُطيعَ يَسوعَ دَونَ أَن تُحِبَّهُ ولا يُمكنُ أن تُحِبَّهُ وأنتَ لا تُصَدِّقه.

في الباب القادم سوف نَتَكَلَّم عَن هَذِهِ العلاقة الحُلولية التي يُشيرُ إليها يَسوعُ في الأَصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا عندما يقول: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ.[٤٦]»

٤٤ متى ١٦: ٤

٤٥ الرسالة إلى رومية ١: ٤

٤٦ يوحنا ١٤: ٢٠

الفصل السادس

أنا في أبي وأنتُم فيَّ وأنا فيكم

العَلاقَةُ الحُلوليّة

رُبَّمَا بَعد أن نَقرأَ أو نَسمَع كَلاماً سامياً كهذا يثور داخلُنا تَساؤلٌ يُشبِهُ الاعتراض: هذا الكلام جميل، لكن ماذا يفعل لنا هذا الإيمان في حياتِنَا الصَّعبَة؟ كَيفَ يَجعلَنا نَحتملُ ضُغوطَ الحَياةِ النَفسيَةِ والاجتماعية والاقتصادية؟ ماذا يفَعلُ هذا الإيمانُ لِي وأنا أُصارِعُ مَعَ مَا حَدَثَ لي في المَاضي ويُسَمِّمُ حياتي الحاضِرَة؟ ماذا يَفعلُ لي في احتياجاتي الجِنسيَّةِ التي تَصرُخُ داخلي ولا أعرفَ كيفَ أُسَدِّدَها دون أن أُخطئ؟ ثُمّ كيف يَضعَ الله دَاخلي مِثل هَذِهِ الاحتياجات ثُمّ يَضَعُ حُدوداً عَلى تَسديدِها؟ وماذا عن احتياجاتي المادّية وعَدَمِ وُجودِ عَمَلٍ؟ هَل يُساعدُني هُذا الإيمانُ في الظروفِ الصِحِّية الصعبة التي أَمُرُ بها ويَمُرُّ بِها أَحِبَّائي ومَن هُم حَولي؟ ماذا يفعل لي هذا الكلامُ في زَواجيَ المُنهار؟

هذا بالنسبة لي شخصياً، أما بالنسبة للعالم الذي أعيشُ فيه، ما الحلُّ للفَقر والجَهل والمَرَض والظُلم والقَهر الذين أراهُم في العالم؟ ماذا عن دماء الأبرياء التي تُسفَك كُلَّ يوم؟ ماذا عن الفَساد الذي ينخُرُ في عِظامِ المُجتَمَعات، وتِلكَ الهُوّةَ الهَائِلَةَ بين الأغنياء والفُقراء؟ ماذا عن قَلبي الذي يَنكَسِرُ من أجل أطفال فُقراء يَحلُمونَ ببَيضةٍ ولَيس بلُعبة؟ ماذا يفعلُ اللهُ لمثلِ هؤلاء، بَل أينَ هُو مِن كُلّ ما يحدُثُ من ألمٍ وشرٍ وظُلمٍ في عالَمنا؟ هل هُناكَ إجابةٌ عَن كُلِّ هذه التساؤلات؟ هل هناك حلٌّ لهذه الصراعات؟

بالطبع لن نخوضَ في قَضِيّةِ الشر والأَلَم حيثُ أنَّها موضوعاتُ كُتُبٍ أُخرَى، لكن مَا نريدُ أن نُقولُهُ هُنا هو أَنَّ الإيمانَ المَسيحِيّ، وإن كَانَ سامِياً جداً حتى أنك تَخَالَهُ يُخاطبُ بَشراً

ليسوا من هذا العالم، إلّا إنَّهُ مُتَجَسِّدٌ إلى أَقصَى حَدٍّ. إنَّهُ إيمانٌ بالإلهِ الذي صَارَ إنساناً من أجلِنَا، ومَاتَ وقَامَ وصَعَدَ إلى السموات وأقامنا معه روحياً، وجَلَسَ عَن يمين الآب وأجلسنا معه وأرسل الروح القدس لكي يَسكُنَ فينا. فَهو إذاً إيمان يِنزِلُ إلينا في أَدَقِّ تَفاصيل حياتنا. هو الإيمانُ الذي يَجعَلُ اللهَ ليس فقط مَعنا، و إنَّمَا فينا. وعندما يكون الله فينا، فهو يجيبُ عن هذه التساؤلات من داخِلِنا وليس من خارجنا. لن تأتي لَنَا الإجاباتُ مِن الخارج و إنما من الداخل. لن يَتَدَخَّل اللهُ لحَلّ هَذِهِ المُشكلات إلا من خلالِنا. عندما نتساءل أينَ اللهُ من كُلِّ ذلك؟ عَلينا أن نتساءل أين نحنُ من كل ذلك، فالله قد اختارَ أن يكونَ فينا. لَم يَختَر أَن يَحُلَّ مُشكِلَةَ الفَقرِ بأَن يُمطرَ مَالاً على الفُقَراء، بل اختارَ أن يَسكُنَ قُلوبِ النَاس لِكَي يتمُّ تسديدُ احتياجاتِ الفُقَراءِ مِن خِلالِ الأَغنياء لتَكونَ فُضالَةُ هؤلاءِ لإعوازِ أولئك حَتى تحدث المساواة.[٤٧] وهذا يحدث سواء عن طريق مُبادراتٍ شَخصِيَةٍ فَردية، أو من خلال نظامٍ حُكوميٍّ يأخُذُ الضرائب من الأغنياء ليَعطيها للفقراء في صورة دَعمٍ وخَدَماتٍ وفُرَص عَمَل وذلك لتحقيق العدالة الاجتماعية.[٤٨] وليس فقط الاحتياجات المادّية، فكثيرٌ من الاحتياجات النفسية يُسدِّدها الله أَيضاً من خلال بَشَر يَتَمَيَّزون بالتَفَهُّم والصَبر والقبول غير المشروط والاستعدادِ لمُسانَدةِ وتعضيدِ بَعضِهِم البعض وهي الصِفات التي يَجَب أَن يَتَّصِف بِها مُجتمعُ الإيمان. إنّ هَدَفَ الله ليس هو حَلُّ المُشكلاتِ بقَدر ما إنَّ هَدَفَهُ هو خلقُ مُجتَمَعٍ يقومُ بحَلِّها. إن خِيارَ الله الاستراتيجيّ هو أَن يصنعَ مشيئَتَهُ مِن خلالِ البَشر، وهذا لِأَنَّهُ يُريدُ في النهاية أَن يَخلقَ

إنّ هَدَفَ الله ليس هو حَلُّ المُشكلاتِ بقَدر ما إنّ هَدَفَهُ هو خلقُ مُجتَمَعٍ يقومُ بحَلِّها.

٤٧ ٢كو ٨: ١٤

٤٨ لذلك يجب أيضاً أن يكون لدينا دورٌ سياسيّ في المُجتمع حتى نُساهِم في تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع كَكُلّ. و يَتَدَرَّجُ هذا الدور بدايةً من دفع الضرائب بأمانة، إلى التصويت في الانتخابات، إلى القيام بالثَوَرات إذا لم تقُم الأنظِمة بدورِها لتحقيق العدالة الاجتماعية ومُحارَبَة الفساد.

مُجتمعاً من المَحَبّة. في مُقَدِّمَة الكِتابِ الدراسي، *الحياة مع الله*، يكتب المُحرِّرون عن هَدَف الله في التاريخ ما يلي:

> إنَّ هَدَفَ اللهِ في التّاريخ هو خَلقُ مُجتَمَعٍ جَامِعٍ من الأشخاصِ الذين يُحِبُّونَ بَعضَهُم بعضاً، والله نَفسُهُ في قَلبِ هَذا المُجتمع ليكونَ حَافِظَهُ الأوَّل وسَاكِنَهُ الأَمجَد (أفسس ٢: ١٩- ٢٢، ٣: ١٠). والكتاب المقدس يَتَتَبَّعُ خُطواتِ تَكوينِ ذلكَ المُجتَمَع بِدايَةً من الخَلق في جَنَّةِ عدن وانتهاءً بالأرض الجديدة والسماء الجديدة.[٤٩]

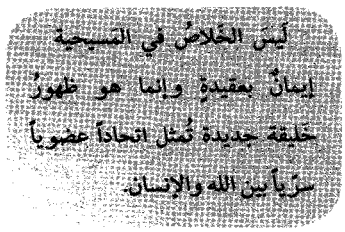

في هذا الفَصلِ سَوفَ أستَعرِضُ بَعضَ الآياتِ والفَقَراتِ، بالذاتِ من إنجيل يوحنا ومن كتابات بولس، وذلكَ للتأكيد على أنَّ الخَلاصَ المَسيحي هو ذلك النوع من الحُلولِ المُعجِزِيّ الذي يُجريه الله (الروح القُدُس) في الإنسان. لَيسَ الخَلاصُ في المَسيحية إيمانٌ بعقيدةٍ وإنما هو ظهورُ خَليقة جديدة تُمثل اتحاداً عضوياً سرّياً بين الله والإنسان. وفي الفصل التالي سوف أتناولُ حَقيقةً لا تَقلُّ أهميةً عن هذه الحقيقة، وهي أن هذه العلاقة الحلولية ليست أمراً سلبياً يُجريه الله فينا دون مشاركةٍ منا، فهُناك دورٌ إنسانيٌ أساسيٌ لتَفعيل هَذِهِ العلاقة الحُلولية بشكلٍ مُستَمِرٍ. هذا الدور الإنسانيّ هُوَ الثِقَة الوجودية المُتمثلة في صِراعِ الطّاعة اليوميّ وجِهادِ التّبَات المُستَمِر.

أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم

مُنذُ عِدّة سَنوات بدأتُ أُمارِسُ من جديدٍ تَدريب حِفظ فَقَراتٍ كَبيرةٍ من الكتاب المقدس.

49 Richard Foster, Dallas Willard, Walter Brueggemann, Eugene H. Peterson, *The Life With God Bible*,(San Francisco: HarperOne, 2009)p1.

كنت أمارسُ ذلك في بداية إيماني منذ أكثر من خمسةٍ وعِشرينَ عَاماً لَكِنَّني توقفت. ثم قَرَّرتُ العَودَةَ لذلِكَ بحماس أكبر بسبب تشجيع الصديقة العزيزة جان جونسن (Jan Johnson) من خلال كتابِها *تجديد القلب ــ اختبارات يومية* والذي قُمتُ بترجَمَتِهِ مُنذُ عِدّة سَنَوات. ومُنذُ شُهورٍ قليلة قررتُ أن أبدأ مَشروعاً طَموحاً لحِفظِ أَربَعَة اصحاحاتٍ كَامِلَةٍ من إنجيلِ يوحَنا وهي الأصحاحاتُ من الرابعِ عَشر إلى السابعِ عشر، وأَستَطيعُ أَن أَشهد أن هذا المشروع يُغَيِّر حَياتي. هذه الأصحاحاتُ الثلاث تَدورُ حَولَ ثلاث موضوعات رئيسة هي: **الأحداث المُستقبلية، والعلاقة الحُلوليَّة و الصراع مع العالم**. والرَبطُ المَنطِقيّ بَين هذه الموضوعات الثلاث واضحٌ. بِدايَةُ الأحداثِ المُستقبلية التي يتكلم عنها المسيح في هذه الأصحاحات الأربع هي القيامة وحُلولُ الروح القدس. الروحُ القُدُسُ هو صَانعُ العلاقَةِ الحُلولية، والعَلاقة الحلولية سوف تَصنَع في العالم خليقةً جديدةً مُختلفةً مُحورُها المَحَبَّة. هَذِهِ الخَليقةُ ستكونُ في حَالَةِ تَحَدٍ مُستمرٍ لروحِ الأنانية والانحصار في النفس التي في العالم والتي تَنضَحُ فِيه كَرَاهيةً وعُنفاً ومَوتاً.

الأحداثُ المُستقبلية

أمَّا بالنسبَةِ للأَحداثِ المُستَقبَلِيَّة، يبدأُ المَسيح حديثَهُ الطَويل في الأَصحَاحِ الرابعِ عَشر بالحديث عن أن في بيت الآبِ منازلُ كثيرة وأَنَّهُ سَوفَ يَمضي، مِن خِلال المَوتِ والقِيامة والصُعود، ليُعدَّ مَكاناً للمؤمنين به في بيت الآب. ومَتَى أَعَدَّ ذلكَ المَكان، الذي هو مَكَانَهُ الذي سوف يجلس فيه عن يمين الآب،[٥٠] سَوفَ يأتي ويأخذ المؤمنين به إلى هذا المكان. عندما يَتَكَلَّم يَسوعُ قائلاً: «آتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» لا أَظُنُّ أنه يشير إلى مَجيئِهِ الثَاني لأَنَّ المَسيحَ في مَجيئِهِ الثاني لن يأتي ليأخذنا إلى السماء وإنما لكي يُجَدِّدَ الأرض والسماء. أَتَصَوَّر أن المجيء الذي يُشير إليه هو مَجيء الروح القُدُس

٥٠ أفسس ١: ٢٢، ٢: ٦

الذي سَوفَ يقومُ بخَلقِ هَذِهِ العَلاقة الحلولية التي تجعل المؤمنينَ بالمَسيح، و إن كانوا جَسَدِيّاً على الأرض، إلا أنهم في نفس الوقت جَالِسين مَعَهُ عَن يَمين الآب فِي الأَقداس غَيرِ المَنظورة، وأظُن أن هذا ما يَقصِده بعبارة «آخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» هذه المقولة التي قالَها يسوع تُقابِلُ ما كتبه بولس الرسول: «أقامَنا مَعَهُ وأجلَسَنا مَعَهُ في السماويات في المسيح يسوع.[٥١]»

يَظهَرُ هَذا في العَدَد الخامس عشر، حيثُ يُشيرُ إلى أَنَّهُ في مَجيئِهِ ذَلك لَن يَراه العَالم. «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ.» وَهَذا لَن يكونَ الحال في مجيئِهِ الثاني في آخر الزمان حيث ستَنظُرُه كُلُّ عينٍ.[٥٢] تَكَلَّمَ يسوعُ كثيراً في هذه الأصحاحات الثلاث عن مَجيء الروح القدس إلى العالم ومُكوثِهِ في المُؤمنين إلى الأبد. «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.[٥٣]» وأيضاً: «بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.[٥٤]» ثمّ في الأصحاحَ الخَامس عشر: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ.[٥٥]» ثم في الأصحاح السادس عشر يستَفيضُ في الكلامِ عن الروح القدس وعَمَلِهِ والعَلاقَةِ التي بينَ الآبِ والابن والروح القدس: «وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ

٥١ أفسس ٢: ٦
٥٢ رؤيا ١: ٧
٥٣ يوحنا ١٤: ١٥-١٧
٥٤ يوحنا ١٤: ٢٥
٥٥ يوحنا ١٥: ٢٦

مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لاَ تُبْصِرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيل أَيْضًا تَرَوْنَنِي، لأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ.[٥٦]»

الروحُ القُدُس صَانِعُ العلاقةِ الحُلوليّة

في هَذِهِ الأصحاحات يُعلِنُ يَسوعُ تَفَهُّمِهِ للحَالَة التي تلاميذُهُ الآن عليها من صُعوبَة فَهمِ كَلامِهِ واستيعابِ العَلاقَةُ الحُلولية التي بينه وبين الآب، فهذا أمرٌ يحتاج إلى ذهنٍ روحيّ مُختَبرٌ ومُدرَّبٌ، بل في واقع الأمر يحتاجُ الأمرُ أن يَختبروا هُم أيضاً نفس العلاقة الحلولية. لَقَد كَانَ التلاميذُ يُحِبّونه ويُصَدِّقونه، لَكِنَّهُم لم يفهموا كَلامَهُ تماماً. عندما كان يقول على سبيل المثال أَنَّه هو المَنّ النازل من السماء، وأَنَّهُ هُوَ الطريقُ والحَقُّ والحَياة، أو أَنَّهُ القيامة والحياة، لم يفهموا معنى كلامه، لكنهم كانوا يعرفون أنَّ رُبَّما هذا هو «كلام الحياة الأبدية»[٥٧] أو «كلام الدهر الآتي»، خصوصاً أنَّ الذي كان يقول هذه الأقوال كان يعمل أعمالاً لم يعملها أحدٌ غَيرَهُ.[٥٨]

يَتَفَهَّمُ يَسوعُ أَنَّهُم في حَالَتِهم الجِسدانِيّة وتَفكيرُهُم الجِسداني لا يَفهمونَ هَذِهِ العلاقةِ الحُلوليّة، ويَعِدُهُم أَنَّهُ مَتى جاء الروحُ القُدُسُ فعندَئذٍ سَوف يَختبرونَ حلولَهُ هُوَ نَفسُهُ فيهم.

٥٦ يوحنا ١٦: ٥-١٦

٥٧ يوحنا ٦: ٦٨

٥٨ يوحنا ١٥: ٢٢- ٢٤

وفي ذلك الوقت سوف يُدركوا كيف كان الآب فيه. «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. **فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ.**» (يوحنا ١٤: ٢٠). أَشارَ يَسوعُ أَيضاً إلى هذه العلاقة الحُلوليّة بصورةٍ أُخرى في نَفسِ الأَصحاح عِندَما قالَ رَداً على توما: «لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». عندئذٍ اعترَضَ فيلبُّس، وكَأَنَّهُ يقول: كيف رأيناه؟ نحن لم نَرَهُ. ليس أحدٌ رأى الله، ولا أحدٌ يُمكِنُ أن يَرى اللهَ ويَعيش، كما قال الرب لموسى في القديم.[٥٩] قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». نحنُ لَم نَرَ الآبَ ونَتَمَنَّى أن نَراه، فإن كُنتَ تَقدِرُ أن تَجعَلنا نَراه فأرجوكَ أن تفعل وكَفانا. هذا السؤال، وإن كان يَكشِفُ أَنَّهُم لَم يستطيعوا أن يروا الله فيه، إلا إنَّهُ فِي طَيّاتِهِ يَحمِلُ إيماناً عجيباً بقُدرة المَسيح أن يُرِيَهُم الآبَ. فأَجابَهُ يَسوعُ وكَأَنَّهُ يَقول لَهُ: لقد فعلتُ ذلكَ بالفعل. لقد أَرَيتَكُم الآبَ في صُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ، فَهذِهِ هِيَ الصُورةُ الوحيدَةُ التي يُمكِنُكُم أن ترَوه فيها. قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟» ثم يشير مَرَّةً أُخرى إلى العلاقة الحلولية قائلاً: أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ ثم يُقَدِّمُ على ذلكَ تطبيقَين، هُما الكَلامُ والأَعمال ويربُطهما بشكل عجيب، فكلامُ الله لَيسَ كَكلامِ البَشر. الله كَلامُهُ فعلٌ، هو يقول فيكون، يأمُر فيصير.[٦٠]

قَالَ يَسوعُ: «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا.[٦١]»

---

٥٩ خروج ٣٣: ٢٠

٦٠ مزمور ٣٣: ٩

٦١ قدم يسوع هذا الرَبط بين الكلام والأعمال كشهادةٍ على أنه في الآب والآب فيه مرة أخرى في يوحنا ١٥: ٢٢- ٢٤ «لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ، وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيَّتِهِمْ. اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا. لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ، وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي. وفي يوحنا ١٧: ٤- ٨ «الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ

(يوحنا ١٤: ١٠ب - ١١) ثم بعد ذلك مُباشَرَة يقول لهم مَتى وكَيفَ سوفَ يَستطيعونَ أن يُصَدِّقوا. في العدد الثاني عشر يقول: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ.» وكَأَنَّهُ يقول: عِندَما أَحلُّ فيكُم بالروحِ القدس وتَجِدون أَنفُسَكُم تَعمَلونَ نَفسِ الأَعمال التي كُنتُ أنا أَعمَلُها. عندئذٍ سَوفَ تَفهمونَ العلاقةِ الحَلوليّة وتُدركونَ كيف أن الأعمال التي كُنت أعملها هي أعمال الآبِ الحالّ فيَّ. في ذَلِكَ الوَقت سَوفَ تختبرونَ حقيقَةَ الخليقةَ الجَديدةَ وتُدركونَ ما هي الحياة الأبدية. انها الدخول مع الآب والابن والروح القدس في علاقة عُضوِيَة حُلولِيّة.

ثم في فَقرةٍ أُخرى عَبقرية من فَقَراتِ العَهدِ الجَديد، وهي الفقرة الأولى من الاصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا: «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعونهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ. إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بِهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلاَمِيذِي.»

الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.«أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.

هُنا يُشبِّهُ يسوعُ هَذه العلاقة العُضويّة بعِلاقة الغُصن بالكرمة. الغُصنُ جُزءٌ من الكَرمة، ومَا الكَرمَةُ إلا جذرٌ وأغصان؟ يَسوعُ هو جِذرُ الكرمة والمؤمنونَ بِهِ هُم أغصانُها. الجِذرُ يَثبُتُ في تُربة الوُجود، أي في الآب، أَصلُ الوجودِ وخَالِقُ الأَشياء بكَلِمَتِهِ وروحِهِ. أمَّا الرُوحُ القدس فيُمكِنُ أن نقول أَنَّهُ العُصارةُ التي تَسري في الجَميع لتُحَقِّقَ هذا الوُجود المُتكامل. و إذا كَانَ غُصنُ الكَرمَةِ بُدونِ الثَبات في الكرمة يتحول إلى عود حَطب لا حياةَ فيه، فبدون الثبات في المسيح، تَجِفُّ الحياة الروحية وتَموت.

وأخيراً هذه الفقرة من الصلاة الختامية التي في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا:

«وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، **لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي.** وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، **لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ،** وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي.»

الآبُ والابنُ كيانٌ واحد، والكنيسة (المؤمنين) هي جَسد المسيح. هذا يعني إن دخول ملكوت الله يعني الدخول إلى نَفس نَوعِيَّةِ الوَحدة الّتي بَين الآب والابن فيصير الوُجودُ الرُوحِيُّ كُلُّهُ واحدٌ، فيصير الله هو الكُلّ وفي الكُل.

علاقةُ الله بالعَالم

يتأرجَحُ الفكرُ الدينيُّ عن علاقة الله بالعالَم بين التورُّط التامِّ الذي يحسبُ الله والكون أمرًا واحدًا، والتَّسامي التامِّ حيثُ لا يكترِثُ الله بالعالَم ولا يتدخَّل في شؤونه. عندما نحسبُ أنَّ الله والعالَم أمرٌ واحدٌ؛ وأنَّ كلَّ ما في الوُجودِ هُو جزءٌ من الله، فهذه هي عقيدةُ «وحدة الوجود» (Pantheism). وتقول هذه العقيدةُ إنَّ الكَونَ المادِّيَّ والإنسانَ ليسا إلَّا مظاهرَ

للذَّات الإلهيَّة. هذا المفهومُ عن الله هو السائدُ في الديانات الشرقيَّة مثل الهندوسيَّة. أمَّا حينما نفترضُ أنَّ الله منفصلٌ تمامًا عن الكون، فهذا ما يُعرَفُ بمفهوم «الربوبيّة» (Deism). ويَصِفُ الربوبيُّون علاقةَ الله بالكون كمَنْ صنعَ ساعةً ثمَ تركَها تدقُّ بحسب قوانينها دونَما أيِّ تَدخُّلٍ من جَانِبِهِ. أمَّا المفهومُ الثالث فهو أن الله منفصلٌ عن الكون لكنه مُهتَمٌ به ومُتَوَرِّطٌ فيه، وهَذا ما يُعرَفُ بمفهوم «الألوهية» أو «الوَحدانية» (Theism)، وهو ما تؤمن به الديانات التي تُسمَّى «سَمَاوِيَّة».

هناكَ مفهومٌ رابعٌ يطلَقُ عليه بالإنجليزيَّة (Pan-en-theism)، والذي يمكن أن نترجمَه بمصطلح مثل«السيادة الحُلوليّة». وبسبب عيوب المفهومين السابقين يحاوِلُ هذا المفهوم أن يوفِّقَ بين وحدة الوجود والألوهيَّة مع مَيلٍ قليلٍ نحو وِحدَةُ الوجود. يقول هذا الفكر إنَّ العالَم موجودٌ في الله، أي أنَّ الله والكونَ هما أمرٌ واحدٌ وجوديًّا. وهذا يجعَلُ الطبيعةَ إلهيَّةً، والله طبيعيًّا، لكِنْ من دون أن يَفنى الله في الطبيعة، مثلما يقول مفهوم وحدة الوجود؛ فلا يزال في الله شيءٌ مُتَسامٍ فوق الطبيعة.[٦٢]

تعتبر الهندوسية أن كل الكون هو الله (Pantheism) وتعتبر حركة العصر الحديث (NewAge) أن الكون جزءٌ من الله (Pan-entheism) أما الديانات السماوية، ومنها المسيحية (Theistic Religions) فتؤمن أن الله قد خَلَق العالم، وتنفرد المسيحية عن هذه الديانات بأنها تُنادي بأن في المستقبل سوف يكون كل الكون جزءًا من الله. سوف يملأ الله الكون بحضوره بصورة

٦٢ ويعني هذا أنَّ الله يحتوي الكونَ ويرشِدُه من دون أن يَسيطرَ عليه، أو أن يفرِضَ إرادته عليه. إنَّ من المهمِّ جدًّا أن نستَوعبَ هذا المفهومَ جيِّدًا؛ فهو المفهومُ الذي يَنالُ شهرةً وشعبيَّةً متزايدتَين، ولا سيَّما في عصر ما بعد الحداثة (Post Modernism) الذي نعيش فيه. فالرُّوحانيَّات الجديدةُ، مثل حركة «العصر الجديد» (New Age) وغيرها، تتبنَّى هذا المفهومَ عن علاقة الله بالعالَم. وتقول هذه الروحانيَّات إنَّ هناك شرارةً إلهيَّةً في كلِّ إنسانٍ تنتظرُ تَنَشيطًا (تحفيزًا) «نفسيًّا» من خلال الإيمان بها وممارستها؛ لكي تتحقَّقَ ألوهيَّةُ الإنسانِ الأصيلةُ في المكان والزمان. وهذا تعبيرُ منهج «السرّ» (The Secret)، القائلَ إنَّ على الإنسان أن يُمارسَ التفكيرَ الإيجابيَّ لكي يَضبِطَ «موجتَه» على كلِّ ما هو إيجابيٌّ في الكون، فيَجتذبُه نحوه على أساس أنَّ الكونَ مصمَّمٌ ليَستَجيبَ لأوامره وأفكاره. فإذا أثارَتْه أفكارُ الثَّراء، فسيَصيرُ ثريًّا. وإذا أثارَتْه أفكارُ الفَقْر، سيَصير فقيرًا...وهلمَّ جرًّا. هذا، بحسب رأيهم، هو «السرّ» الذي إذا اكتشفَه البشرُ فسيَعيشون سعداء.

تجعل كل الكون «في الله». أي أن المسيحية تؤمن بما يُمكن أن نُسَمِّيه السيادة الحلولية الأُخرَوِيَّة.[٦٣] (Eschatological Pan-entheism) في صورة ما تُعَبِّر عنه الصلاة الربانية وهو أن يأتي ملكوت الله وتكون مشيئته في الأرض كما هي في السماء. يكتب بولس الرسول عن ذلك الاكتمال المُستقبلي التام ما يلي مِنَ الأصحاح الخامس عشر في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. لكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ للهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ. لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. وَلكِنْ حِينَمَا يَقُولُ :«إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ» فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (١كو ١٥: ٢٢- ٢٨).

تفترق المسيحية عن هذه الديانات بأنها تُنادي بأن في المستقبل سوف يكون كل الكون جزءًا من الله. سوف يبلأ الله الكون بحضوره بصورة تجعل كل الكون «في الله».

ستنتهي إلى الأبد حالة التَمَرُّد والعِصيان، وسوف تُعتَق الخليقة من عبودية الفساد إلى حُرية مجد أولاد الله.[٦٤] وسيكون عندئذ الله هو الكُل في الكُل.

العلاقة الحلولية نَحنُ مَخلوقُونَ لَها

هذه العِلاقَة الحُلوليّة لَها ظِلالٌ في خِلقتنا البَشَرِيَّة في صُوَرٍ عَديدة تشهدُ بأن الخليقةَ الجَديدَةَ هي مَصيرُنا وقَدَرُنا والتطوُّرُ الطبيعيّ لخِلقَتنا الحالية. إننا نأتي إلى الحياةِ داخل إنسانٍ آخر

63 Ted Peters, God – *The World's Future, Systematic Theology for a New Era*, (Minneapolis: Fortress Press, 2000) 132.

٦٤ رومية ٨: ٢١

وهو الأم. وبذلك فإننا نَعرِفُ جَيِّداً مَعنى العِلاقة الحلولية جَسَدِيّاً. ونَظَلُّ نتوق إليها نفسياً وجَسَدِيّاً طوال أعمارنا. كَثيرونَ تَحتَ الضُغوطِ النَفسية الشَديدة لا يَدرون بأنفُسِهِم إلا وقد اتَّخذوا الوَضعَ الجنيني المُرتَبِط في أعماق وعِيِهِم بالحَنانِ والأمانِ والاحتواء. إنَّنا في واقعِ الأَمر نَعيشُ تَحتَ تاثيرِ قُوَّتَينِ؛ واحدةٌ تَدفَعُنا نَحوَ النُمُوِّ والتَطَوُّر والتَحَقُّق، والأُخرى تجذبنا للخَلف نَحو النُكوص والتقهقر والراحة، وأتَصَوَّر أن أفضل حَلّ لهذا الصراع هو أن نحصُل على النُكوص والرّاحة من خلال عِلاقة حُلوليّة في الله. أي أن نَترُكَ أرحامَ وأحضانَ أُمَّهاتنا وآبائنا وندخل رحمة الله وحِضنِه. لعل كان هذا هو مُفتاح شخصية داود على سبيل المثال الذي كَتَبَ: «إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي.[٦٥]»

العلاقَةُ الجِنسِيّة هِيَ أيضاً ظِلٌّ جَسدِيٌّ للعلاقة الحلولية حيث يَصيرُ اثنانِ واحداً،[٦٦] ويظهر هذا بوضوحٍ أكثر في الرغبات الجنسية غير الناضِجَة التي هي في واقع الأمر جَنسنة (Sexualitzation) لتلك الدوافع اللاواعية للاتِّحاد بالأم أو بالأب. البَعض من عملائي يُبلِغون عن أحلام جنسية مع الأم.[٦٧] هذه الأحلام هي بقايا من مرحلة قديمة من النُمو النفسجنسي (Psycho-sexual Development) هي المرحلة «الأوديبية»، وقد أشار فرويد إلى ذلك باعتبار أن الطفل يَمُرُّ بفترَةِ انجذابٍ جِنسِيٍّ نَحوَ الأُم هي في واقع الأمر جنسنة لرغبة العودة للاتحاد بها مَرَّةً أُخرى. أيضاً الجنس المثلي هو نوع من جنسنة الرغبة في الالتحام بالوالد من نفس الجنس (الأب في الذكور والأُم في الإناث).

---

٦٥ مزمور ٢٧: ١٠

٦٦ لذلك يستخدم بولس الرسول العلاقة الزوجية كتشبيه للعلاقة بين المسيح والكنيسة وذلك عندما يكتب في الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل أفسس ما يلي: «**كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءَهُم كأجسادِهِم. من يحب امرأته يُحِبُّ نَفسَهُ. فإنه لم يُبغِض أحدٌ جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.**» وفي الأصحاح السادس من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١ كو ٦: ١٥ب – ١٧). يكتب نفس الشيء مؤكداً على أن العلاقة الجنسية هي التي تؤدي إلى مثل ذلك الاتحاد. ولكن بالطبع عندما تكون العلاقة الجنسية مُشبعة للطرفين وفي إطار علاقة مُنسجمة على كافة المستويات الأخرى.

٦٧ تخرج هذه الرغبات اللاواعية في الأحلام لِكَونِ العقلِ الواعي والأنا العليا (الأخلاق والمقبول اجتماعياً) لا يتحملانها. في حالات نادرة يكون التوقف شديداً أو تكون الأنا العليا ضعيفة، فتحدث علاقة محارمية Incesteous مع الأم.

كَتَبَ لي الخِطابَ التالي أَحَدُ عُملائي الذين يعانونَ من ميولٍ مِثلية، في وقتٍ كان يَمُرُّ فيهِ بفَترَةِ انجذابٍ شديدٍ لي في إطار العلاقة العلاجية (وهذا يحدُث كثيراً في إطار ما نسميه بالطَرح Transference، أن يَطرح المريض احتيجاتِهِ وصِرَاعاتِهِ على المُعالِج). وسوف أضعه هكذا باللغة العامِّيَّة كما كان قد كَتَبَهُ:

لو قَعَدت مَعَاك ليل نِهار مش كافي. لَو عِشت مَعَاك في بيت واحد بَرضُه مِش كَافي .. حَتّي لو نِمت مَعَاك في سرير واحد مش كافي. حَتّي لو مَارِست الجِنس مَعَايا مِش كَافي. إنتَ عَارِف أَنا عايز إيه؟ عايز أتكَوَّر كِدَه وادخُل جُوّاك ومَطلَعش، ولَمّا عِرفتِ كِده ودَرَجِة اللا معقول اللّي وِصِلتِلها مَعَاك عِرفت إنّي باجري وَرا شِئ مُستحَيل. لَقيت نَفسي باتعَذِّب وانا مِش مَعَاك وباتعَذِّب بَرضُه وانا معاك.

هَذا أيضاً مَوجودٌ في عُمق الجِنس الغَيري (مع الجنس الآخر) فَفي الجِنس الغيري الإدماني المتكرر، أيضاً يبحَثُ الإنسانُ عَن شَيءٍ أَعمَقَ من الجِنس ولا يَجدهُ، كَمَن يَشربُ مَاءً مالِحاً ويُريدُ أن يَرتَوي. إنّ ما يبحث الإنسانُ عَنه في حَقيقة الأَمر هو العلاقة الحُلوليَّة. إنَّهُ يَبحَثُ عَن حَالَةٍ يكونُ فيها، وهو كَبيرٌ، قادراً أن «يَتَكوَّر» ويَدخُل داخل كَيان آخر. هذا كانَ بالفعل حادِثٌ عندما كان الإنسان داخل رَحِم أُمِّهِ، ويُمكن أن يظل يَحدُث بشكلٍ أَقَلّ عِندما يَكون الإنسانُ في الثانِيَةِ من عُمرِهِ مثلاً ويستطيع أن يَدخُلَ داخِل حِضن أَبيه. أَمّا بَعدَ ذلك وفي سن الرُشد فَيَظَلُّ هَذا الاحتياج الطِفلي قابِعٌ في أعماقنا جميعاً ولا يُشبَع تماماً إلّا روحياً، وذلك من خلال عمل إلهي معجزي. مثلما قال المسيحُ لنيقوديموس: أن «يُولَدَ الإنسانُ وهوَ شيخٌ».[٦٨] هذه هي «الولادة الجديدة»

يَظَلُّ هَذا الاحتياج الطِفلي قابِعٌ في أعماقنا جميعاً ولا يُشبَع تماماً إلّا روحياً، وذلك من خلال عمل إلهي مُعجِزي مثلما قال المسيحُ لنيقوديموس: أن «يُولَدَ الإنسانُ وهوَ شيخٌ».

٦٨ يوحنا ٣: ٤

التي تُتيح علاقَة حلولية روحية يصنعها رُوحُ اللهِ في الإنسان، وذلك عندما يستطيع الإنسان أن يُوَحِّدَ قَلبَهُ ويَتوقَّفَ عَن طَلَبِ هذا العمل المعجزي مِمَّن لا يَستطيعُ أن يُقَدِّمَهُ، ويقفُ بِبابِ الله ويَطلُبُهُ مِنهُ لا سواه. عندئذٍ يَتَوَقَّف الإنسانُ عن محاولاتِ إطفاءِ نارِ عَطَشِهِ بماءٍ مَالِحٍ لا يَزيدُ من يَشربَهُ إلّا عَطَشاً. هذا هو فَحوَى ما قَالَهُ المسيحُ أيضاً لامرأة أدمنت العلاقات العاطفية الجنسية.[٦٩]

الله هو الكيان الكبير الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن «يتكوَّر ويُدخُل جُوَّاه» حتى وهوَ شَيخٌ مُسِنّ. لِذلك كَتَبَ الفيلسوف المسيحي العبقري ج. ك. تشسترتون (G. K. Chesterton) أنّه «عندما يقرَعَ الإنسانُ على بابِ زانِيَة، فهو يَبحَث عن الله.» وهذا صَدىً لما قد كَتَبَهُ بولس الرسول: «ام لستُم تعلمون أنَّ مَن التصق بزانية فهو جَسَدٌ واحدٌ. لإنَّهُ يقول «يكونُ الاثنانُ جسداً واحداً» وأما من التصق بالرب فهو روحٌ واحد».[٧٠] أي أن من يحاول أن يَلتَصِقَ جِنسياً بامرأةٍ وَراءَ امرأة طلباً لارتواءٍ لا يأتي أبداً (حتى وصل الأمرُ إلى إدمان الجنس التجاري مع العاهرات) هُو في عُمقِ أعماقِهِ يريدُ أن يعودَ إلى الرَحِم، ولن يعود. أما مَن يَلتصِقَ بالرّب روحياً، فهو سيتجاوز الرَحِمَ والجِنسَ إلى ما كانا ظلالاً لَهُ، وهو حُضنِ الآبِ السماوي.

في رَحِم الأم نحن نستقبلُ الحَنان، بَل الحَياةَ نَفسَها ونَحنُ سلبيون تماماً. لكننا عندما نُولَد ونستطيع أن نتحرك، يكونُ مطلوباً أن نَثبُتَ في حِضنِ الأمِّ أو الأبِ ولا نَذهب بعيداً. فما هو الثبات في حضن الله؟ ما هو الثبات في المسيح؟ هذا سوف يكون موضوع الفصل التالي.

٦٩ يوحنا ٤: ١٣

٧٠ ١كو ٦: ١٦

الفصل السابع

اثبتوا فيَّ

الثِقَة الوجودِيّة

في الفصل السابق تَأَمَّلنا العلاقة الحلوليَّة التي تَكَلَّمَ عنها الرَّبُ يسوع المسيح في حديثٍ مُطَوَّل له مع التلاميذ جاء في أربعة إصحاحات من إنجيل يوحنا، من الأصحاح الرابع عشر إلى السابع عشر. وفي الأصحاح الخامس عشر بالتحديد، استخدَمَ المسيح تَشبيهَ الكَرمةِ والأغصان للتَعبيرِعَن هَذِهِ العلاقة الحلولية وتُلك الوحدة العضوية، فيقول في بداية الأصحاح: «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ.[٧١]»

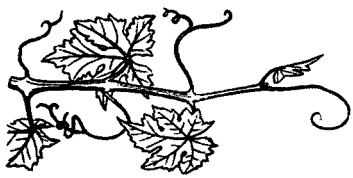

عندما نَستمِع إلى أيّ مثلٍ من أمثال المسيح، ينبغي أن نعيش داخل عالم المَثل وقتاً كافياً قبل أن نَقومَ بتَطبيقِهِ عَلى الوَاقِعِ الرُوحِيّ. صُورَةُ الكَرمَة صورةٌ مألوفةٌ جِداً لَدى السامعين في ذلك المُجتَمعِ الزراعي. الأغصان التي لسببٍ أو لآخر لم تَعُد ثابتةً في الكرمة، بطبيعَةِ الحَال سوف تَجِفّ. لَيسَ لأنَّ الكَرمةَ قَد قَرَّرَت أن تُعاقِبَهُا بالجفاف والاستئصال، ولكن هذه هي النتيجةُ الطبيعِيَّةُ لحقيقَةِ أَنَّ الكَرمَةَ هِيَ مَصدَرُ حياةِ هَذِهِ الأغصان، فإذا انفصلت عنها فهذا هو مَصيرُها المَحتوم. وما يَفعَلَه الكَرَّام عندما يمُرّ يومياً على كرومه هو أنَّهُ يَجمعَ هَذِهِ الأَغصان المَيِّتَة بالفعل، و يُكَوِّمَها على طَرفِ الحقل ثم يَحرِقَهَا.

---

٧١ يوحنا ١٥: ١

أنا الكَرمَةُ الحَقيقية وأبي الكَرّام

الآب السماوي، خالِقُ الوجود وأصلُ كل الأشياء، قد قدَّم للبَشر حياةً أبدية، وخلق فيهم خليقةً جديدة من خلال شخص المسيح الذي فيه قد اتحد الله نفسُهُ بالإنسان.

أَمَّا ما يُريد المسيحُ أن يقوله عَن العالم الروحي باستخدام تشبيه الكرمة، فهو أن الآب السماوي، خَالِقُ الوجود وأصلُ كل الأشياء، بَعد أن قَدَّمَ للبَشر حَياةً وَقتِيَّة زَمَنِيَّة، قَدَّمَ لَهُم في طورٍ جديدٍ من أطوار التطور، حَياةً أبدية ليَخلِقَ فيهم خَليقَةً جَديدة مِن خِلال شَخصِ المَسيح يسوع الذي فيه قَد اتَّحَد اللهُ بالإنسان. هذه الحقيقةُ نَفسُها يُعلنها في الأصحاح السابِق (الرابع عشر) عِندَما يَسأَلُهُ تُوما عَن الطريق، فيجيبه أَنَّهُ هُوَ الطريقُ والحَقُّ والحياة وليسَ أحدٌ يأتي إلى الآب إلّا به.[٧٢] وفي الأصحاح السابع عشر عِندما يُصلّي للآب بالنيابة عن المؤمنين يقولُ أنّ الحَيَاةَ الأَبَدِيَةَ هِيَ أَن يَعرِفَ البَشَرُ الآبَ و يسوعَ المسيحَ الذي أَرسَلَهُ. قَبلَ ذلِكَ نَجِدُهُ يقول لمرثا أنه هو القيامة والحياة،[٧٣] وقبل ذلك أيضاً يقول لنيقوديموس: لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.[٧٤] و يَستَمِرُّ العَهدُ الجَديدُ فيُرَدِّد هذه الحقيقة في أكثرِ من مَوضِعٍ. فيكتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين: اللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ.[٧٥] وفي رِسالَةِ بولس الرسول إلى أهل كولوسي، يُكَرِّر بولس نفس الفكرة قائلاً: شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ

٧٢ يوحنا ١٤: ٦
٧٣ يوحنا ١١: ٢٥
٧٤ يوحنا ٣: ١٦
٧٥ عبرانيين ١: ١- ٣

مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ.[٧٦]

اثبتوا فِيَّ وأنا فيكُم

في الأَمثَالِ دائماً مَا يلتقي الشبيهان في نُقطةٍ واحِدَةٍ فَقَط. في مَثَلِ الكَرمَةِ والأَغصان، النُقطة الواحدة هي أن الإنسان في علاقته الروحية بالمسيح، يشبه الغُصنَ في علاقَتِهِ المادّيَّة بالكَرمة. هذا يعني أن المسيح هو مصدر الحياة الروحية للإنسان كما أنَّ جذر الكَرمة هو مصدرُ الحياة لأغصانها. لَكِن الإنسان لا يُشبِهُ الغُصنَ في كُلّ شيء، وبصفةٍ عامَّة لا يُمكن الاستمرار في أي تشبيه أكثر من اللازم. الإنسانُ لَهُ إرادة حُرّة أما الغصن فلا. وبِما أننا نتَكَلَّم عن عالمٍ روحيّ، يأتي بالتَبَعِيّة دَورُ القرارِ الإنسانيّ والإرادة البَشَرِيّة. الغصن لا يستطيع أن يُقَرِّر أن يثبت أو أن ينفصِلَ عَنِ الكُرمة، لَكِنَّ الإنسانَ يستطيع أن يَقَرِّرَ أَن يَثبُتَ أو لا يَثبُتَ في المسيح، لذلكَ نَجِدُ يسوعَ يأخُذُ المَثَلَ إلى بُعدٍ جَديدٍ عندما يُطالبنا كأغصانٍ أن نَثبُتَ في الكرمة. فيقول: اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ. إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ.

---

٧٦ كولوسي ١: ١٢- ١٩

عندما يُوَجِّهُ الكتابُ المُقَدَّسُ لَنَا وَصِيَّةً في صُورَةِ فِعلِ أَمرٍ، فهذا يعني ضمنياً أنَّه يُخاطِب إرادَتَنا ويعني أيضاً أنّنا نستطيعُ أن نفعلّ ما يطلُبه مِنّا، وأنَّ لدَينا حُرّيةُ أن نُطيع أو لا نُطيع، وبالتالي فإنَّنا نَتَحَمَّلُ مَسئولِيَةِ هَذِهِ الحُرِّيَّة. عندما يقول مثلاً: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانِكم»،[٧٧] فهذا يعني أن علينا أن نفعلَ شيئاً فيما يَتَعَلَّقُ بأذهانِنَا وطريقةِ تَفكيرِنا. نَفسُ الشَيءِ أيضاً يَقصِدُهُ عندما يقول: «ففي هذا افتكروا.»[٧٨] وعندما يقول «قَدِّموا في إيمانكم فضيلة»،[٧٩] فهذا يعني أننا نستطيع أن نَتبَع الفضيلة في إيماننا، وأن نَكرَهَ الشَرَّ ونلتصقَ بالخير عندما يقول لنا أن نكونَ «كارهين الشَرّ مُلتصقين بالخَير.[٨٠]» أو أن نجتَهِد في الحفاظ على علاقات الوحدة والمَحَبَّة، عندما يُطالِبَنا أن «نُحافِظ على وحدانية الروح برباط السلام.[٨١]» صحيحٌ أن كُل هذه الأمور تحتاج إلى مَعونَةٍ إلَهِيَّةٍ خَاصَّةٍ. لكن هذا لا يَمنَع أن هذه المعونة الإلهية تَنتَظِرُ الإرادة والجهادِ الإنسانِيّ لكي يَتِمَّ تَفعيلُها، فالله لا يُريدُنا بشراً آليين، وإلا لَمَا كَانَ قَد خلقنا على صورَتِهِ في الإرادةِ الحُرَّة والمَسئولية الأخلاقية.

لذلك عندما يقول المسيح اثبتوا فيِ محبتي كما أنني أثبُت في محبة الآب، فهذا معناه إنّ العلاقَةَ الحُلولِيّةَ التي تَجعلُ الآب في الابن والابن في الآب تَحتاجُ إلى قَرارٍ إرادِيّ بثبات المسيح في الآب. أيضاً العلاقة الحلولية التي تجعلنا في المسيح والمسيح فينا تحتاج إلى الثقة الوجودية من جانبنا التي تُتَرجَم في صورة قرار إرادي بثباتِنَا المُستَمِرِّ في المسيح.

اثبتوا في مَحَبَّتي

فما هُوَ الثباتُ في المسيح؟ لَيسَ الثباتُ في المسيح هو الانضِواءُ تَحتَ لواء جيشٍ يُحارِبُ فيه

٧٧ رومية ١٢: ٢
٧٨ فيلبي ٤: ٨
٧٩ ٢بط ١: ٥
٨٠ رومية ١٢: ٩
٨١ أفسس ٤: ٣

مثل غيره من القادة الدينيين، ولا يعني الثبات فيه الإيمانُ بفَلسَفَتِه في الحياة وحِفظِ تَعاليمِهِ ونَشرِها. الثَباتُ الذي يتكلَّم عَنهُ المسيح هُنا هو الثبات في مَحَبَّتِهِ. الثبات في المسيح هو أن نُحِبَّهُ كما أحببنا، ولا يعني حُبُّهُ الهيامُ بهِ ولا حَتى مُجرَّدِ الكَلامِ والتَواصُلِ مَعَهُ. الثَباتُ في المَسيح باختصارٍ يعني التَلمَذَة له. هذا النوع من التلمذة يتضمن تَشَبُّه التلميذ بمُعَلِّمِهِ بحيث تَكَاد تَحُلّ شخصية المُعلم في التلميذ. عندما يكتب بولس مُصَلّياً لأهل أفسس أن يَحُلّ المَسيحُ بالإيمانِ في قُلوبِهِم،[٨٢] لَم يَكن يعني فقط أن تمتلئ قلوبهم بمشاعر جَيَّاشَة للمَسيح، وإنما كان يعني أن تَحُلَّ شَخصَية المَسيح فِعلاً، لا قولاً، في شخصياتهم. كَانَ الأمرُ يَعني أن يلبَسوا (يَتَقَمَّصوا[٨٣]) الرب يسوع المسيح،[٨٤] ويَتَصَوّر المسيح فيهم.[٨٥] هذا لا يعني بالطبع إلغاء الشخصية الفَرديّة وإنّما سُطُوعِ نورُ شَخصِيّةِ المَسيح من خَلفِ الألوان المُمَيَّزة لكل إنسانٍ فَريد.

سوف يَتَغَيَّرُ الكَثيرُ فِي الكَنيسة المسيحية عندما يُدرِكُ المَسيحِيّون أكثَرَ فأكثر أن الإيمان بالمسيح لا يَعني أن نَثِقَ بِقُدرَتِهِ أن يُعطينا عَطايا جَيِّدَة، بقدر ما نَثِقَ بقُدرتِهِ أن يَجعَلنا مِثلَهُ، ونَرغَبُ في ذَلكَ أكثر من أيِّ شيءٍ آخر. هَذا لَن يَحدُث إلّا إذا أحببناه بما يكفي، لا لكي نُغَنّي له كثيراً، بل لِكَي نَتَمَثَّل شخصيَّته في كل شَيءٍ نَفعَلُهُ. سَوفَ يَتَحَقَّقُ فِينا مَلكوتُ الله بقدر ما لا نَكونُ شَبيهينَ بالجموع المُجتَمِعةِ حَولَ يسوع لأنَّهُم مؤمنينَ أَنَّهُ قَادرٌ أن يُحَوِّلَ المَاءَ إلى خَمرٍ في أعراسِهِم أو يُبارِكَ الخُبزَ والسَمَكَ فيُشبِعَ جوعَهُم أو يَشفي أمراضَهُم وَيطرُدَ شياطينَهُم ويقيمَ موتاهم ويُحَقِقَ لَهُم أحلامَهُم الدينية والقَومية. إنّ مَلَكوتَ الله سَوفَ يتحقَّقُ فينا بقدرِ ما نكونُ شبيهين بالمَسيحِ نَفسِهِ في فَرَحِهِ بدون خَمر، وشِبَعِهِ من الآب بلا خُبز،

٨٢ أفسس ٣: ١٧

٨٣ التَقَمُّص يعني حرفياً «لِبس قميص» الشخص أي أن نقوم بتَمَثُّل شخصيّته تماماً، كما يكتب بولس: أحيا، لا أنا بل المسيح يحيا فيّ (غلاطية ٢: ٢٠).

٨٤ رومية ١٣: ١٤

٨٥ غلاطية ٤: ١٩

وحياتِهِ الروحية الأبدية التي لا يقدرُ عَليها لا المَرضُ ولا الشيطانُ ولا المَوتُ نفسُهُ. سوف يتحقق فينا ملكوت الله عندما نتوَقَّف أن ندور حول أنفسنا، ونَتَشَبَّه بيسوع في خُروجِهِ مِن نَفسِهِ للكَونِ والحَياة والناس. لقد كان يسوع دائماً ما يقودُ تَلاميذَهُ للخروجِ خَارِجَ أنفسهم واهتمامتِهِم الشَخصيَّة والدينية والقومية الضَيِّقة. كان يقول لهم كثيراً كلمة: «انظروا». انظروا إلى طيور السماء،[٨٦] ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول،[٨٧] انظروا إلى شجرة التين،[٨٨] أتنظر هذه المرأة؟[٨٩] انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار.[٩٠]

إن ثَبَتُّم فيَّ وثَبَتَ كلامي فيكم

عندما يتكلم يسوع عن الثبات فيه، فهو يتكلم عن الثبات في أمرَين؛ الثباتُ في مَحَبَّتِهِ، أي أن نُحِبَّهُ ونتَشَبَّه به، والثبات في كلامِهِ. كلَامُ المَسيح هو كلام الله، وكلام الله ليس «مُجَرَّدَ كلامٍ» ككلام البَشَر. كلام الله هو عقلُهُ وقُدرَتُهُ مُجتمعَان. لقد خلق الله العالمين بكلمة قدرته.[٩١] لذلك فإن الثبات في كَلامِ الله هُوَ ثباتٌ في عَقلِ الله وقُدرَتِهِ، وهذا هو ما يُمكن أن يُغَيِّرَنا تغيراً ثَورياً إلى صُورَةِ المسيح. يكتب تيموثي كِلَر في كتابه الجديد *الصلاة* ما يلي عن كلمة الله:

> نَقول نَحنُ البَشر: «ليكُن نورٌ في هذه الغرفة»، لكن بعدَ ذلك يكونُ علينا أن نضغط زِرّ الإضاءة أو أن نُضيءَ شَمعة. تحتاجُ كَلِماتُنا إلى أفعالٍ تسنِدُها، ويُمكن أن تفشل كلماتنا في ما أُرسِلَت له. أمّا كلمات الله فلا يُمكِن أن تفشل في قَصدِها؛

٨٦ متى ٦: ٢٦
٨٧ يوحنا ٣: ٣٥
٨٨ لوقا ٢١: ٢٩
٨٩ لوقا ٧: ٤٤
٩٠ متى ١٨: ١٠
٩١ الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٣

لأنَّ كلامَ الله وأعماله هُما أمرٌ واحدٌ. إله الكتاب المقدس هو إله يَعمَل بالتَكلُّم. عندما يتكلم الكتاب المقدس عن كلمة الله، فهو يَتَكَلَّمُ عندئذٍ عن «حُضور الله الفاعِلِ في العالم.[٩٢]»

لذلك ففي الأصحاحات الأربعة التي يتكلم فيها المسيح عن علاقَتِه بالآب وعلاقة المؤمنين به، يشير كثيراً إلى «الكلام»:

- **الكلامُ الذي أُكَلِّمُكُم به** لست أتَكَلَّمُ به من نفسي، لكن الآبَ الحالَّ فيّ هو يعمل الأعمال (لاحظ الرَبط بين الكلام والأعمال. فكلام الله وعمله شيٌ واحد فهو الذي يقول فَيَكون)[٩٣]
- إن أحبني أحدٌ **يحفظ كلامي**، الذي لا يحبني لا يَحفَظ كلامي، **والكلامُ الذي تَسمَعونَهُ** لَيس لي بَل للآب الذي أرسلني[٩٤]
- أنتم الآن أنقياء بسبب **الكلام الذي كلمتُكُم به**[٩٥]
- لكنني قد سَمَّيتُكم أحباء لأنني **أعلَمتُكُم بكل ما سَمعته من أبي**[٩٦]
- لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ **وَكَلَّمْتُهُمْ**، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ، وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيَّتِهِمْ. اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا[٩٧]
- وأما متى جاء ذاك، روحُ الحَقِّ، فهو يرشِدُكُم إلى جميع الحَق، لأنه **لا يتكلم من نفسه**، بل **كل ما يسمع يتكلم به**، ويخبركم بأمورٍ آتية[٩٨]

٩٢ تيموثي كِلَر، الصلاة. ترجمة أوسم وصفي (عمان: أوفير، ٢٠١٦) ص ٦٢.
٩٣ يوحنا ١٤: ١٠
٩٤ يوحنا ١٤: ٢٣- ٢٤
٩٥ يوحنا ١٥: ٣
٩٦ يوحنا ١٥: ١٥
٩٧ يوحنا ١٥: ٢٢- ٢٤
٩٨ يوحنا ١٦: ١٣

- أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، **وقد حفظوا كلامَكَ**. والآن علموا أن كُلَّ ما أعطيتني هو من عندكَ، **لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم.**[٩٩]

كيفَ نثبُتُ في مِثلِ هذا الكلام؟ الثبات في كلام الله لا يكون بُمُجَرَّد فَهمِهِ واستيعابه. يَجِب عَلَينا أَن نأخذَهُ ونُخَبِئهُ في قلوبنا بأن نُرَدِّدُهُ ونَلهَج فيه نهاراً وليلاً. عندئذ ينزِلُ من عُقولِنا حَيثُ الفَهمَ والاقتناع، إلى قلوبنا (معتقداتنا الراسخة و حالتنا الوجدانية، وردود افعالنا التلقائية) حيث التطبيق والاعتناق. لذلك نجد في العهد القديم وصايا مثل: لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ «تَلهَجُ» فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ.[١٠٠] وفي العهد الجديد نجد وصية مثل: «لتَسكُن» فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنىً،[١٠١] وأيضاً يتكلم يعقوب الرسول عن قبول الكلمة «المَغروسة» القادرة أن تخلص نفوسنا.[١٠٢]

كيف يُمكن أن تُغرَس الكلمة فينا؟ وكيف تَسكُن بغنى وتتأصَّلَ بِعُمقٍ في تُربة حياتنا؟ هل هناك ممارسات لذلك؟ يكتب الآب متى المسكين رداً على هذا السؤال في كتابه *الإنجيل في واقع حياتنا*:

> أن نَقرأ الإنجيل شيءٌ، وشيءٌ آخر أن نُرَدِّد كلام المسيح مراراً وتكراراً داخلنا. لذلك من الضروري الهذيذ واللَّهَج بالكلمة. نَحفَظُها كَطالِبٍ يَحفظُ جَدولَ الضرب حَتّى تُصبِحَ كَلِماتُ المَسيح وَكَأَنَّها صَادِرَةٌ من أعماقِ قُلوبِنا. في الحَقيقة إنَّ كَلِمَة المَسيح، بحَسَبَ قَصدِ الله وبِحَسَب ارتفاع قيمتها في حياتنا، ليس

٩٩ يوحنا ١٧: ٦-٧
١٠٠ يشوع ١: ٨
١٠١ كولوسي ٣: ١٦
١٠٢ يعقوب ١: ٢١

مكانها في العقل و إنما في القلب. فإن كَانَ العَالَمُ يَفرِض علينا أن نَحفَظَ الأسماء والأمَاكِنَ والأعداد، فالله يفرض علينا أن نحفظ كلمة المسيح بحكمة وعُمق، ونجتهدَ لنَستَعلِن ما تُخفيهِ الكَلِمَةُ من مَعانٍ واتِّجاهاتٍ تُزيدُنا من حِكمةِ المَسيح وغِناه في المجد.

اللهج في الكلمة. ترديد جملة واحدة صغيرة عشرات المرات ولتكن مثلاً: «قوة المسيح» يخلصنا من كل الأشكال والتفاسير التي سمعناها. التي و إن كانت صحيحة لكنها ليست شخصية. ترديد الكلمة يجعلها لك. كلمة من الله لك أنت. رسالة لك. صلاتك أنت لأشخاص تعرفهم وتعرف ظروفهم.

إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي

لَيسَتِ العِلاقة الحُلوليّة أمرٌ يَفعَلَهُ الله بمفرده بدون العامل الإنساني. الحُب الإلهي هو اختيار إلهي أولي مُنفَرِد، أما كيف نثبت في الحُب فهذا خيار إنسانيّ حُرّ. و يقدم يسوع هذا بتسلسل مَنطِقيّ في غاية الوضوح: أبي يُحبُّني واختار أن يحل فيَّ وأنا أُحِبُّهُ لذلك أَحفَظُ وَصاياه فأثبُتُ فيه وبالتالي أَتَكَلَّمُ كَلامَهُ وأَعمَلُ أعماله. وقد اختار الله أن يَفعلَ ذَلك مَعَ إنسانٍ قَدّسَهُ وأرسَلَهُ إلى العالم،[١٠٣] فذلك لكي يكون هو الجِسر الذي يَعبُرُ عليه البَشر إلى نَفسِ العلاقة الحلولية الروحية الأبدية.[١٠٤] ذلك يحدُث بأن يسيروا على هذا الجِسر فهو الطريقُ والحَقُّ والحياة.

أنا أحبُّكم (والآب نفسه يحبكم) واخترتُ أن أَحُلَّ فيكم بالروح القدس بنفس الطريقة.[١٠٥]

---

١٠٣ يوحنا ١٠: ٣٦

١٠٤ يوحنا ١٧: ٢١، ٢٣

١٠٥ يوحنا ١٤: ١٨- ٢٠

إن كُنتم تحبونني فاحفظوا وَصاياي كَمَا إنَّني أنا أيضاً أُحِبُّ أبي وأحفظ وصاياه. وإذا تُريدون الفَرَح، وتَشتكون أنّ الفَرَح في هذا العالم أمرٌ مُراوِغ يختفي أكثر مِمّا يظهَر، فما أقودُكُم إليه هو الفرح الثابت والكامل. كُلُّ هذا قاله يسوع في فقرة مُختَصَرة وواضِحَة ومُترابِطَة مَنطِقيّاً في الأصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا. أتَمَنَّى أن نتأملها ونحفظها وتكون دستور حياتنا:

كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ.[١٠٦]

كيف نثبُتُ في مَحَبَّتِكَ إذاً يا يَسوع، وكيف نَثبُتُ في كلامِكَ؟ بُرهانُ المَحَبة للمسيح هو الثقة الوجودية به. هذه الثقةُ لا يُعَبِّرُعنها إلّا بالطاعَةِ وحِفظِ الوَصايا واتّباع نفس أسلوب الحياة. بالطبع المشاعر والتواصل أمورٌ مَوجودَةٌ وضرورية في العلاقة بالمسيح لكن ما يُؤَدي للتَغيير الحَقيقي ويَقومُ بتَفعيلِ ظهور الطبيعة الجديدة فينا هو الطاعة. يقول المسيح: الآب يُحبني، وأنا أثبت في محبته بأن أُبادِلَهُ الحُبّ، وهذا يكون بأني أحفظ وصاياه. لذلك يقول في ختام الموعظة على الجَبَل ما يلي: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي **يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ **أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!** «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ **وَيَعْمَلُ بِهَا**، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ

١٠٦ يوحنا ١٥: ٩- ١١

يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا![١٠٧]»

وها هو يُكَرِّر نفس المفهوم في إنجيل يوحنا في أكثر من موضعٍ في الأصحاحين الرابع عشر والخامس عشر:

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ.» (١٤: ١٥)

«اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي.» (١٤: ٢١)

«إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي.» (١٤: ٢٣)

«اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي.» (١٤: ٢٤)

«إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ.» (١٥: ١٠)

«أَنْتُمْ أَحِبَّائِي (أصدقائي) إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ.» (١٥: ١٤).

هذه هي وَصِيَّتي

وما هي الوصية؟ يقول يسوع باختصارٍ ووضوحٍ شديدين:

«هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ.»

يقول يسوع: الآب يحبني وأنا أحبه لذلك أحفظ وصاياه وأثبت فيه ويثبت فيّ وهكذا يعمل فيّ الأعمال العظيمة التي ترونها. وبالمثل فإنكم عندما تحفظون وصيتي سوف أثبت فيكم

١٠٧ متى ٧: ٢١-٢٧

وتثبتون فيّ والأعمال التي أنا أعملها تعملونها وأعظم منها. أما وصيتي فهي أن تحبوا بعضكم بعضاً. إذاً فالثبات في المسيح (الكرمة) هو الثبات في المحبة ـــ والثبات في المحبة يكون بحفظ الوصايا ـ والوصية هي واحدة، وهي المحبةّ. هكذا تكتمل الدائرة التي يهدف الله إليها منذ الأزل و إلى الأبد. وهي أن يَخلِقَ مُجتمعاً أَبَدياً من المحبة يشمل البَشَر، كما أن الثالوث نفسه هو مجتمع أزليّ من المحبة. الكُلُّ يبدأُ بالمحبة و ينتهي إليها.

يتَبَقّى السؤال: «ومَا هي المحبة؟»

في الفصل القادم سوف أُقَدِّمُ إجابة عن هذا السؤال باستخدامِ فَقَرَةٍ عَظيمة فيها يُحاوِلُ بولس الرسول بالوحي المُقَدَّسِ أن يَرسُم صورةً مُجَسَّمةٍ عن المحبة من أكثر من منظور وبأكثرِ من تَطبيق.

الجزء الثالث

ما هو الثَمَر؟ ومَا هِيَ الحَياةُ المَسيحيَّةُ الحقيقيَّةُ؟

في الجُزءِ السابِق من الكتاب تَكَلَّمنا عن ثلاثَة عَناصِرَ للإيمان المسيحي وهي **التَصديقِ العقلي** بحقيقة القيامة تاريخياً، **والعلاقة الحُلوليّة** التي شَبَّهها المسيح بعلاقَةِ الكَرمَةِ بالأَغصان وأَخيراً **الثقة الوجوديَّة** التي يُعَبِّر عنها جِهادُ الثَبات والطَاعَة. هَذِهِ الثِقَة الوجودية تَعمَل بشكلٍ مُستَمِر مع مُعجزةِ عَملِ الروحِ القُدُسِ السريّ في الإنسان لتحقيق الخَليقة الجديدة، التي هي ظهورُ الطَبيعَةِ الإلَهِيَّةِ في الكِيانِ الإنسانِيّ.

هذه الخليقةُ الجَديدةُ تبدأُ في الظُهورِ من خَلفِ الخَليقةِ القَديمة. وكُلما نَما الإنسانُ روحياً، كلما تأخُذُ هذه الخليقةُ تَدريجياً مُقَدِّمة المَشهَد في الحياة. يُشبه الأمر نُمو ساق النبات وهي تَرفع فَوقَهَا بَقايا القِشرة المَيِّتة التي كانَت تُغَلِّف جَنينِ البِذرَةِ التي خَرَجَ مِنها النبات. هَذِهِ القشرة سِرعانَ ما تَطيرُ ولا يراها أَحَدٌ بَعد. ثم يبدأ النبات في النُموّ ويصنع ساقاً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً.

فما هي الثمار؟ هل الثِمار هي مَوَاهِبِ الخِدمَة، التي يُمكن أن يكونَ الكَثيرُ مِنها مَواهبَ طَبيعِيّة لا علاقة لها بالإيمان؟ وماذا عن المواهب الروحية الفائِقَة للطبيعة، هل هي إذاً الثَمَار التي يتكلم عَنها العهد الجديد؟[1] هل ثَمَرُ الإيمان هُوَ الأشخاصُ الذين يأتي بهم هذا «المؤمن» للإيمان بالمسيح؟

---

١ ١كو ١٣: ١؛ غلاطية ٥: ٢٢

عِندَما تَكَلَّمَ المسيح لتلاميذه عن الثمر قال: «إن ثَبَتُّم فيّ وثَبَتَ كلامي فيكم، تطلبون ما تُريدون فيكونُ لَكم. بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي.[٢]» رُبما نفهم من هذا الكلام أن الثَمر هو استجابَةُ الصلاة. لكنّنَا إنّنا إذا دَقَّقنا في الكلامِ قليلاً، فسوفَ نَجِدُ أنَّ الثَمَرَ الحقيقيّ هو التَشَبُّه بالله والتَوَحُّد به مثلما يَتوَحَّد الغُصنُ بالكَرمَةِ فيصيرُ جُزءًا منها. عندما يتوَحَد الغصن بالكرمة، تصير رَغباتُهُ هي رَغباتُها وعِندَما يَطلُبُ ما يُريد، فَسوفَ تَكونُ الطِلبات هي نفسها مشيئة الله.ما يقصدهُ المسيح هو إنَّكُم عِندمَا تطلبون ما تُريدون فيكون لكم، فهذا يُثبتُ أنَّكُم قد صِرتُم بالفِعل تَلامِيذي لأَنَّكُم سَتَطلُبُونَ ما في مَشيئتي، وبالطبع سوف تتحقق هذه الطِلبات.[٣] هذا يَتَّضِحُ أكثرَ عِندما نَرى كيف قالها بعد ذلك بطريقةٍ أُخرى قَدَّمَ فيها الثمر على استجابة الطلبات: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ، لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي.[٤]» إذا فاستجابة الصلاة ليست هي نَفسَهَا الثَمَر و إنما نتيجته الطبيعية. إنها مثل رائحة البُرتقال التي تملأ الحديقة. ليست الرائحة هي الثَمَر و إنما هي نَتيجَتُهُ وأَحَدُ أدِلَّةِ وجودِهِ.

الثَمَرُ هُوَ التَلمَذَةُ، والتَلمَذَةُ هيَ أن يُشابِهَ التلميذُ مُعَلِّمَهُ كَما يَحمِلُ الغُصنُ نفسَ لَونِ الكَرمة ونَفسَ رائحتها ونفسَ ثِمارَها. الثُمَرُ هو الطَبيعَةُ الجَديدَة الّتي هِيَ المَحبة (آجابى) $A\gamma\alpha\pi\varepsilon$ التي هي نَفسَها الطبيعة الإلهية.[٥] هَذا يُؤَكِّدُهُ يَسوع أيضاً في إنجيل متى «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ.[٦]» لكن للأسف يُفَسِّرُ كَثيرونَ الثَمَرَ بمِقياسِ الخِدمةِ والأَعدادِ التي «يأتون بها للمسيح». بالطبع الشهادة والكرازة أمورٌ مَطلوبَةٌ وهي أيضاً دالّة على التغيير، لكنها ليست هي نَفسَهَا الثَمَر. لقَد قَالَ المسيح:

٢ يوحنا ١٥: ٧

٣ رسالة يعقوب ٤: ٢- ٣

٤ يوحنا ١٥: ١٦

٥ بطرس الثانية ١: ٤

٦ متى ١٠: ٢٤- ٢٥

بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون «تلاميذي». وليس «شهودي»، كما سبق وقال في موضعٍ آخر كان يتكلم فيه عن الشهادة والكرازة.[٧]

وفي الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا يكَشِفُ المَسيحُ أَنَّ الكَيفِيَة الّتي يُريدُ بِها أَن تَكونَ الشِهادة والكِرازَة لَيسَت بمُجَرَّدِ الكلام و إنَّما بإظهار طبيعةِ المَحَبَّة الجَديدة في الفَردِ والجَمَاعَةِ المُؤمِنَةِ بالمسيح: «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، **لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي**. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، **وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي**، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي.[٨]» عِندئذٍ فإنَّ الكَلام يَكونُ كالبُذورِ الَّتي تَقَعُ عَلى الأَرضِ المَحروثَةِ الجيِّدة من خلال شَهادَة الحياة، فتأتي بتغييرٍ حَقيقيٍّ في نُفُوسِ السَّامِعين.

في الفَصلِ الأَوَّل من هذا الجُزء (الفَصلُ الثامِنُ) سوف نتأمّل عِدَّة فَقَراتٍ كِتابِيَّةٍ قَامَ الوَحيُ فِيها بتصوير صُورَةٍ مُجَسَّمَةٍ للمَحَبّة (آجابى) $A\gamma\alpha\pi\varepsilon$ مِن عِدَة زَوايا لنَعرِفَ ما هو شَكلِ هذه الطبيعة الجديدة التي نحن مَدعوون إليها، والتي هي فَاعِلَةٌ فينا بنعمَةِ الله وعَمله المعجزي من ناحية، وبطَاعَتنا وتَكريسِنَا واختياراتِنا اليَومِيَّة مِن نَاحِيَةٍ أُخرى. وفي الفَصل التَالي (الفَصل التاسِع) سَوفَ نَتناوَل فَقْرَةً هَامَّةً وَرَدَت في رَسائِلِ بولس والتي فيها يَصِفُ أيضاً ذلك الوُجود الجديد (الخليقة الجديدة) تحت شعار هو أهَم شعاراته على الإطلاق وهو شعار «في المسيح».

٧ أعمال ١: ٨؛ إشعياء ٤٣: ١٠- ١٢

٨ يوحنا ١٧: ٢٠-٢٣

الفصل الثامن

المَحَبّة فلتَكُن بلا رياء

صورَة مُجَسَّمة للمحبة المسيحية

رُبما لا توجَدُ كَلِمةٌ في التاريخ قد تَمّ ابتذالها قدر الحُب، ولا توجَد كَلِمَةٌ في المسيحية قد تَمَّ التعامُلُ معها بما هو أَقَلّ كَثيراً من قَدرِها مِثل المَحَبّة بالرَّغمِ مِن أَنَّ كُتّابِ العَهدِ الجديد قد أَخَذوا على عاتِقِهِم رَسمَ أكثرَ مِن صُورةٍ مُجَسَّمة للمحبة في أكثر من فَقرَة كِتابِيَّة مُحاولينَ رُؤيَتَها كَما هِيَ بدون إختزالٍ أو ابتذال. من ضِمنِ هَذِهِ الفَقرات، تِلكَ الفَقرة العَبقَرية التي في الأصحاح الثاني عشر من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية:[٩]

الْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ (نفاق)[١٠]. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ. وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ. غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ (لا تَدَعوا حَماسَتَكُم تَبرُد)، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ، فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ، مُشْتَرِكِينَ فِي احْتِيَاجَاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ. بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا. فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ (عيشوا في انسجام بَعضِكُم مع بَعض). لاَتَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا

---

٩ رومية ١٢: ٩- ٢١

١٠ الترجمة العربية المُبَسَّطَة

أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.

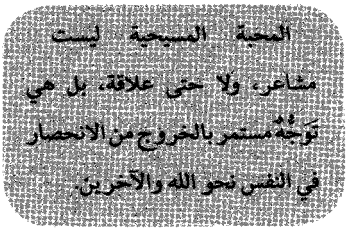

وقد اخترتُ العِبارةَ التي تَبدَأ بها هذه الفقرة: المَحَبَّة فلتكُن بِلا رِياء،عنواناً لهذا الفَصل وذلك لأنّ أَهَمَّ ما أُريدُ أن أُبرِزَهُ هُنا هو أن المحبة المسيحية ليست مشاعرَ ولا كَلام ولَا حَتى علاقة، بل هي طَبيعَةٌ و تَوَجُّهٌ مستمرٌ بالخُروجِ من الانحِصَار في النَفس، نَحوَ الله والآخرين. لذلك إنَّ ما يَجعَلُ المَحَبَّةُ تَتَوقَّف عَن أن تكونَ رياءً هو أن تتحوَّلَ من مشاعرَ وكلمات إلى مَواقِفَ وأفعال. هَذَا أيضاً يُرَدِّدُهُ الرَسُول يوحنا عِندما يقول: بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ![11]

الفَضيلة

أَوَّلُ صُوَرِ المَحَبَّة التي يُقَدِّمها الرَسول بُولس في هذه الفقرة هي الفضيلة،[12] أيْ كراهية الشَرّ ومَحَبَّةِ الخَير (أبغضوا كُلّ ما هو شرير، وتَعَلَّقوا بما هو صالح[13]) فلا معنى لمحبة الخير دون بُغض الشَرّ.[14] للأَسَف الشديد تَدعو الفلسفة البَعد حَدَاثِيّة[15] بالذات إلى قَبولٍ أَيّ شيء تَحتَ شِعارِ المَحَبَّة والقَبول وحقوق الإنسان. بهذه الطَريقة في التفكير، لا يُصبِحُ هُناكَ خَطَأٌ

١١ ١يوحنا ٣: ١٦-١٨

١٢ ٢بط ١: ٥

١٣ الترجمة العربية المُبَسَّطَة

١٤ مزمور ٩٧: ١٠

١٥ الفلسفة البعد-حداثية أو فلسفة ما بعد الحداثة Post-Modernism هي المرحلة الأحدث في الفلسفة الغربية

أوصواب (Anything goes) (كُلّه ماشي!).[١٦] إننا لِكَي نعتبرَ شيئاً ما شَراً أو خيراً فهذا يُبنى على حَقيقَة الطبيعة الإنسانية، فما يوافِقُ الطبيعةَ الإنسانية التي خُلِقنَا عَلَيهَا فهو الخير وما يَضُرُّها ولا يتوافَق معها فهو الشر.[١٧] لذلك، كما يقول الفيلسوف المَسيحي دالاس ويلارد، إنَّ أَكثَرَ شَيءٍ يَتمُّ الهُجومُ عَليه الآن من الثقافة البَعد حداثية هي حقيقة الطبيعة الإنسانية.[١٨] هذه الثقافة تُرَوِّج أنَّهُ لا تُوجَد طبيعةٌ إنسانِيَّةٌ عَامَّة، بل أَنَّ كُلَّ ما يَختارَهُ الإنسان الفَرد هُو طبيعَتُهُ وهُو الأَفضلُ بالنسبة له، فَلا يوجدُ ما هو أَفضَلُ بشكلٍ عام.[١٩] في ظِلِّ هَذِهِ الثَقَافة أيُّ تَوَجُّهٍ جِنسيٍّ على سبيل المثال، سَواءُ ذُكوراً بذكور أو إناثاً بإناث أو حتى بالِغينَ بأَطفال،[٢٠] هو أمرٌ مقبولٌ إذا قَبِلَهُ الطَرَفان. وليس ذَلكَ فَقَط بل حَتّى النَوعُ الجِنسِيّ أصبح مَحَلَّ اختيار، فالإنسان يُمكن أن يختارَ أن يَغيّر نَوعَهُ الجِنسيّ إذا شَعَرَ أَنَّهُ أَكثر ميلاً لنوعٍ جنسيٍّ آخر غير ما يَشهَدُ به جَسَدُه وتَشهَد بِهِ كُروموسوماتِهِ وهورمُوناتِهِ، وذَلكَ بسببِ اضطرابٍ في الهُوِيَّة الجنسية. وفي ظلِّ هذه الثقافة، ما يَقبَلَهُ أيُّ مُجتَمعٍ ويقوم بإقرارِه بحسبِ الأغلبية، فهو الطبيعي وهو الخَيرُ بالنسبَةِ لذلك المجتمع بالذات. وهو أيضاً يُمكِنُ أَن يتغَيَر وُفقَ آلياتِ الديمُقراطية، إذا رَأَى المُجتمَعُ أَن يُغَيّرَهُ في وَقتٍ لاحِقٍ. على سبيل المثال هُناكَ الآن حركة

---

١٦ عنوان أغنية غربية شهيرة لفرانك سيناترا

١٧ ١كو ٦: ١٢

١٨ مجموعة عظات باسم «المؤامرة الألهية» The Divine Conspiracy

١٩ هذا الفكر قد غزا أيضاً الكنيسة وذلك تحت عنوان ما يُسمى باللاهوت المثلي والذي يفسر قول بولس الرسول: «أن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً تاركينَ استعمال الأنثى الطبيعي.» (رومية ١: ٢٦)، بأن المقصود بكلمة «الطبيعة» ليس طبيعة إنسانية عامة تجعل الذكر ينجذب للأنثى، بل الطبيعة التي يختارها الإنسان (أو وُلِدَ فيها كما يظنون) فإذا كان تَوَجُّهَهُ مثلياً تكون الطبيعة بالنسبة له هي المثلية.

٢٠ بعد حُكم المحكمة الدستورية العُليا في الولايات المُتّحِدة بشرعية الزواج المثلي، بدأت تظهر الأصوات التي كانت خافتة من قبل منادية بتقليل سن الموافقة age of consent فيما يتعلق بالممارسات الجنسية، بحيث لا يعتبر الجنس مع الأطفال دون الثامنة عشر مُحرماً. وهناك هيئة أمريكية تسمى **المؤسسة الأمريكية الشمالية للحُب بين الرجل والطفل** North American Man/Boy Love Association (NAMBLA هذه الهيئة تنادي بإباحة الجنس بين الراشدين والأطفال تحت شعار «الحميمية بين الأجيال» Intergenerational Intimacy والذي يقاومه المجتمع اليوم، سوف يقبله غداً إذا استمر القول بأنه لا طبيعة ولاصواب وخطأ وكل ما يتفق اثنان عليه يكون هو الصواب بالنسبة لهما، وما يختاره المُجتمع ديمقراطياً، فهو الطبيعي بالنسبة لذلك المجتمع.

في المجتمع الأمريكي تطالب بتقليل سن الرُشد فيما يتعلق بالمُمارَسة الجنسية، و إذا تم إقرار هذا القانون، فسوف يتحول ما كان يُسمى في الماضي «انتهاكُ الأطفال» إلى مُمارَسة جنسية شرعية. وبالطبع لا نستطيع أن نتَجاهَل أن مِثلَ هَذِهِ الأصوات التي كانت خافِتَة من قَبل، قد صارت أكثَرَ جُرأةً بَعدَ إقرار المَحكمة الدستورية العُليا زَواجَ المثليين كقانونٍ فيدرالي. باختصار، فإنَّهُ في ظلِّ هذه الفلسفة، وهي المُسيطرة حالياً على العَالَمِ الغَربِيّ، لا يوجد حقٌ مُطلَق و إنما الحَق هو ما يراه شخصٌ ما أو جماعة ما في وقتٍ ما، حَقاً.

أَمّا المَحَبَّة المسيحية التي يتكلم عنها الكتاب المقدس، فهي لا تُفَرِّط أبداً في الفضيلة ولا تَتَنازَل عن الحَقّ المَبني على طبيعة الله والإنسان.[٢١] المَحَبَّة المَسيحية لَيستِ الرَّغبَةُ في إرضَاءِ الآخر و إنما في تَحقيقِ صَالِحِه النهائيّ.

المَوَدّة الأخوية

لَيسَت المَحَبَّة في جَوهَرِهَا علاقة، فمن المُمكن أن نحُب حتى من نَحنُ لسنا في علاقةٍ مَعَهُم، وذلك من خلال الرَغبة في صالِحِهِم الأسمى والعَمَل على ذلكَ بقدرِ المُستطاع، لكن بالطبع تحتوي المحبة على عُنصُرِ العلاقة والمَوَدة. بعد كُرهِ الشَّرِّ والالتصاقِ بالخَير، يُوصي بولس الرسول المؤمنينَ أَن يَكونوا وادِّينَ بعضَهُم بعضاً بالمودة الأخوية.[٢٢] وبعد تعميم المَوَدّة الأخوية، يُخصِّصُ بولسُ الرسول شكلاً من أشكال المَوَدة الأخوية، وهو تقديم بعضِنا البَعضِ في الكَرَامَة. المَحَبَّةُ هي الخروجُ خَارجَ النَفسِ لرُؤيَةِ الآخَرَ والاحتفاءِ بِهِ، وهذا يتناقض مع المَيلِ الطَبيعيّ لإنسانِ العَالمِ أن يكونَ مُنحَصِراً في نَفسِهِ بَاحِثاً عن تَمجيدِها وتَضخِيمِها

٢١ على سبيل المثال توجد أبحاثٌ عديدة تشير إلى أن أسلوب الحياة المثلي ليس أسلوباً صحياً للحياة من حيث الأمراض المنقولة جنسياً ومن حيث الاضطرابات النفسية والمشكلات العلاقاتية. المزيد عن هذه القضية في كتاب *شفاء الحُب* للكاتب.

٢٢ الرسول بُطرس أيضاً يوصي المؤمنين أن يُقدِّموا في إيمانهم مَوَدَّةً أخوية (٢بط ١: ٧)

حَتّى ولَو عَلى حِسابِ الآخَرين. لذَلِكَ فَفي نَفسِ هَذا الأصحاح يوصي بولس الرسول المؤمنين ألا يرتئي أحدٌ فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التَعَقُّل كما قَسَم الله لكل واحدٍ مقداراً من الإيمان.[٢٣] والتَعَقُّل هُنا يعني أن يَقبَلَ الإنسانَ نَفسَهُ ومَحدودِيَّتَهُ وحَقيقة أَنَّ الآخرين لَديهِم مَواهِبَ مُختَلِفةً عَمّا لَدَيه. ولَعَلَّ أَكثَرَ مَا يُساعِدُ الإنسانَ أن يقبَلَ نفسه ويُقاوِمُ رَغبَتَهُ في تَضخِيمِ ذَاتِهِ، أن يَرَى ما لَدى الآخَرينَ ولَيسَ لَدَيه، ويَحتَفي بذَلِكَ، ويَقومُ بتقديمِ الآخَرينَ عَلى نَفسِهِ لإظهار مواهِبَهُم وتسليط الضوءِ عَلَيهِم بَدلاً من نَفسِهِ.

لعل أكثر ما يُساعِدُ الإنسانَ أن يقبَلَ نفسه، ويُقاوِمُ رَغبَتَهُ في تَضخِيمِ ذَاتِهِ، أن يَرَى ما لَدى الآخَرينَ ولَيسَ لَدَيه، ويَحتَفي بذَلِكَ، ويَقومُ بتقديمِ الآخَرينَ عَلى نَفسِهِ لإظهار مواهِبَهُم وتسليط الضوءِ عَلَيهِم بَدلاً من نَفسِهِ.

بَعدَ تَسديدِ الاحتياجاتِ النَفسية للإخوة من إكرامٍ وتَقديرٍ مَعنَوِيٍّ، لا تَغفَل المَحَبَّةُ أيضاً الاحتياجاتِ المَادِّيَّة في صُورَةِ الاشتراك في احتياجات القديسين وإضافَةِ الغُرَباء. كَانَ الاهتمامُ بالأرامِلِ والأيتامِ من الخَدَماتِ الأَساسِيَّةِ للكَنيسَةِ الأُولَى والتي كَانت سَبَبَ شهادَةٍ قَوِيَّةٍ للمُجتَمَع اليَهودي وَقتها.[٢٤] وكَان ذلك التكافُلُ الذي بين المؤمنين الأوائل من ضِمن ما قَد أبهَرَ الإمبراطورية الرومانية بهذِهِ الجَماعة التي تُحِبّ بعضها بعضاً وتُسَدِّد احتياجات أعضاءَهَا بحيث لا يوجد بينَهُم فَقيرٌ أو مُحتاج.

الاجتهاد

يَكتُبُ الرَّسول بولس بَعدَ ذلك أنّ مِن صِفاتِ المَحَبَّةِ أَنَّها تَجعلنا غَيرَ مُتكاسِلين في الاجتهاد حارّين في الروح. والرسول بُطرُس أيضاً في الأصحاح الأول من رِسالَتِهِ الثانية يُركِّزُ عَلى

٢٣ رومية ١٢: ٣

٢٤ أعمال الرسل ٦: ١، ٩؛ ٩: ٣٩

عُنصرِ الاجتهاد في المَحَبَّة عِندما يكتب: وَلِهذَا عَيْنِهِ، وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ **كُلَّ اجْتِهَادٍ** قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً.....لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، **تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ** وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.[٢٥] الجِهادُ والاجتهاد والحرارة الروحِيَّة والحَمَاس(Passion) في كُلِّ ما هُوَ لمَجدِ الله وخَيرِ النَاس سِمَاتٌ هَامَّةٌ من سِماتِ الطَبيعَةِ الإلهية. لقد كَانَ يَسوعُ شُعلةً مُتَّقِدّة من الغِيرَة الروحِيّةِ للحَقّ والحُبِّ والخَير حتى أنّك تَخَالَهُ لا يَنامَ مُطلقاً، فتارةً يقضي الليل كُلُّهُ في الصلاة،[٢٦] وتارَةً يَستيقِظُ باكراً جداً[٢٧] للاختلاءِ بالآب. وخلالِ النَهار كانَ يَظَلُّ يخدُمُ الجُموعَ حَتى المَساء.الرُوحُ القُدُسُ هُوَ الذي يَضَعُ فينا هَذِهِ النَارَ الإلهية، لكن عَلينا دَائماً أن نَضرِمَهَا من خِلال خِيارِ الاجتِهادِ والاستجابة لَحثِّ الروحِ لأرواحِنَا.

إنني أَتَعَلَّمُ هَذه الأيامَ دَرساً من ابنتي في الاجتهاد. لَم تكُن مُنذُ طفولَتِها من الأطفال أصحابِ المواهبِ الرياضية ولَم يكُن ذكاؤها من النَوعِ الحَرَكيّ. حاوَلَت في عِدّة رياضات في طفولتها ولم تنجح كثيراً. وعندما دَخَلَت الجَامعة، لا أدري ما حَدَث؟ أصابَتها رغبةٌ شديدةٌ في الالتحاق بفريقِ الجامعة في إحدى الرياضات غير الشهيرة في بلادنا وهي رياضة الرَجبي (Rugby). فَجأةً أصبَحت أمنِيَةُ حياتِها أَن تَلتَحِقَ بفريقِ الجامِعَة في هَذِهِ الرِيَّاضة، فدَخَلَت مَعَ المَجموعة التي يتِمُ تَدريبُها لاختيارِ الفَريق مِنها فِيمَا بَعد، وبدأت تَتَدَرَّبُ باجتهادٍ وتواظِبُ على اللقاءاتِ التَدريبِيَةِ بِكُلِّ انضباطٍ وأمانة. لم يَمض وقتٌ طويل قبل أن تكتشفَ أَنَّها لَا تَمتَلِكُ أيَّ مَوهبةٍ فِطريةٍ في هَذه الرياضة، لكنها بالرَغم من ذلك لم تَتَخَلَّ عن اجتهادها وحماسَها ورَغبتها الشديدة أن يقع الاختيار عليها ضمن الفريق. أَوصَتنا جميعاً أن نُصلي من أجلها وفَعَلنا، والأَهَمُّ مِن كُلِّ ذَلك أنها قد وَضَعَت قَلبَها عَلى هذا الأمر تماماً، رغم أنها متفوقة

٢٥ ٢بط ١: ٥، ٨

٢٦ لوقا ١٦: ١٢

٢٧ مرقس ١: ٣٥

تَفَوُّقاً دراسياً شديداً. وبالفِعل مِن أجل تَكريسِهَا الشَديد، ورَغمَ ضَعفِ موهِبَتها، تَمَّ اختيارُها في الفريق بسبب انضباطها ومواظبتها واجتهادِها، بل وتَسَبَّبَت هَذِهِ الصِفاتُ أيضاً في تعيينها إداريَّةَ الفريق، وبعد قليل صارَت القائدة الثانية للفريق.

أَمَّا ما أتعلَّمهُ منها الآن فهو ما حَدَثَ بَعد أن انضَمَّت للفريق. لقد تَحَوَّل تقديرُها لهذه «النِعمة» إلى مَزيدٍ مِنَ الاجتهاد في التدريب. عندما لا تَلعب في المُباريات إلا دقائِقَ مَعدودة، فإنها لا تَحزَن مُطلقاً، فيكفيها أَنَّهُ قَد وَقَعَ عَليها «الاختيار» لتكونَ في الفريق. إنَّ فَرَحُ الاختيار قد صَارَ يَغلُبُ عَلى كُلِّ شيء. لَم تُحَوِّلها النعمةُ للكَسَل وإنما جَعَلَتهَا أَكثَرَ شَراسَةٍ في الاجتهاد. لقد قَدَّمَت لي ابنتي العزيزة نموذجاً تطبيقياً لما كَتَبَهُ بُطرُس الرسول: لِذلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ[28] ثَابِتَيْنِ. لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا. لأَنَّهُ هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ.[29] هذا هو المفهوم الذي كان يَفهَمَهُ أيضاً بولس الرسول عن نِعمةِ الله المُخَلِّصة.[30]

وبالمُناسَبةِ كَانَ بُولسَ يقتبِسُ كَثيراً من عَالَمِ الرِياضَة ليُشيرَ إلى النُموّ الرُوحِيّ. ذَلِكَ لأن الرياضَةَ تُلقِي لَنَا ضَوءًا كاشفاً على العَالمِ الروحيّ في أَمرَينِ أَساسَين، هُما وُضوحُ الهَدَف، وأَهَمِيَّة الاجتهاد. وفي حقيقة الأمر كان هذان الأمران يُميّزان شخصيةَ بولسِ الرَسّول وكِتاباتِهِ أَكثَرَ مِن أيِّ شَيءٍ آخر. لقد كان هدَفُهُ الشخصيّ واحداً وهو أن يَعرِفَ المسيح،[31] ويوجَدُ

---

٢٨ في عقيدة الاختيار، أنا لا أؤمن أن الله قد اختارَ أفراداً للإيمان وأحجَمَ عَن اختيار آخرين، بل اؤمنُ أنَّ الله اختارَ كُلَّ البَشَريَّة في المسيح. أما الإنسانُ الفَرد فهو الذي يقرر قراراً حُرّاً أن يكون في المسيح ويثبت فيه أم لا. وعندما يدخُل الإنسانُ في المسيح، فهو عندئذٍ يُدرك عظمة وغنى ونعمة أن يكونَ الإنسانُ مختاراً من الله، وأن اختيار الله له في المسيح هو الذي أتاحَ له أن يَختارَ الله.

٢٩ ٢بط ١: ١٠-١١

٣٠ تيطس ٢: ١١-١٣

٣١ فيلبي ٣: ١٠

فيه،[٣٢] ويَحيا، لا هُوَ، بل المسيحُ يَحيا فيه.[٣٣] وكَانَ هَدَفُهُ مِن أَجلِ المؤمنين أيضاً هو نفس الهدف؛ أن يَلبَسوا المَسيح،[٣٤] وأن يَتَصَوَّرَ المسيحُ فيهِم.[٣٥] وأن يَحُلُّ المَسيحُ بالإيمانِ في قُلوبِهِم.[٣٦] لذلكَ فَكَانَ مثلُ ذَلكَ الرِياضِيّ الذي يَنسىَ ما وَرَاء (الاختيارَ في الفَريق) ويَتَقَدَّمُ للأَمام نَحوَ الهَدَف (وهو أَن يُقَدِّمَ أَفضَلَ مَا لَدَيه للفريق وللمُدَرِّب).[٣٧]

العبادة

ما يُمَيِّزُ مَحَبَّتَنا للرَّبِ عَن أيَّة مَحَبَّةٍ أُخرى هو إنَّها مَحبةٌ مَقرَونَةٌ بالعِبادة. وعِبادَةُ الرَّبِ ليسَت مُجَرَّد تَسابيحَ وتَرانيم، وإنّما هي التَخَلّي المُستَمِرّ عن كُلِّ الآلهة الغريبَة التي في حياتنا.[٣٨] كُلُّ ما يرتفعُ في حياتِنا أكثرَ من اللازِم ونبدأ في التَعَلُّقِ به، يَجب أَن نَكونَ مُستَعِدّينَ دائماً أَن نَتَخَلّى عَنهُ من أجلِ الرَّب. وعبارة «من أجل الرب» هذه لا تعني أنّنا نفعل ذلك خوفاً مِنهُ أو لإرضائه وكَأَنَّهُ يَغارُ من هَذِهِ الآلهة الغريبة، حاشا، فهو إن كان يَغار فهو يَغارُ عَلينا ويخاف علينا من التَعَلُّقِ بما يَضُرُّنا، ونحنُ أيضاً يَجِبُ أَن نخافَ عَلى أنفسنا أَن يَسودَ عَلينا سادةٌ سُوى الرَّبَ فَيسومونا العَذابَ والتَعَلُّقَ المَرَضيّ والإدمان، بينما عبادة الرَّب هي التي تُحَرِّرَنا من أي سيادة أخرى.[٣٩] هذا يُسميه الرسول بطرس «التَقوَى».[٤٠] والتقوى هي حُسن التَكريسِ لِلَّه. فأن نكونَ عابدين الرَّب، فهذا يعني أن نُحسِنَ التَكريسَ لَهُ ونتوقف عن التَكريسِ والإخلاص لأَيِّ شَيءٍ آخرَ مِمّا في هَذا العَالَم ولا نَتَّقي ولا نَعبُدَ المَخلوقَ دونَ الخَالِقِ مَهمَا كَانَت أَهمِّيَةُ

٣٢ فيلبي ٣: ٩
٣٣ غلاطية ٢: ٢٠
٣٤ رومية ١٣: ١٤
٣٥ غلاطية ٤: ١٩
٣٦ أفسس ٣: ١٧
٣٧ فيلبي ٣: ١٣ ؛ أعمال ٢٤: ١٦
٣٨ خروج ٢٠: ٣
٣٩ إشعياء ٢٦: ١٣، ١٤ ؛ غلاطية ٥: ١ ؛ يعقوب ١: ٢٥
٤٠ ٢بط ١: ٦-٧

ذَلكَ المَخلوق.[٤١] الأكلُ والجِنسُ والمَالُ والشُهرةُ هُم الآلِهَةُ الأربَعَةُ التي كثيراً ما تُنافِسَ الرَّبَّ على قلوبنا. والثباتُ في مَحَبَّةِ المَسيح مُرتَبِطٌ دائماً بالتقليل من ارتباطِنَا بهَذِهِ الأشياءِ الأَربَعَة. العِبادةُ في الكتاب المقدس دائماً ما تَنطَوي عَلى تقديم ذبيحة، أي التخلي عن قيمة جَسَدِيّة مَادّية من أجل قيمة رُوحية أعلى. عِبادة الرب إذاً تعني تقديمَ هذه الآلهة بصِفَةٍ مُستَمِرَّةٍ على مَذبح التكريس لله. والتدريبات الروحية المختلفة من صَمتٍ واختلاءٍ وصَومٍ وتَعَفُّفٍ وبَساطَةٍ تَستَهدِفُ تَقليلَ ارتباطِنا وتَعَلُّقنا بهذه الآلهة فيَسهُل عَلينا ألا نَعبُدَها بَعدُ.[٤٢]

الفَرَحُ في الرَجاء والصَبرُ في الضيق

يربُطُ العهدُ الجديدُ دائماً بين هذين الأمرَين، فالفَرَحُ في الرَّجَاء هو الذي يَجعَلَنا نَحتملُ ونَصبِرُفي الضيق. يُصَلّي الرَسولُ بُولس لأهل أفسس أن تستنيرَ عُيونِ أذهانِهِم ليَعلَموا ما هو رجاءُ دَعوَة الله لهم وغِنَى مَجدِ ميراثِهِ فيهِم وعَظَمة قُدرته الفائقة من نحوِهِم والتي مقياسُها وباكورَتُها مَا فَعَلَهُ الله في الإنسان يسوع المسيح. سوف يَعملُ اللهُ مَعَنا حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الذي عَمِلَهُ في المسيح إذ أَقَامَهُ من الأموات وأَجلَسَهُ عَن يمينِ الآبِ في الأَعالي فَوقَ كُلِّ رِياسةٍ وسُلطانٍ، وأخضع كل شيء تحت قَدَمَيه وجَعَلَهُ رَأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جَسَدَه مِلءُ الذي يملأُ الكُلَّ في الكُلِّ.[٤٣] لذلك فلا يُمكِن أن نُطالِب أَنفُسَنا بالصَبر في الضيق ونحن لا نَفرَح في الَّرجاء. هذا الفَرَحُ في الرجاء هو الذي أعطى يسوع ويعطينا الصَبرَ في الضيق. كاتِبُ العِبرانيين يَكتُبُ أنَّ يسوعَ، من أَجلِ السرورِ المَوضوعِ أَمامَهُ، احتَمَلَ الصَليبَ مُستهيناً بالخزي.[٤٤] يَربُطُ الرَسولُ بولسُ أيضاً بين الفرحِ في الرَجَاء والصَبرِ في الضِيق في الأَصحاحِ الثَامِنِ مِن رِسالة رُومية، وذلك عندما يَربُطُ بين مِيراثِ المَجدِ العَتيد والألمِ الحَاضِر، وبَينَ

٤١ رومية ١: ٢٥

٤٢ زمالة الخطوات السبع، *قدموا. برنامج الخطوات السبع للنُمُو الروحي*. (القاهرة، ٢٠١٦) ص. ٩٣- ١١٨

٤٣ أفسس ١: ١٨- ٢٢

٤٤ العبرانيين ١٢: ٢

أَنينِ التَمَخُّضِ ورَجَاءِ العِتقِ من عُبودِيّة الفَساد.[٤٥] إنَّ الذي يَجعل بُولسَ الرَسول يَحتمِلَ مع المسيح شَرِكَة آلامه ويَتَشَبَّه بموته، هو رجاؤه في قيامة الأموات فكتب يقول: لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ. لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ. أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.[٤٦]

مُنذُ أن قَابَلَ بولسُ المَسيحَ المُقامَ في مَجدِهِ الأَبديّ وعَرِفَ أنَّ هَذا المَجدُ هو ما ينتَظِرُ المؤمنين به، ومُنذ أن اختُطِفَ إلى السماء الثالثة وسَمع ما سَمِعَ ورأى ما رأى،[٤٧] وهو يَعيشُ على هَذا الرَجاءِ مُشتَهياً أن يَنطَلِقَ ويَكونَ مَعَ المَسيح.[٤٨] وهذا جَعَلَهُ يَستهينُ بأيِّ ألمٍ أو إهانَةٍ أو ضيقٍ أو اضطهادٍ.[٤٩]

المُواظَبَةُ عَلى الصلاة

من أَقوَى عَلاماتِ المَحَبَّةِ لأيِّ شَيء المُواظَبَةُ عَليه. على سبيل المثال، مَن يُحب مشاهَدَةَ مَباريات كُرة القدم سوف يواظِبَ عليها، بل سَيَقومُ بتغيير كُلِّ جَدولِ حَياتِهِ ونَشاطَاتِهِ بحَيثُ يكونُ أمام التلفاز في وقت إذاعَةِ المُباراة. أمّا عِندَما تَغيبُ المَحَبّة ويخفُتُ الشَغَف، تُصبحُ المواظبة أصعبَ شيءٍ على الإطلاق. من الضروريّ أن نفهم أنَّهُ لا نُموّ بلا مُواظبة، وذلك في أي شيء؛ من التَعليمِ للرِيَاضَة ومِنَ العَمَلِ للحَياةِ الروحِيَّة. والحياةُ الروحِيَّةُ مثل الرياضة البَدَنية تماماً، تَتَأَثَّرُ بشدةٍ بغيابِ عُنصرِ المُواظَبَة. لذلك يَستخدِمُ الرسولُ بُولُسَ الرِّياضَةَ

٤٥ رومية ٨: ١٦- ٢٥
٤٦ فيلبي ٣: ١٠- ١٤
٤٧ ٢كو ١٢: ١- ٤
٤٨ فيلبي ١: ٢٣
٤٩ أعمال ٢٠: ٢٤؛ رومية ٨: ٣٥- ٣٩؛ ٢كو ١١: ١٦- ٣٣

البَدَنِيَّةَ كتَشبيهٍ للحياةِ الروحية وذلك في مَوضِعَين، الأوَّل في رِسالتِهِ الأولى لأهل كورنثوس عندما يتكلم عن الرياضِيّ الذي يُجاهدُ في سِباقِ الجَري ولذلك يَضبِطُ نَفسَهُ في كُلِّ شيء.[٥٠] والموضِع الثاني عِندَما يَتَكَلَّمُ إلى تلميذه تيموثاوس، كَيف أن التَقوَى رياضة، وأنّهُ يجِب أن يُرَوِّضَ نفسَهُ لها.[٥١]

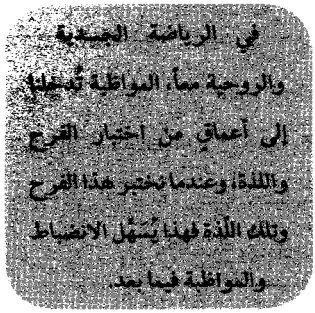

من العناصرِ التي تَجمَعُ بَينَ الصلاةِ والرِّياضَة أنَّ المُواظَبَةَ والانضباطَ فيهما يؤديان إلى مَزيدٍ من الانضباط والمواظبة. ففي الرياضة الجسدية والروحية معاً، المواظبة تُدخِلنا إلى أعماقٍ من اختبار الفَرَحِ واللَّذَةِ، وعندما نَختبرُ هَذا الفرح وتلك اللّذة فذلك يُسَهِّل الانضباط والمواظبة فيما بعد وهكذا تَدورُ الدائرة إلى العُمق. إذاً فإنَّ كُلَّ يومٍ نُمارسُ فيهِ انضباطَ الصَلاةِ يَجعلُ المُواظَبَة أَسهَلَ في اليومِ التالي. والعَكسُ أيضاً صَحيح، فإذا فَقَدنا الانضباطَ والمَواظَبَة، تُصبِحُ العَودَةُ أصعبَ فأَصعبَ يَوماً بَعدَ يومٍ لأَنَّنا نَفقِدُ تَدريجياً «لياقتنا» الرّوحِيَّة. هَذا أيضاً لأنَّ الحياةَ الرّوحيَةَ تَقَعُ في حَالَةِ تَضَادٍ تَامٍّ مَعَ العَالِمِ المَنظور الذي نعيشُهُ. الصَلاةُ هي القَناةُ الَّتي تَربطنا دائماً بملكوت الله وبِحُضورِهِ. إنَّنا عِندَما نَتوقفُ عَن المواظَبة على الصلاة، فإننا نجعل العالمَ بكُلِّ ما فيه من عَداوةٍ لله، أَكثَرَ تأثيراً علينا من رُوحِ الله فنفقِدُ مع الوَقتِ استنارةَ العَينينِ الّتي تجعلنا نَرَى رَجَاءَ الدَّعوَةَ وغِنَى مَجدِ الميراث، ويُصبِحُ البُطلُ،[٥٢] وفَراغُ المَعنَى هو الأقربُ لنا.

٥٠ ١كو ٩: ٢٥
٥١ ١تي ٤: ٧-٨
٥٢ رومية ٨: ١٩

التواضُع

ويضيفُ بولس الرسول قائلاً: «مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَتَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ.» في هَذِهِ العِبَارَةِ القَصيرَةِ الغَنِيَّة ثَلاثَةُ مَظاهِرَ للتَواضُع. الأوَّلُ هو التَخَلّي عن *الاهتمامات الشَخصِيَّة* وَلَو مؤقتاً والاستِعدادُ للدّخولِ إلى اهتماماتِ شخصٍ آخر. الانحصارُ في النَفس مِن أَبسَط مَظاهر الكبرياء فهو ينطوي على فكرة «أنا أَهَمّ». المحَافَظَةُ عَلى وقتي أَهَمّ مِن أَن أَقضيه مع آخرين أو من أجل آخرين. احتياجاتي أهم من احتياجات الآخرين. مشاعِري هي الأهَّم، أفكاري هي الأصَحّ، رَاحَتي هِيَ الأَولَوية، وهَكذا. صَحيحٌ أنَّهُ من الضروري أن يَتَّزِنَ الإنسانُ بَينَ الأَخذِ والعَطَاء، لَكِنَّ المَيلَ للأَخذِ أَكثَرَ مِنَ العطاء هو السِمة المُمَيِّزة لأسلوب الحياة المُضاد لله. يُعَبِّرُ بُولس الرَسول عَن ذَلِكَ في موضعٍ آخرَ عندما يقول في مُستَهَلِّ الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل فيلبي: «فَإِنْ كَانَ وَعْظٌ مَا فِي الْمَسِيحِ. إِنْ كَانَتْ تَسْلِيَةٌ مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَاءٌ وَرَأْفَةٌ، فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا، لاَ شَيْئًا بِتَحَزُّبٍ أَوْ بِعُجْبٍ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا.[٥٣]» المَظهَرُ الثاني من مظاهر التواضع هو *عدم الاهتمام بالأمور العالية والهروب من مَواطِنِ المجد*. بعَكسِ الفِكرِ الذي في العالم، الذي يجعل الناس يَلهَثونَ خَلفَ مَظاهِرِ المَجد والشُهرة ويَبحثون عن داوئر الضوء والتأثير، كَانَ يسوعُ يهرَبُ من كل مواطِن المجد الذي من الناس، بل ويَرى أن طَلَبَ المَجدِ من الناسِ هُوَ عَمَلٌ من الأَعمَالِ المُضادَّةِ للإيمان.[٥٤] إنَّ من مَظاهِر تَزايُد محبة المسيح في قَلبِ المؤمن، وتأصُّل صورَتَهُ فيه، أنه لَيسَ

٥٣ فيلبي ٢: ١- ٤ (نلاحظ أهمية كلمة «أيضاً» وذلك للتأكيد على عَدم إهمال النفس وإغفال الاحتياجات الشخصية).
٥٤ يوحنا ٥: ٤١- ٤٤

فَقَط خارجياً يَهرُبُ من مَواطِنِ المجد، بل أَنَّهُ يَصيرُ من داخِلِهِ مَفطوماً عَن هذا المَجد. وبتَعبيرِ الفِطام أَقصُدُ أنَّ هذا النَوعُ من المَجد صارَ لا يُشبِعُهُ ولا يؤثِّرُ فيه كَما كَانَ مِن قَبل، وذَلِكَ لا لشيء إلّا لِكونِهِ قَد اختَبَرَ مُستوىً أَعمَقَ من مُتعةِ ومَجدِ الحَميمِيَّةِ مع الله والناس.

ما هو الاهتِمَامُ بالأُمورِ العَالِيَة الذي يُمكنُ أَن يُشوِّش عَلى المؤمنين وعلى الكنيسة؟ رُبَّمَا يَكونُ تورُطَ الكنيسة في السياسة (كما هو حالِ الأُصوليةِ المَسيحية الأَمريكية مثلاً). رُبَّمَا الاهتمامُ بالأراضي والمَباني والمؤسسات أكثر من اللازم. رُبما وَضع البرامج والأنشطة في مَكَانَةٍ تَجعَلُ من الصَعب الاهتمام بالأفراد. ربما نشوَةِ الأَعدادِ الغفيرة و التَجَمُّعاتِ الجَماهيرية بغضِّ النَظَرِ عَن عُمقِ وصِدقِ الحياة. ومن هُم المُتَّضِعون الذي ينبغي أن نَنقادُ لَهُم؟ الكلمة اليونانية (تابينوس) *Ταπεινοσ* تعني البُسطاء والفُقَراءَ مَادّياً ومَعنَوِيّاً وعَقلياً. ومَا مَعنى الانقياد إليهم؟ إنه الذهابُ نَحوَهُم، والاستماعُ إلى قِصَصِهِم و إن كانت بسيطة ومُمِلّة ومُكَرَّرَة. إنَّهُ المِزاحُ مَعَهُم والكَلامُ إليهِم وتبسيطُ الأُمورِ المُعَقَّدة ليَفهَموهَا. هذا يَقودُني أيضاً إلى تعبير: «شَجِّعوا صِغارِ النفوس» الذي يكتبه بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي.[٥٥] فمن هُم صِغارِ النفوس(أوليجوبسوخي) *Ολιγοψυχε*؟ صِغارُ النفوس هم المُصابون بصِغَر النَفس، هُم الصغار نفسياً بسبب التنشئة في أُسَرٍ فقيرةٍ نَفسياً والذين قد تَعَرَّضوا إلى إساءاتٍ في الطفولة عَطَّلَت نُمُوَّهُم النفسيّ. إن تشجيعَ صِغارِ النُفوسِ عَمَلٌ صَعبٌ من أعمال المَحَبّة، فصغارِ النُفوس لَيسوا دَائماً أطفالاً لُطاف. صغارُ النُفوسِ يُمكن أَن يَكونوا عُنفاءَ، ساخرين، مُنفَلِتين، مُدمنين، إلخ. والإنسانُ الذي يَتَدَرَّبُ أن يكونَ مُنقاداً إليهم لن يكون النورُ مُسَلَّطاً عَلَيهِ و إنَّمَا دَاخِلُه، والكَنيسةُ التي تَصبِر عَلَيهِم وتَحتَويهِم لَن تكونَ أَكبَرَ كَنيسةٍ في العَدَدِ والنَشَاط و إنّما الأَعمقُ في تُربَةِ المَحَبَّة.

٥٥ ١تس ٥: ١٤

المظهرُ الثالث من مظاهر التواضع، هُوَ أن *يَتَوَقَّفَ الإنسانُ أن يكونَ حكيماً في عينيّ نفسه*. هذا يَعني أن يَتَوَقَّف الإنسانُ عن الظَّنّ أنَّهُ يَعرفُ كُلَّ شَيء وَلا يَحتاجُ أن يَتَعَلَّمَ شيئاً مِن أَحَد، ولا يُمكِن أن يُقنِعَهُ أَحَدٌبرأيٍّ جَديد، وبالتالي فإنَّهُ لا يَستطعُ أن يُغَيِّررَأيَهُ أبداً. بالطبع لا يَعني التَواضُعأن يَتَوَقَّفَ الإنسانُعن أنتكون لَهُ آراء وأفكار، لكنَّه يَعني ألّا يكونَ مُتَمَسِّكاً بها أكثر من اللازم، ويكونُ قادراً على إعَادَةِ فَحصِها والتَخَلي عَنها إذا ثَبُتَ أنَّها لَيست صَحيحةً تَماماً.

المحبة غير المشروطة

المَوَدَّةُ الأَخَوِيّة هِيَ من تَطبيقاتِ المَحَبّة ودلائلها. لكنَّ البُرهانَ الأَسمَى عَلى الطَبيعَةِ الإلهية هُو المحبة غير المشروطة. تظهر المحبة غير المشروطة في أقوى صُوَرِها في الطريقة التي نتعاملُ بها مع المُسيئين. لِذَلِكَ يَربُط يَسوعُ في المَوعِظَةِ عَلى الجَبَل بينَ مَحَبَّةِ الأَعداء والبُنُوَّةِ لله: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.»[٥٦]

لا شيئَ يكشِفُ صُورَةَ الخَليقَةِ الجَديدَةِ مثلَ الغُفرانِ للمُسيئين. وبقدرِ عُمقِ الجَرحِ يكونُ نقاءُ الصورة. إنها بصمةُ وصُورَةُ اللهِ نَفسَهُ. لذلكَ يَستَمِرُّ بولسُ الرَّسول في نَفسِ هَذا التعليم ويكتب: «بارِكُوا عَلَى

لا شيئَ يكشِفُ صورةَ الخليقةِ الجديدةِ مثلَ الغفرانِ للمُسيئين. وبقدرِ عُمقِ الجرحِ يكونُ نقاءُ الصورة. إنها بصمةُ وصورةُ اللهِ نفسه.

٥٦ متى ٥: ٤٣-٤٧

الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا...لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.»

عندما يَقولُ«حَسَبَ طاقَتِكُم» سالِموا جميع الناس فهو لا يعني أننا يُمكن أن نُسالِم بعضَ الناس ونُعادي آخرين. التَرجَمَةُ الأدَقّ هي: حَسَبَ طاقَتِكُم عيشوا بالسلام (بانسجام) بعضُكُم مع بَعض. أي أنها إشارة للعلاقات. بالطبع لا نَستطيع أن نَكونَ في علاقاتٍ مع كُلّ الناس طوال الوقت. فعملُ العلاقاتِ يكونُ عَلى قَدرِ طاقَتِنا، لَكِنَّ موقفَ السلامِ ولَيسَ العَداءَ يُمكِنُ أن نَعيشَهُ مَعَ كُل الناس. إنّنا نستطيعُ أن نَعيشَ في علاقاتٍ مُنسَجِمةٍ مَعَ الناسِ على قَدرِ استطاعَتِنا واستطاعَتِهم، لكننا نَغفِرُ على قَدرِ استطاعَةِ الله نفسه. العلاقات دائماً ما تحتاج لاشتراك وتعاوُنِ الطَرَفين، أمَّا الغُفرانُ فهوَ لَيسَ علاقة ولا يَحتَاجُ بالضَرورَةِ إلى مُعاوَنة الطرف الآخر.[٥٧] هو فَقَط تَعبيرٌ عَن وُجودِ مَحَبَّةِ الله غَيرِ المَشروطة في القَلب، والاستعداد الدائم للثبات في هذه المحبة بالغفران للآخرين.

فكيف إذاً نُواجِهُ الشَّرَ؟ الشرُّ حَقيقةٌ واقِعَة ولَيسَ خَيالاً. الشرُّ شِرّيرٌ جِداً ومؤذٍ لأبعادٍ نَعجزُ كثيراً عَن استيعابها ونَتَساءل: كيف استطاعوا أن يَفعَلوا مَا فَعَلوه؟ كيف يُمكِنُ للشر أن يَصِلَ إلى هذه الأبعاد؟ هل هؤلاء بشر؟ وكيف نواجه هكذا شراً؟ الإجابَةُ البَسيطَةُ والمَنطقيَّة هي التي يقدمها العهد الجديد. الشَّرُ لا يَغلِبَ الشَّرَّ. الخَيرُ هُوَ الذي يغلبُ الشر. النار لا تُطفئ النار، و إنما الماء هُوَ الذي يُطفِئَهَا.

٥٧ بالطبع فإنّ اعترافُ واعتذار الطَرَف الآخر يُسَهّل كثيراً من الغفران، لكن يظل الغفرانُ خياراً روحيّاً شخصياً تُسانِدُهُ نِعمَةُ الله دائماً.

عادةً عِندَما أَتَكَلَّمُ عَن الغفران ومُواجَهَةِ الشَّرَ بالخَيرو إعطاءِ«الخَدَّ الآخَرَ»، يَعتَرِضُ كثيرونَ قائلين إنَّ هذا سَوفَ يُعطي الفرصة للأشرار أن يؤذوننا أكثر فأكثر. وعادةً مَا أَرُدُّ بقِصةٍ أذكُرُها فَقَط لأَنَّها تَجرُبةٌ خُضتُها بنَفسي لِذَلِكَ فإنّني مُتَأكِّدٌ من صِحَّتِها. بينما أكتب هذه الكلمات الآن تكون قد مَرّت أربع سنوات على ما يُسمّى «بأحداث الاتّحادية» وهَذِهِ الأَحداثُ كانت مِن أَكثرِ الأَحداثِ السياسِيَّةَ وَحشية في السنوات الأخيرة.[٥٨] في صَباحِ ذَلِكَ اليوم كُنت موجوداً أمام القَصرِ الجُمهورِيّ مَعَ المُعتَصِمينَ سِلمياً أمام القَصر احتجاجاً على الإعلان الدستوري الذي وَضَعَ الرَّئيسُ مِن خلالِهِ كُلَّ سُلُطاتِ الدَّولةِ في يَدَيه وَحَده. فجأة شَعَرنا بهرجٍ ومَرَجٍ فِي المَكَان وتَطَلّعنا نحو الأفُق في شَارِعِ الميرغَني فَرَأَينا مِن بَعيدٍ جَحافِلَ قَادمَةً مُمسكِينَ بعِصيٍّ غَليظة و يبدو من قَسَماتِ وُجوهِهِم أَنَّهُم يَنوونَ على العُنف. وبالفعل، عندما وَصلوا بَدَأَ الهُجوم وضَربُ المُسالِمينَ واقتلاعِ الخِيام. وبِجانبي شَاهدتُ ثَلاثَةُ رِجالٍ مَفتولي العضلات يَتجَمَّعونَ حَولَ فَتاةٍ صَغيرةٍ من النُشطاء السياسيين و يضربونَها بالعُصيّ. لم أستطع أن أَحتَمِلَ المَشهَد فصِحتُ فيهم مُعترضاً على كونِهِم، وهُم رجالٌ، يَعتَدونَ على فَتاةٍ مُسالِمة، فتَرَكوها والتفتوا إليّ ليعتدوا عليّ أنا أيضاً. في تلك اللحظة اخترتُ أن أُجَرِّبَ مَبدأَ عَدَمَ مُقاوَمَة الشَّر. وَقَفتُ في مَكاني وقُلتُ لَهم إذا أردتُم ضَربي فلتَتَفَضَّلوا. فجأة تَسَمَّروا في أماكِنهم لبُرهةٍ مِنَ الوقت، ثم مَضَوا بعيداً. عِندما يُواجِهُ الإنسانَ رَدّ فعلٍ غَير مُتَوَقَّع تَضطَرِبُ حِساباتِهِ تماماً. رَدُّ الفِعلِ المُتَوَقَّع للهجوم هو الهُجوم المُضاد أَو الفَرار، أما الوُقوفِ بثباتٍ وقَبول الهُجوم بصدرٍ مَفتوح، فهذا أمرٌ غيرَ مُتَوَقَّعٌ. لَقَد أصدَرتُ أنا أمراً لَهُم أن يضربوني. هَذا يَعكِسُ المَوقفَ

٥٨ اصطُلِحَ إطلاقُ هذا الاسم على اشتباكات عنيفة تمت بين أنصار جماعة الإخوان المُسلمين على أبواب القصر الجمهوري (قصر الاتحادية) في صباح الثامن من ديسمبر سنة ٢٠١٢ في أعقابِ إصدار الرئيس الأسبَق محمد مرسي (المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين) إعلاناً دستورياً يضع كل سلطات الدولة في يديه، مما أثارَ القُوىَ المَدَنية والاحتجاجية فقاموا بالاعتصام أمام القصر الجمهوري لعدة أيام. وفي صَبيحَةِ ذَلِكَ اليوم، بعد أن رفضت الشرطة المصرية فَضَّ الاعتصام بالقوّة، لَجأ الرئيسُ إلى مَجموعَةٍ من جَماعة الإخوان المسلمين تَمَّ حشدُها من المُحافظات و إرسالُها للقصرِ لفضِّ الاعتصام.

تماماً، فهُم إذا ضَربوني فإنهم عندئذ يكونون قد نَفَّذوا أمري وخَضَعوا لي، وهَذا عَكس العُنف تماماً ولا يُشعِرهُم أبداً بالانتصارِ بَل بالهَزيمة. العُنف تُحَرِّكُهُ شَهوةُ السَيطرةِ والانتصارِ عَلى الآخر. لذلك فعندما يتحول إلى خُضوعٍ للآخر وتنفيذٍ لأوامره، تَتَلاشى الشهوة المُحَرِّكة للعُنف فيَتَوَقَّف. هذا تُعَبِّر عنه العبارة: «لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.[٥٩]»

كُلُّ هَذِهِ الفَضَائِل والمَناقِب هي الأَوجُهُ المُتَعَدِّدة لجَوهَرَةِ المَحبَّة الإلهية: إنّها الفَضيلة والمَوَدَّة الأَخوية، والاجتهاد والحرارة الروحية. إنّها عبادة الرب والفرح في الرجاءِ والصَبرُ في الضّيق والمواظبة على الصلاة. إنها التواضع والاستعداد للتَعَلُّم. إنّها مُباركة اللّاعِنين وعَدَم الانتقامِ مِن الأَعداء و ومُجازَاةِ الشَرِّ بالخَير. المحبة ليست شَعَاراتٍ ولَيست مشاعرَ. إنَّها لَيسَت علاقَةً أو تَعَلُّقاً. المَحَبَّةُ هِي القُبولُ عِندَ الاعتراف (أن تقبلني عندما أعترف لك بضعفي) والصَبرُ على المُتَعَثِّر. هي العتاب بِحُب عند الإساءة والابتعاد بمُسالَمة لحماية النفس دونَ كراهية. إنها القُدرَةُ عَلى الاعتذار والغفران. إنها تجاوُزُ النَفس لفَهمِ الآخرين، والعَملُ على مَصلحة الجميع بقدرِ المُستطاع. لذلك فهي رباطُ الكَمَال،[٦٠] وغايَةُ الوَصية،[٦١] وتَكميلُ الناموس.[٦٢] المَشاعر تَتَبَدَّل والعلاقات تَنتَهي أمَّا المحبة فلا تسقط أبداً.[٦٣]

٥٩ رومية ١٢: ٢٠ ب
٦٠ كولوسي ٣: ١٤
٦١ ١تي ١: ٥
٦٢ رومية ١٣: ١٠
٦٣ ١كو ١٣: ٨

الفصل التاسع

في المسيح

كَيفَ تبدو الخليقة الجديدة؟

بعدَ القِيامَةِ والصُعود وحُلولِ الرّوحِ القُدُسِ، انتَقَلَ التلاميذُ من حَالةِ «مَعَ يَسوع» إلى حَالة «في المسيح» ونَحنُ أيضاً عندما ننتقل هذه النَقلَةُ النَوعِيَّة نَكونُ بالفِعل قد أَصبَحنا مَسيحيين. المسيحيون هُمُ الأَشخاصُ الّذين المسيحُ فيهُم وهُم فيه. في الفَصلِ قبلِ السَابِقِ تَكَلَّمنا عَن هَذِهِ العلاقة الحُلولية السِرّية التي يُجريها الروحُ القُدُسُ ويقومُ الثُباتُ الإنسانيُّ بتَفعيلِها. وقد نَظَرنا إليها من زاوِيَةِ خِطاب المسيح المُطَوَّل في الأصحاحات ١٤- ١٧ من إنجيل يوحنا. أمَّا في هذا الفصل، فسوَف نَنظُرُ إلى نفس الشيء، ولكن من زاوية أخرى وهي إحدى كتاباتِ بولس الرسول.

لعل هذا التعبير: «في المسيح» هو الخِتم الذي يُمَيِّزُ كِتاباتِ بولس الرّسول التي هي أَقدَمُ كِتاباتِ العَهدِ الجَديد وأغزَرَها. وفِيما يَلي سَوفَ أستَعرِضُ فَقَرَةً هَامَّةً مِن الفقرات التي يستخدم فيها بولس هذا التعبير ويَتَكَلَّمُ فيها عن العلاقةِ الحلولية «في المسيح» وذلك من رسالته إلى أهل رومية التي يعتبرها بعض المُفسرين نُسخَتهُ من الإنجيل.[٦٤]

لعل هذا التعبير: «في المسيح» هو الخِتم الذي يُمَيِّزُ كِتاباتِ بولس الرّسول التي هي أَقدَمُ كِتاباتِ العَهدِ الجَديد وأغزَرَها.

«إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ **فِي الْمَسِيحِ** يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ **فِي الْمَسِيحِ** يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ

٦٤ متى المسكين (رومية ١٦: ٢٥).

وَالْمَوْتِ. لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ **السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ**. فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ **حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ**. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ **فِي الرُّوحِ**، إِنْ كَانَ **رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ**. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ **رُوحُ الْمَسِيحِ**، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ **الْمَسِيحُ فِيكُمْ**، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ. فَإِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَحْنُ مَدْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشَ حَسَبَ الْجَسَدِ. لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ». اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ.»

هذه فقرةٌ مِحوَرِيّة من فَقَراتِ العَهدِ الجَديد. من أين نَبدأ إذاً في مُحاوَلَة فَهمِهَا؟ أينَ هُوَ «أوَّلُ الخَيطِ»؟ أوَّلُ الخَيطِ هو الله. اللهُ هو المُبادِرُ دائماً. الكُلُّ يَبدَأُ من عِندِهِ ويَنتهي إليه. هو الذي صالَحنا لنفسه بيسوع المسيح،[٦٥] وهو الذي أَحَبَّ العالم حتى بَذلَ ابنه الوحيد لكيلا يَهلَكَ كُلُّ من يؤمنُ به بل تكونُ له الحياةُ الأَبَدِيَّة.[٦٦] وهوَ الذي ونحن بَعدُ خُطاة، أرسلَ المسيحَ ليموتَ من أجلنا.[٦٧]

٦٥ ٢كو ٥: ١٨

٦٦ يوحنا ٣: ١٦

٦٧ رومية ٥: ٨

فَاللهُ إذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ

إنسانٌ حَلَّ فِيهِ الرُوحُ القُدُسُ بالكامِلِ حَتّى من قَبلِ وِلادَتِه، بل إنَّهُ قَدْ حُبِلَ به بالروح القُدُسِ.[٦٨] كُلُّ شَطَحاتِ الخيال العِلمي لا تَكاد تقترب مِمّا عَمِلَهُ الله في المسيح. اللهُ بعدما كَلَّمَ الآباءَ بالأنبياءِ قَديماً بأنواعٍ وطُرُقٍ كثيرةٍ، كَلَّمَنا في هَذِهِ الأيامِ الأخيرةِ[٦٩] في ابنِهِ، الذي جَعَلَهُ وارِثاً لكُلِّ شيءٍ، الذي به أيضاً عَمل العالمين،[٧٠] الذي هو بَهَاءُ مَجدِهِ (الذي يعكس مَجدَهُ) ورَسمُ جَوهَرِهِ (الصورة المنظورة لجَوهَرِهِ غَيرِ المَنظور) وحامِلُ كُلّ الأشياء بكلمة قدرته.[٧١] هو الابنُ الّذي قَدَّسَهُ الله (ملأه بالتمام بروحِهِ القُدُّوس بشكلٍ لم يَحدُثْ من قَبلٍ ولا مِن بَعدٍ) وأَرسَلَهُ إلى العالم.[٧٢] هو الذي حَلّ الآب فيه بالتَمام،[٧٣] وهو الذي فِيهِ سُرَّ أَن يَحُلّ كُلُّ المِلءِ،[٧٤] حَتّى أَنَّهُ لا يَعرفُ الآبَ إلّا الابن ولا الابنَ إلا الآبِ.[٧٥]

فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ

في المَسيح سُرَّ أن يَحُلَّ كُلُّ مِلءِ اللاهوت جَسَدِيّاً،[٧٦] أي أنّ كُلّ ملء اللاهوت قد حلَّ في جَسَد. ويكتب بولس أيضاً لتيموثاوس أن الله ظهر في الجَسَد.[٧٧] ويكتب كاتب العبرانيين إنَّهُ إذ تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتَرَكَ هو أيضاً فيهما.[٧٨] لقد جَاءَ ابنُ الله في نَفسِ جَسَدِنا

---

٦٨ متى ١: ١٨

٦٩ الجزء النهائي والأخير من خطة الله للخلاص والذي فيه يجمع كُلّ شيءٍ في المسيح (أفسس ١: ١٠).

٧٠ به عَمِلَ العالَمين في البداية، وفيه يجمع كُلَّ شيءٍ في النهاية. هو قبل كُلِّ شيءٍ، وفيه يقوم الكُلّ (كولوسي ١: ١٧).

٧١ عبرانيين ١: ١-٣

٧٢ يوحنا ١٠: ٣٦؛ و يوحنا ١٧: ٣، ١٨

٧٣ يوحنا ١٤: ١١

٧٤ كولوسي ١: ١٩

٧٥ متى ١١: ٢٧

٧٦ كولوسي ٢: ٩

٧٧ تيموثاوس الأولى ٣: ١٦

٧٨ عبرانيين ٢: ١٤

الذي اغصتبناهُ وقَدَّمناهُ خَادِمَاً للشَهوَةِ والأنانية[٧٩] وعَبداً لِما هُوَ دونِ الله.[٨٠] وقد فَعَلَ ذَلكَ لكي يُحقِّقَ اللهُ ما عَجَزَتِ الشَريعَةُ عَن تَحقيقهِ. لَيس لأنَّ الشريعَةَ باطلةٌ لَكِنَّها كانت عاجِزة بسببِ الطَبيعَةِ الأَنانيّة الساكِنّة في الجَسَد وعَدَم قُدرة الإنسان في هذه المرحلة من تَطَوُّرِهِ الرُوحِيّ عَلى مُقاوَمَةِ هَذِهِ الطَبيعةِ الأنانية. وهَكَذا أَرسلَ اللهُ ابنَهُ في جَسَدٍ كَجَسَدِنا لكي يُحَرِّرُ جَسدَنا مِن تلكَ الطبيعة التي قَد تَحَكَّمَت فيه. جاء في جَسدٍ مثلنا إلا أنه لم يُخطئ. أي أَنَّهُ لَم يَعِش لِنَفسِهِ وبِنَفسِهِ ولَم يَفعَلَ مَشيئَتِهِ الإنسانيّة بل فَعَلَ مَشيئَةِ الآبِ تماماً.[٨١] وبِهَذِهِ الطَريقة أَدَان الله الخطية.[٨٢] فما معنى أن الله قد أدانَ الخَطِيَّة وكَيف؟

ولأَجْلِ الخَطِيَّةَ، دَانَ الخَطِيَّةَ

من خِلالِ حَياتِهِ وطَاعَتِهِ الكَامِلة، صَارَ يَسوعُ المَسيح كاهِناً يَتَقَدَّمُ عَنّا إلى قُدسِ أقداسٍ روحية لا يسوغُ لَنَا أَن نَدخُلَها بِدونِهِ. يكتب عنه كاتب العبرانيين ما يلي: الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، **وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ** مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. **وَإِذْ كُمِّلَ** صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، مَدْعُوًّا مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ.[٨٣]

كَيف **كُمِّلَ** يسوع؟ لقد كُمِّلَ يَسوعُ بأَن سَارَ الطَريقَ إلى نِهايتِهِ، حَتّى صارَ هو نفسُهُ الطريقَ والحَقَّ والحياة.[٨٤] وهو في جسدٍ مشابِهِ تماماً لجسدنا الذي نَعصى الله بِه، سَارَ يسوعُ طَريق الطَاعَة إلى نهايتِهِ عَلى الصليب. لقد كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لكنه لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ

٧٩ رومية ٦: ١٩

٨٠ رومية ١: ٢٥

٨١ يوحنا ١٤: ٣١

٨٢ رومية ٨: ٣ (الترجمة العربية المُبَسَّطة).

٨٣ عبرانيين ٥: ٧- ١٠

٨٤ يوحنا ١٤: ٦

مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.[٨٥] هَكذا دَانَ اللهُ الخَطِيَّةَ في الجَسد.

من خِلالِ حياةِ المَسيحِ وموتِهِ على الصَليب وقيامته الظافرة المُنتصرة، فَضَحَ اللهُ الخَطِيَّةَ وكَشَفَ كَيفَ أنَّها خاطِئَةٌ جداً، وأنّها كِذبةٌ مُميتة.

من خِلالِ حياةِ المَسيحِ وموتِهِ عَلى الصَليب وقيامته الظافرة، فَضَحَ اللهُ الخَطِيَّةَ وكَشَفَ كَيفَ أنَّها خاطِئَةٌ جداً، وأنّها كِذبةٌ مُميتة.

عِندَمَا يَتكَلَّمُ العَهد الجَديد عن كَونِ المسيح «ذبيحةً» أو «كَفَّارة»، فَهذا لا يَعني أنَّ الله يَقبلُ ذبائِحَ بَشَرِيّة ولا يعني أن الله قد أَفرَغ غَضَبَهُ في المسيح لكي يعتِقَنا من الخطية أو أن عدالة الله قَدِ اقتَصَّت من المسيح وتَصالَحَت مع رَحمَتِهِ مِن خِلالِ هَذِهِ الذبيحة، وذلك كما تشير نظرية الكَفَّارة البديلة التي وَضَعَهَا الأُسقُف القديس أَنسلَم (Anslem) في القرن الحادي عشر والتي أشرنا إليها في الجزء الأول من هذا الكتاب. إنّنا لِكَي نَفهَم إشارَةَ العَهد للمَسيح أَنَّهُ ذبيحة، يجب أن نفهم أيضاً دور الذبيحة في العهد القديم. الذبيحةُ التي كان شعب الله يُقدمها لم تكُن كذبائح الأُمَمّ الوثنية من حولهم، لإرضاءِ الآلِهَة أو الوَقاية من غَضَبِهَا. لقد كانت الذبيحَةُ في العَهدِ القَديمِ أيضاً وسيلةَ إيضاحٍ لإظهار بِرّ الله وفَضحِ الخطية في جسد الذبيحة. لقد كانت الذَبيحَةُ طقساً يُظهرُ البِرّ والخطية في حالة تضاد. برَّ الذَبيحَةِ وفَسادِ الخَطِيّة. كَانَ يَجِبُ أن تكونَ الذبيحة بلا عيب (رمزاً للبِرّ التام)، ثم يَضَعُ الخاطِئُ خَطِيَّتَهُ عَليها فتَموت أو تُطلق لتتوه في البَرّية.[٨٦] لقد كَانَت الذبيحةُ وكانَ رَبطُ تقديمِها بغُفران الخَطايا الّتي يرتكِبَها الشَعب (الكَفَّارَة)، هي الطَريقَةُ الطَقسِيَّة الرَمزِيّة التي رَسَمَها الله ليُقدم لشعبه تَذكيراً دائماً وكَشفاً مُستمِراً للخِدعة الإبليسية القديمة «لَن تَموتَا». نَعم لن يَموتَ الإنسانُ جَسَدياً بِمُجَرَّدِ

٨٥ فيلبي ٢: ٦-٨

٨٦ لاويين ١٦: ١-١٠

ارتكابِ الخَطِيّة، لَكِنّهُ يموتُ رُوحياً وأبدياً. ويَموتُ الإنسانُ رُوحِيّاً لأنه قد عَبَدَ المَخلوقَ دُونَ الخالِق ونَصَّبَ من نفسِهِ إلهاً وهو غَيرَ مؤهلٍ لذلك. تماماً مثل الكوكب (الأرض) الذي ينبغي أن يدور حَول نَجمِهِ (الشمس) لكي يستمر في الحياة. لكن إذا ظَنَّ الكَوكَبُ أَنَّهُ نجمٌ أو نَصَّبَ نَفسَهُ نجماً وتَوَقَّف عَنِ الدَوَران فإنَّ النَجمَ سَوفَ يَجتَذِبَهُ إليه ويَحتَرِق. أو إذا قرَّر أن يُزيدَ من سُرعةِ دَوَرانِهِ لِيَتَحَرَّرَ من المَدارِ المَرسومِ لَهُ حَولَ الشمس، فإنه سوف يتوه في الفضاء اللامُتناه.[٨٧] كَانَ الشعبُ القديمُ يَحتاج إلى التذكير الدائم بأن أُجرَةَ الخَطِيَّةَ هي المَوتُ الروحيُّ،[٨٨] ويكُونُ هذا التَذكير من خلال المَوتِ الجَسَديّ للذَبيحة.

وعِندما يَكتُبُ بولس الرسول في رسالةِ رومية عن أن الله قد قَدّمَ يسوع كَفَّارَةً بِالإيمَانِ بِدَمِهِ، فإن هذا لا يَعني بالضَرورةِ أنَّ المسيحَ دَفَعَ بدَمِهِ ثَمَنَ الخَطِيَّةَ للآب، وإنَّما، كَما يَكتُبُ بُولسُ، لإظْهَارِ بِرِّهِ (طَاعَتِهِ حَتّى المَوت، مَوتِ الصَليب). أيّ أَنَّ الذَبيحَة هِيَ لإظهار خطأ الخطية وبرّ المسيح، وأيضاً لكي يوَرِّثنا هذا البِرّ. لذلك يُكمِلُ قائلاً: لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ. بِرّ يسوع هو إطاعة الآب إلى النهاية، وَهوَ يُوَرِّثُ بِرَّهُ من خِلالِ زَرعِ حَياتِهِ (بالروح القدس) في حَياةِ كل مَن يُريدَ أن يُطيعَ الآبَ إلى النهاية. قال يسوعُ لتلاميذِهِ في الأَصحاح الخامِسِ عَشَر من إنجيل يوحنا:إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. وكان قد قال في الأصحاح السابق: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.[٨٩]

---

٨٧ تبقى الأرض في مسافة ثابتة ومناسبة من الشمس وذلك لأنَّها تَدورُ حَولها. قُوَّةُ الطَرد المَركزيّ الناتجة من الدَوَران تُعادِلُ قوة جَذب الشمس فتبقى الأرضُ في مَدارِها. أمّا إذا توقفت عن الدوران، تتوقف قوة الطرد المركزي فتصير قوة جاذبية الشمس بلا مقاومة فتجتذب الشمسُ الأرضَ نحوها وتحترق. وعندما تزيد من سُرعَةِ دورانها حول الشمس، فإنّ قوة الطرد المركزي تغلب قوة جاذبية الشمس فيتوه الكوكب في الفضاء.

٨٨ رومية ٦: ٢٣

٨٩ يوحنا ١٤: ١٥- ١٧

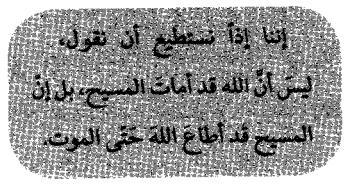

لَم يَقُل يَسوعُ لتلاميذه إنَّهُ ذاهبٌ للصَليب لتسديد حِسَابِ خَطِيَّةَ آدم وبالتالي رَفعِ العُقوبَةِ القضائيةِ الواقِعَةِ عَلى البشر بسبب خطية آدم. وإنما قال أنه ذاهبٌ ليبذِل نفسه ليكون هو الطريقُ والحَق والحياة. إنَّهُ كمَن يصنع بجَسَدِهِ جسراً يَعبُرُ عَلَيهِ البَشَرُ إلى الحياة الأبَدِيّة. إنَّ الغُفرانَ الّذي يُقَدِّمُهُ المَسيحُ لَا يَعني بالضرورة تَسديدَ حِسابٍ أخلاقِيٍّ قَديم، وإنّما تقديمَ طَريقَةٍ بَديلة للحياة؛ من الحياة الخَاطئة المنحصرة في النفس (التي يُمَثِّلها الإنسان القديم - آدم)، إلى حياة المَحَبَّةِ الخَارِجَةِ من النَفسِ إلى الله والآخرين(التي يُمَثِّلها الإنسان الجديد - يسوع المسيح). إننا إذاً نستطيعُ أن نَقول، لَيسَ أنَّ اللهَ قَد أَماتَ المَسيح، بل إنّ المَسيحَ قَد أَطاعَ اللهَ حَتّى الموت، وذلك لكي يُكَرِّسَ هذا الطريق ويفتحه أمام الجميع. ومَن يَعيشَ هذا الطريق الجَديدَ من خلال الإيمان بالمسيح وطاعته، فهكذا تكونُ التّوبة والغُفرَان والحياة الأبدية، أي حياةُ الله في الإنسان.

في الجَسَد

إن جَسَدَنا بكلِّ أَعضَاءِهِ ومُيولِهِ ورَغَباتِهِ واحتياجاتِهِ بمَثَابَةُ المَاكينةِ (Hardware) المَخلوقة من الله حَسَنةً جِدّاً،[٩٠] لكن يَتَنَازَعَها برنامجان روحيّان للتشغيل (Software) الأول هو الخَطِيّة (عبادة النفس) والثاني هو البِرّ(عِبادَةُ الله). جَاءَ المَسيحُ في نَفسِ هَذا الجَسَد وفي نَفسِ هَذا العَالَم الذي نَعيشُ فيه، لَكِنَّهُ قَامَ بتشغيلِ بَرنامجَ عِبادةِ الله حَتّى النهاية، حتى الموت، بل أَقسى وأَحقَر دَرَجاتِ المَوت، مَوت الصليب. الخِدعة الإبليسية التي يقدمها لنا العالم هي أننا يجب أن نعيشَ بَرنامج عِبادَة النَفس لحماية أنفسنا ومَصالِحَنا، وإلا فإننا نَموت. جَاءَ المَسيحُ وأشهَرَ

٩٠ تكوين ١: ٣١

إننا نستطيع إذاً أن نقول إنَّ المسيح ماتَ لكي يقوم.

جَهاراً هذه الكذبة وكُلّ الرياسات التي تُرَوِّجُ لها في السماويات والأرض عِندَما ماتَ وقام.[٩١] لَقَد أَبادَ بالمَوتِ ذَاكَ الذي له سُلطانُ المَوت وذلك لكي يعتِق أولئك الذين، خوفاً من الموت، كانوا جميعاً كُلَّ حياتِهِم تحت العبودية (عبودية الخطية).[٩٢] لقد ذَاقَ بنِعمَةِ الله المَوتَ لأَجلِ كُلّ واحد،[٩٣] وقام لكي يُبطل كذبة إبليس أَنَّ الحَياةَ هِي في الخطية. لقد قام من بين الأموات في جسدٍ لا يموت، وذلك لكي يُثبِتَ أَنَّ الطاعَةَ والبِرَّ والعِبادَة الكامِلَة لله هي الحياة الحقيقية، بل الحياة الأبدية التي لا يَستطيعُ المَوتُ أن يَنالَ مِنها. إنّنا نَستَطيعُ إذاً أن نَقول إنَّ المسيحَ مَاتَ لكَي يَقوم. هَكَذا كَشَفَ المسيحُ كِذبَة أبليسِ الأَساسية لآدَم وحَواء (الإنسان) وهي أَنَّهُ بعصيانِ الله تَصيران كَالله.[٩٤] وأثبَتَ بطَاعَتِهِ حَتّى المَوت، مَوتِ الصليب، ثم بقيامَتِهِ وصُعودِهِ وجُلوسِهِ عَن يَمين الآب، أَنَّ الحقيقة هي العَكس تماماً. إنّنا نَراه الآن مُكَلَّلاً بالمَجدِ والكرامة لأَنَّهُ أَطَاع اللهَ تَماماً وأَثبتَ أَنَّهُ بطاعَةِ الله، وليس بعصيانِهِ، نَشتَرِكُ في الطبيعة الإلهية[٩٥] ونَجلِسُ مَعَهُ عن يمين الآب في السماويات فَوقَ كُلِّ رياسةٍ وسُلطانٍ.[٩٦] ونَحصُلُ على مِلءِ الروحِ القُدُسِ مِثلُهُ،[٩٧] ونَصيرُ فِيه كَما أَنَّهُ هو في الآب والروح القدس.[٩٨] يكتب القديس إيريناوس: «لم يَكُن مُمكِناً أن نشتَرِكَ في عَدَمِ الفسادِ وَعَدم الموت إلا باتحادنا بذلك الذي هو نفسُهُ عدم الفسادِ وعَدَمِ الموت ولكن كيف كان يمكن أن نتحد بالذي هو عدم الفساد وعدم الموت ما لم يكن هو نَفسُهُ قد سبق وصَارَ على حالنا حتى يُبتَلَع الفاسِدُ مِن عَدَمِ الفسادِ والمائِتُ من عَدَمِ الموتِ. (ضد الهرطقات ٣ ١٩ ١)»

٩١ كولوسي ٢: ١٥
٩٢ عبرانيين ٢: ١٤
٩٣ عبرانيين ٢: ٩
٩٤ تكوين ٣: ٥
٩٥ ٢بط ١: ٤
٩٦ أفسس ٢: ٦
٩٧ أفسس ٣: ١٩
٩٨ يوحنا ١٤: ٢٠

ليتمَّ حُكمُ الناموس فينا

الخَلاصُ هو تَتميمُ حُكمِ الناموس. الخَلاصُ ليسَ إعفاءًا من الناموس،[٩٩] على العَكس تماماً. الخلاصُ هوَ أن نعيشَ الناموس. الخَلاصُ هو انتهاءُ العَداوَة لله. والعداوة لله هي ببساطة عدم الخضوع للناموس.[١٠٠] لكِنَّنا بالجَسَدِ وبأَنفُسِنا وبدونِ روحِ الله لا نستطيعُ (لأَنَّهُ ما كانَ النامُوسُ عاجزاً عَنهُ فِيما كَان ضَعيفاً بالجسد). لَكِنَّنا عِندَما نُطيعُ المَسيحَ ونؤمنُ بِهِ، فإنَّنا بعَمَلِ الرُوحِ القُدُسِ نَدخُلُ إلى تِلكَ العَلاقةِ الحُلوليَّةِ ونَصيرُ«في المسيح». عِندئذٍ نَستطيع أَن نَنمو في طَاعَةِ الناموس، و يَتِمُّ فينا حُكمُ النَاموس. عِندَما كُمِّلَ يسوع المسيح (أي عندما قَامَ وصَعَدَ وجَلَسَ عَن يمينِ الآب) صَارَ، لجَميعِ الّذين يُطيعونه، سببَ خلاصٍ أَبَدِيّ.[١٠١] لقد أرسل الروح القُدُس،[١٠٢] الذي يعطيه الله للذين يُطيعونَهُ،[١٠٣] أي يُطيعون المسيح. ولأن الروح هو الذي وَضَعَ الناموس فهو الذي يُعطينا الميل والقوة لأن نَحيا الناموس. الناموس، كما يقول بولسُ الرسول روحيّ، أما أنا فَجَسَدِيّ، مَبيع تحت الخطية.[١٠٤] الآن بعد حلول الروح القُدُس لا أعودُ جَسَدِيّاً بل روحيّاً،[١٠٥] وهكذا يتم فيّ حُكم الناموس بعَمَلِ الرّوح القدس.

الذين هُم «في المسيح»

لَعَلَّ الغَرَضَ الأَساسِيّ لهذه الفقرة هُو رَسمُ صُورةٍ لهذِهِ الخَليقة الجديدة في المسيح. في البداية يقول أنه لا شَيءَ من الدينونَةِ الآنَ عَلى هؤلاءِ الَّذينَ هُم «في المسيح» لماذا؟ لأنهم سالكونَ حَسَبَ الروح وليس حَسَب الجسد. نامُوسُ رُوحِ الحَياةِ الَّذي هو «البَرنامج» الجديد الذي قام

٩٩ متى ٥: ١٧
١٠٠ رومية ٨: ٧
١٠١ عبرانيين ٥: ٩
١٠٢ يوحنا ١٤: ١٦ ، ١٥: ٢٦ ، ١٦: ٧
١٠٣ أعمال ٥: ٣٢
١٠٤ رومية ٧: ١٤
١٠٥ ١ كو ٢: ١٥

الروح القُدُس «بتنزيله» فيهُم، قد جَعَل ناموسَ اللهِ في قُلوبِهِم وأصبَحَ لديهُم مَيلٌ داخليّ لأَن يَعيشوه. هَذا هُوَ العَهدُ الجَديد الذي تَنَبَّأَ عَنهُ إرميا النبي من قبل.[١٠٦] «لا شيءَ من الدينونة» في رومية تُقابِلُ «لأني أصفحُ عن إثمِهِم ولا أذكُرُ خَطِيَّتَهُ بعدُ» في إرميا وذلك لأنه، كما يكتُب إرميا: «أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ.» بالطبع لا يَكونُتَتميمُ النَّاموسِ كَاملاً وتَلقائياً بُدونِ مَجهودٍ وصِراع، و إنَّمَا يَكونُ التَتميمُ مُمكِناً والصِراعُ مُجدِياً. عندما يَقومُ الرُّوحُ القُدُسُ«بتَنزيلِ» البَرنامج الجَديدِ فينا، فَهذا لا يَمحو تَلقَائِيّاً البرنامجَ القَديم الذي صارَ مُتَغلغلاً في الأفكار المحورية اللاواعية والعادات التلقائية لهذا الجسد. هذا هو الناموس الذي يُسَمّيه بولس«نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي»[١٠٧] بل يَظَلُّ الاثنان معاً. أمّا الرُوحُ القُدُس فَيَمنَحنا رَغبةً وقوَّةً لم تَكُن فينا لإطاعَةِ ناموس المَحَبّة والحُرّية والخروجِ من النَفسِ للآخرين. هذا يَعني أننا لا نَزال في كُلّ وَقتٍ قادرينَ أن نَعودَ ونُطيعَ نِظام التشغيل القديم (ناموس الشهوة والأنانية والانحصار في النفس)، لكنناكُلَّمَا اخترنا أن نَسلُكَ حَسَبَ الروح وليس حَسَب الجَسَد، كُلما يَتمُّ فينا حُكم الناموس، أي نعيش الناموس. ويستمر بولس الرسول، كما يَحلو لَهُ دائماً في أن يَعقدَ مُقارنَةً ومقابَلة بين من هُم «في المسيح» أي «في الروح»، وبين الذين هُم «في الجَسَد».[١٠٨]

١٠٦ إرميا ٣١: ٣١ – ٣٤ ؛ إشعياء ٥١: ٧

١٠٧ رومية ٧: ٢٣- ٢٤

١٠٨ غلاطية ٦: ٦- ٨

الذين هُم «في المَسيح»/ «في الروح»	الذين هُم «في الجَسَد»
يهتَمّون بما للروح. أي يهتَمّون نفس اهتمامات الله ومشيئته للعالم، التي هي الحُب والحُرية والنموّ المستمر.	يهتمون بِما للجَسَد أي الشهوة والأنانية والانحصار في النفس، وهذه هي عبادة المخلوق دون الخالق.
في حالة صُلح مع الله. أي أنهم يَخضَعون لمُلك الله ويعيشونَ في مَلَكوتِهِ، ويُطيعونَ ناموسَهُ بل يُحِبُّون هذا الناموس لأنه قد أصبح مكتوباً في قلوبِهِم.	في حالة عداوة مع الله لأنهم لا يعترفون بمُلكه، وإن كانوا يفعلون ذلك بشفاههم (التَدَيُّن)، لَكِنَّ سُلوكُهم يَعكِسُ أنَّهُم يَعيشون مُلكَ أنفُسِهِم.
يستطيعون، بروح الله، أن يُرضوا الله.	لا يستطيعون أن يُرضوا الله.
الجَسَدُ مَيِّتٌ، لَيسَ أنه لا يستطيع التَحَرُّك، لَكِنَّهُم يعد هو كُل شيء. الأمر يُشبه الطراز القديم الذي لَم يَعُد المَصنَعُ يُنتِجُهُ ولم تعد له قطع غيار، لذلك فهو إلى زوال. هو مَوجود ويُمكِنُ أن يَعمَل، لَكِن لَيسَ له مُستقبل بعد أن ظَهَرَ الجَسدُ الجَديدُ المُمَجَّد الذي سوف نلبس صورَتَهُ في المُستقبل. هذا الجَسَدَالقديم بأفكارِهِ وعاداته، يُمكن أن يتحرك ويأخذ الإنسان المؤمن إلى حيث لا يريد، لَكِنَّه لا يَقبَل ذلك بل يُصارِعُ ويَصرَخُ إلى الله (رومية ٧).	الجَسَدُ حَيّ ويُسيطر، ولا يوجد أدنى إدراك أنَّهُناكَ غيرُهُ أو أفضلُ مِنهُ ولا يوجد إدراكٌ أنَّهُ يَنبغي أن يُمات أو تُوجَدُ أيَّ رغبة في ذلك. رُبما تكون هُناك بعضُ الأفكار الدينية التي نُرَدِّدُها لكنها لا تَرقى إلى أن تكونَ أُسلوبَ حياةٍ يوميَّة حقيقية.

الذين هُم «في المَسيح»/ «في الروح»	الذين هُم «في الجَسَد»
يُميتون أعمَالَ الجَسَد. أي يُقاوِمون يومياً أيَّ ميلٍ للعودة للجسد وأعماله.	لا يُميتون أعمالَ الجسد، بل يَفتَخِرونَ بها، ورُبما يُزينوها بأقوال ومُمارسات دينية سطحية.
روح الله (روح المسيح) ساكِنٌ فيهم.	لَيسَ لهُم رُوحُ المسيح، وبالتالي فهُم ليسوا للمسيح.
كأبناءَ لله، فإنهم يَنقَادون بروحِ الله.	ينقادون بشهوات السيطرة والتَحَكُّم والتَفَوُّق.
أَخَذوا رُوحَ التَبَني والشّعورِ بالأَمان في عَائلَةِ الله. والروحُ يَشهَدُ لأَرواحِهم أَنَّهُم أَولادُ الله وَوَرَثَتُهُ مَع المَسيح.	يخافون من الحياة والمُستَقبل (وهذا سبب ميلهم للشهوة والسيطرة) رُبّما يَكونوا مُتَدَيِّنين ويخافون من الله أو من«النارَ»لَكن بِلا شعور بالأمان والتَبَنّي.
وإن كانوا يتألمون، فإنَّهُم يَحسَبون الأَلَمَ شَركةً مَعَ المسيح وجُزءً من الميراث مثل المَجدِ تماماً.	لا يجَدون معنىً للألم، ويَتَذَمَّرون عليه ويلومون الله عليه.
وإن ماتوا جَسَدِيّاً، فالروح الساكِن فيهم، والذي أقام يسوع من الأموات، سوفُ يحيي أجسادَهُم المائتة في اليوم الأخير.	سيموتون، جسدياً وروحياً.

خاتمة

إذاً فالإنجيلُ هو خَبَرُ إتيان مَلَكُوتِ الله. هو البشارة بأن الربّ قد عاد ليَملُك ويُتَمِّم خِطّتَهُ القديمة بأن يجمع كُل شيء في نفسِهِ، ليكونَ هُوَ الكُلُّ في الكُلّ،[١٠٩] وذلك من خِلالِ الإنسان الكامل يسوع المسيح،[١١٠] الذي فيه قَرَّرَ الله أن يَتَّحِدَ بالبَشَرِيَّةِ،[١١١] ويُعيدُ خَلقِ الخليقة مُحرِّراً إياها من الفساد[١١٢] الناتج من سوء استخدام الحُرية والإرادة، وعبادة المخلوق دون الخالق.[١١٣]

عندما فشلت النُسخة الأولى للبشرية ــ آدَمَ الذي من أديمِ الأَرض في تَحقيقِ هَدفِ الله من خَلق الإنسان، ككاهنٍ يُمثلُ الخليقةَ أمام الله والله أمام الخليقة، قدم الله النُسخة الجديدة وهي الرَّب من السماء[١١٤] ـ كَلِمَةُ اللهُ وعَقلَهُ الَّذي بِهِ قَد صَمَّم العالمين، صَارَ عقل الله إنساناً واتَّحَدّت فيه الألوهة بالإنسانية. وكإنسانٍ فَعَلَ مَا فَشل فيه آدم (أنا وأنت) الذي إذ كَانَ فَقَط مَخلوقاً عَلى صُورَةِ الله، حَسِبَ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله فرفغ نفسه وعصى وأسلم الخليقة كلها للفساد. أما آدمَ الأخير (يسوع المسيح) فإذا كان، هوَ نفسُهُ، صُورَةُ الله غَير المَنظور بِكرُ (أصلُ) كُلِّ خليقة، لم يَحسِب خُلسَةً أن يكون مُعادِلاً لله، بل أخلى نفسه آخذاً صورةَ عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئةِ كإنسان، وَضَعَ نفسهُ وأطاع حتى الموت، موت الصليب.[١١٥]

١١٠٩ ١كو ١٥: ٨

١١١٠ ١تي ٢: ٥

١١١١ يوحنا ١٧: ١١

١١١٢ رومية ٨: ٢٠- ٢١

١١١٣ رومية ١: ٢٥

١١١٤ ١كو ١٥: ٤٧

١١١٥ فيلبي ٢: ٦- ٨

ثُمّ قَامَ مِنَ الأَموات وجَلَسَ عَن يَمينِ الآبِ في الأَعالي، وهَكذا دَانَ الخَطيةَ في الجَسَد وكَشَف كِذبَها وخديعَتَها التي تقول أن هذا الجَسَد البَشري لا يُمكن لَهُ أن يُطيعَ الله. قَبِلَ يسوع، النَجَّارَ الذي من الناصرة، ابنُ داود بالجَسَدِ وابنُ اللهِ بالروح أَن يَكونَ أرضَ المَعرَكة السماوِيّة، وصَارَ الجِسرَ الّذي يَعبُرُ عَليهِ البَشَرُ إلى الله. أَعطى المَسيحُ الّذينَ يؤمنونَ بِهِ و يُطيعونَهُ أن يَدخلوا مَعَهُ في العَهدِ الجديد الذي كَرَّسَهُ بموتِهِ وقيامَتِهِ و يصيروا به الخَليقَةَ الجَديدةَ التي يَصنَعُها الله بحلوله بالروحِ القُدُسِ في المؤمنين ليجعَلَهُم واحداً مع الآب والابن والروح القدس. هَذا الروح هُوَ الذي يُعينُنا في مَسيرة التَطَوُّر الرّوحي من مَجدٍ إلى مَجد،[١١٦] إلى مشابَهةِ المَسيحِ نَفسِهِ، ليكونَ هُو بكراً بين إخوةٍ كثيرين،[١١٧] و يأتي بأبناءٍ كَثيرينَ إلى المَجد.[١١٨] والمَجدُ هُوَ مُجتمَعٌ من البَشَر يَعيشونَ المَحَبَّةَ والخُروجَ الكامِل من النفس واللهُ في وَسَطِهِم مِن الآنَ و إلى الأبد، في هَذِهِ الأَرض، ثُمَّ في الأرضِ الجَديدة والسَماءِ الجَديدة (حياة الدَهر الآتي).

والآن لتَقرَأ الفقرة التالية ببُطء:

بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ:«الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ». وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا للهِ قَائِلِينَ: «آمِينَ! الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لإِلهِنَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ!» وَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ قَائِلاً لِي: «هؤُلاَءِ الْمُتَسَرْبِلُونَ

١١٦ ٢ كو ٣: ١٨

١١٧ رومية ٨: ٢٩

١١٨ عبرانيين ٢: ١٠

بِالثِّيَابِ الْبِيضِ، مَنْ هُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَوْا؟» فَقُلْتُ لَهُ:«يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي:«هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ» (رؤيا ٧: ٩-١٧).

قانون الإيمان المسيحي[١١٩]

بالحقيقةِ نُؤمنُ بإلهٍ واحِدٍ، اللهُ الآب، ضَابطُ الكُلّ، خَالِقَ السَماء والأَرض، ما يُرَى وما لا يُرَى. نؤمنُ برَبٍّ واحد يَسوعُ المَسيح، ابنُ اللهِ الوَحيد، المَولود مِنَ الآب قَبل كُلِّ الدُهور، نُورٌ مِن نُور، إلهٌ حَق مِن إلهٍ حَق، مَولود غير مَخلوق، مُساوٍ للآبِ فِي الجَوهر، الذي بِهِ كَانَ كُلُّ شَيء. هَذا الذي مِن أَجلنا نَحنُ البَشر، و مِن أَجلِ خَلاصِنا، نَزَلَ مِن السَماء و تَجَسَّدَ مِن الرُّوح القُدُس ومِن مَريَم العَذراء. تَأَنَّسَ و صُلِبَ عَنّا عَلى عَهدِ بيلاطُس البُنطِيّ. تَألَّمَ وقُبِرَ وقَامَ مِن بَين الأموات في اليوم الثالث كما في الكُتُب، و صَعَدَ إلى السموات، وجَلَس عَن يَمين أبيه، وأَيضًا يأتي في مَجدِهِ ليَدينَ الأَحيَاءَ و الأموات، الذي ليسَ لمُلكِهِ انقضاءٌ. نَعَم نُؤمنُ بالرّوحِ القدس، الرَّب المُحيي المُنبثق مِن الآب. نَسجُد لَهُ ونُمَجِّدُهُ مَع الآب والابن، الناَطِقَ فِي الأنبياء. وبِكَنيسة وَاحِدة مُقَدَّسَة جَامِعَة رَسولية. ونَعتَرِفُ بمَعمودية واحدة لمَغفِرَة الخَطايا. ونَنتَظرُ قِيامَةَ الأَموات وحَياةِ الدَهر الآتي. آمين.

١١٩ تم وضع هذا القانون في المجمع المسكوني الأول (مجمع نيقية ٣٢٥م) ثم تَمَّ تَعديلُهُ في المَجمَع الثاني (مجمع القسطنطينية ٣٨١م) وبذلك يُعرَفُ بقانون الإيمان النيقوي القسطنطيني، وهو قانون الإيمان الذي تعترف به كُلّ الطوائف المسيحية.

سوف يَتَغَيَّرُ الكَثيرُ في الكَنيسة المسيحية عندما يُدركُ المَسيحيّون أكثَرَ فأكثر، أن الإيمان بالمسيح لا يعني أن نَثِقَ بقُدرَتِه أن يُعطينا عَطايا جَيِّدَة، بقدر ما نَثِقَ بقُدرتِه أن يَجعَلنا مثله، ونرغب في ذلك أكثر من أيّ شيءٍ آخر. هذا لَن يَحدُث إلّا إذا أحببناه بما يكفي. ليس لكي نُغَنّي له كثيرًا، بل إذا أحببناه بما يكفي لكي نَتَمَثّل شخصيّته في كل شيء نفعله. سَوفَ يَتَحَقَّقُ فينا مَلكوتُ الله بقدر ما لانكونُ شَبيهينَ بالجموع المُجتَمِعة حَولَ يسوع لأنَّهُم مؤمنينَ أنَّهُ قادر أن يُحَوِّلَ المَاءَ إلى خَمر في أعراسِهِم أو يُبارِكَ الخُبزَ والسَمَكَ فَيُشبِعُ جوعَهُم أو يَشفي أمراضَهُم وَيطرُدَ شياطينَهُم ويقيم موتاهم، ويُحَقِق لَهُم أحلامَهُم الدينية والقومية. إن ملكوتَ الله سَوفَ يتحقَّقُ فينا بقدر ما نكونُ شبيهين بالمَسيح نَفسَهُ في فَرَحِه بدون خَمر، وشِبَعِه من الآب بلاخُبز، وحياتِه الروحية الأبدية التي لا يقدرُ عَليها لا المَرض ولا الشيطان ولا الموت نَفسه. سوف يتحقق فينا ملكوت الله عندما نتوَقّف أن ندور حول أنفسنا ونَتَشبّه بيسوع في خُروجِه من نَفسِه للكَونِ والحَياة والناس. لقد كان يسوع دائماً مايقود تلاميذه للخروج خَارِجَ أنفسهم واهتماماتهم الشخصية والدينية والقومية الضَيّقة. كان يقول لهم كثيرًا كلمة: «انظروا». انظروا إلى طيور السماء، ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول، انظروا إلى شجرة التين، أتنظر هذه المرأة؟ انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار.

الثورةُ السرِيَّة إشارة إلى مَلكوتُ الله الذي هو ثَورة لقلب نظام الحُكم في العالَم بأسره. لَكِنَّها ليسَت ثورة سياسية عَلَنية، وإنما ثورةٌ سرِيَّةٌ في القَلب. إنها تلكَ الخَميرةُ الصَغيرةُ التي أخَذتها امرأةٌ وخَبَأتها في ثلاثة أكيالِ دَقيق حَتّى اختمَرَ الجَميع. هيَ حَبَةُ الخَردَل الصَغيرة التي لا تكاد تُرى، لكنها متى نَمَت تَصيرُ شَجَرَةً كَبيرة تَأتي طُيورُ السَماءِ لتتآوي فيها.

أوسم وصفي طبيب ومعالج نفسي. أسس سنة ١٩٩٩ مؤسسة الحياة للمساندة والتعافي وتنمية الشخصية. له أكثر من ثلاثين مؤلف في مجال الصحة النفسية والنمو الروحي. أشهرها صحة العلاقات والقلب الواعي، ومهارات الحياة وإنسان الملكوت، ومعرفة الله والنفس. متزوج ولديه بنت وولد ويعيش في القاهرة بجمهورية مصر العربية.